



شيوخ مصر من نفاق الحاكم

الى

نفاقه الله

محمد الباز

أول الكلام

"اثنان يرضيان الله..

من يخدمه من كل قلبه.. لأنه يعرفه

ومن يطلبه من كل قلبه.. لأنه لا يعرفه"

الإهداء.....

إلى...

انتظار لها.. لا يطول

وأمل فيها.. لا يخيب

وحياة معها.. لا تنتهي

إلى... صفاء

محمد الباز

فهرس

٢	محمد الباز
٣	أول الكلام
٤	الإهداء
٥	فهرس
٧	عرفتهم
٢٣	استقالة شيخ الأزهر
٦٨	الإمام القـادم
٧٦	حرب الشيوخ
١١٢	حروب صغيرة
١٢٧	صحافة الترابية
١٣٢	شيوخ وراقصات
١٦٤	شيوخ الميكروباص
١٨١	مواعظ شيوخ التطرف
٢٠٧	الغلابة
٢٢٤	ثقافة السادة الدعاء
٢٣٨	ويسألونك عن الـدش !!

- ٢٥١ وجوه ملامح من حياة شيوخ مصر في التسعينيات....
- ٢٥٢ كأس د. عبد الصبور.....
- ٢٥٨ صراخ مولانا المفتي.....
- ٢٦٥ صلاة وزير الأوقاف.....
- ٢٧١ الغزالي.. وكل هذا الحب.....
- ٢٨١ عمّة مصطفى محمود.....
- ٣١٢ طيبة الشيخ صقر.....
- ٣١٥ هدوء د. عبد الله.....
- ٣١٨ المحتسب.....
- ٣٢٣ حماس د. هاشم.....
- ٣٣٠ @@@بيزنس د. ياسين.....
- ٣٣٣ زمن محمد حسين يعقوب.....
- ٣٤٨ عمرو خالد.. شعراوي أولاد الذوات!.....
- ٣٦٥ خالد الجندي.. سمسار الفتاوى!.....
- ٣٧٥ زغول النجار.. الزيف والحقيقة.....
- ٣٨٧..... هؤلاء.....
- ٣٩٤ آخر الكلام.....

عرفتهم...

ما زال - وسيظل - الناس في مصر ينظرون إلى الشيوخ نظرة تقديس وإجلال يجعلونهم في القمة وينظرون إليهم بحساب.. فهم أهل الله الذين يحملون كتابه.. ويحتفظون بالعلم بين جوانحهم.. يعرفون الحلال من الحرام. يقفون حائلاً بين الناس وبين دخولهم النار.. ويمتلكون الضمان ليدخل من يشاء من خلالهم الجنة.. فهم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً..

هم ورثة الأنبياء.. الخط بينهم وبين الله موصول لا ينقطع أبداً.. هم مصدر البركة تلمسُ منهم دون غيرهم

مشهد يتكرر

"شيخ مسجد بعد أن ينهي موعظته البليغة التي يرغى فيها ويزبد بلا انقطاع يهبط درجات السلم في رفق وتؤدة، يتجه إليه رجل مسلم بسيط يتلمسه ويتحسس جسده ثم يسير بيديه اللتين حصلتا على البركة من جسد الشيخ على جسده الضعيف عسى أن تحل به البركة".

منطقي وطبيعي جدًا ما فعله الرجل؛ فقد لمست يده
جسدًا مسكونًا بالقرآن والسنة فهو إذن جسد مبروك يولي
الحائرون وجوههم أينما كانوا شطره، ولا يقبلون في ذلك
شفاعة.. فهو المخلص من كافة مشاكل الدنيا والدين..
أليسوا هم أهل القربى من الله؟

وهم - بلا شك - أول الداخلين إلى الجنة، بل أكثر
من ذلك سيكونون شفعاء لنا. نحن عباد الله المساكين الذين لا
يملكون من أمر دينهم سوى بعض صلاة وبعض صيام،
لكنهم هم القائمون الصائمون المتعهدون الذائبون في طاعة
الله أولاً ودائمًا وأبدًا.. كما يقول المرحوم أستاذنا
خالد محمد خالد.

ومنطقي وطبيعي جدًا أن يجلس الناس أمام شيخ
مسجد. كل مقوماته في الحياة. أنه شيخ مسجد ويطلبون منه
أن يحكم فيما شجر بينهم.. ويجلسون وهم في غاية الاطمئنان
أن حكم الرجل سيكون عادلاً وحكيماً.. أليست كلماته ترتكن
على كلمات الله - حتى لو كان أمر شجارهم أمراً دنيوياً
بحثاً لا علاقة لشيخ المسجد به.. لكنهم يقحمونه فيه ضاربين
بحديث النبي صلى الله عليه وسلم "أنتم أعلم بشئون دنياكم"

عرض الحائظ، ومتخذين من كلمات الشيخ دستوراً ومنهاجاً.. وإذا سألتهم عن ذلك.. قالوا لك وكأن شيئاً لم يكن وبراءة الأطفال في عيونهم: أليس هو مولانا الشيخ؟!!

ولأنه مولانا الشيخ فيجب أن يصبح أولادنا مثله.. في مثل أدبه وأخلاقه وعلمه.. فهو القدوة التي يجب أن تحتذى.. وهو المثل الذي يجب أن يسير على هديه الجميع.. لأنه دائماً وأبداً على صواب.. أليس هو - للمرة الثانية - مولانا الشيخ؟

مشهد ثانٍ يتكرر

"شيخ مسجد يقف على منبره يخطب الشامي بالمغربي، يقلب حياة الناس إلى جحيم في لحظة واحدة.. ثم يدخلهم جميعاً الجنة بمجرد نطقهم بكلمة واحدة.. يرفع عن كاهلهم عبء العمل الدنيوي الذي لا يقدم ولا يؤخر فالدنيا زائلة.. ولا تستأهل من الإنسان أن يرهق نفسه فيها.. فكل شيء بيد الله..

يعترض عليه شاب جامعي مثقف بأن هذا ليس منطقاً يتحدث به للناس وأنه لا بد من تعريف الناس فقط بما عليهم من واجبات، فالدنيا كلها تتقدم ونحن ما زلنا نتحدث عن الدنيا الزائلة.. وما أن أنهى الشاب.. ليس بالضرورة أن

يكون شابًا في كل الحالات. كلماته حتى رجمه مستمعو
الشيخ بألسنة حداد ونزلت على رأسه كلمات الاستتار تكاد
تهشمها؛ فالناس تستنكر أن يعترض أحد على كلمات الشيخ..
فليس معقولاً أن يكون هناك أحد يعرف أكثر من الشيخ..
فهو - يا عالم- مولانا الشيخ".

هذا عن أي شيخ في أي مسجد في قرى مصر
أو حتى مدنها، وعندما تأتي لشيوخ التلفزيون، فحدث
ولا حرج، فالأمر مختلف تمامًا.. فشيوخ التلفزيون خاصة
في التسعينات. حيث القنوات التلفزيونية والفضائية التي
تطبق الآفاق ليل نهار في غاية الأناقة والשיاقة والنظافة..
صحيح أن نجوميتهم تتفاوت لكنهم في النهاية أصبحوا
نجومًا.. وتخيل رصيد شيوخ التلفزيون عندما يضاف إلى
رصيدهم عند الناس بجانب نجوميتهم نظرات التقديس
والاحترام والتقدير وتزداد هذه النظرات إعجابًا عندما يكون
الشيخ الذي يستمع له الناس في قريتهم أو كفرهم شيخاً
ضعيف المستوى في الغالب يقرأ موعظته من ورقة!!

مشهد ثالث يتكرر

"بعض أهلنا الطيبين يجلسون في مقهى ريفي بسيط. التليفزيون يعرض لأحد برامجه الدينية القليلة.. الشيخ يتحدث بمنتهى البلاغة والتلقائية ودون أن يمسك ورقة في يده.. يدلل بآيات من القرآن.. وأحاديث الرسول التي يرددها بشكل بسيط وكأنها ضمن كلماته التي يتعامل بها مع الناس. أغلب الظن أن الشيخ كان د. أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، والذي أصبح لكلماته سطوة وقوة بعد أن يضاف إليها حماس الشيخ المعتاد الذي لا تتفصم عراه. مهما كان الموضوع مهماً أو تافهاً.. ويتعجب الناس من طلاقة الشيخ الذي يتحدث دون أن يمسك في يده أية ورقة".

هم في النهاية يشكون من حالهم مع الشيخ الذي يردد مواعظ بعينها ويقرؤها من وريقات بالية لا تتغير مع تغير الأيام والسنين.

لكن..

وآه من لكن تلك واستدراكاتها السخيفة..

فكما تغير كل شيء في مصر.. تغيرت صورة الشيوخ وأصبحوا جزءاً من حياتنا المهملة. التي انعدمت فيها كل

قيمة.. وتساوت فيها كل القامات.. نزل الشيوخ سواءً من كانوا في القرى والكفور أو حتى من يحتلون شاشات التلفزيون.. من أبراجهم درجات وأصبحوا في متناول الأيدي.. والسبب خرج من أيديهم هم.. ولم يكن بيد الآخرين شيء..

خذ عندك ما قاله د. مصطفى محمود في واحدة من تأملاته الجادة وبعيدًا عن سطحاته.. قال :

"في هذا الجزء الأخير من القرن العشرين والأقمار الصناعية تدور في الفضاء، والصواريخ تنطلق إلى الشمس، والصور تنتقل بالتلسكوب والأخبار تطير بالتلكس، والأعمى يتحسس طريقه بعقل إلكتروني، والغواصة تشق ظلمة الأعماق بمحرك ذري، وسط هذا القدر الهائل من الوسائط العلمية والتحديثات التي تبهر العقل ترى شيخ الجامع يخاطب الناس من على منبر القرون الوسطى، وكل ذخيرته في الدعوة إلى الإسلام تهديد المؤمنين البسطاء الذين سعوا إليه بأن مصيرهم الحرق في جهنم، وأن من تلبس من زوجاتهم "نصف كم" سوف تشوى أذرعهن في النار، ومن يتأخر عن صلاته ليؤديها قضاء سوف يلقي في برميل من الزفت

المغلي، ومن يدخر نقوده في بنك سوف يرشق بالأسياخ المحمية، أمّا الذي ينظر إلى محرم فنصيبه أن تقلع عيناه وتوضع مكانهما جمرتان لا تتطفئان، ثم يؤيد كلامه بأحاديث نبوية مرعبة بإسناد طويل عن عنبة بن الهيثم بن عدي بن أيوب الموصلي عن الكلبي عن الثعلبي عن ابن إدريس عن ابن الحضرمي، وكل هؤلاء نعلم عنهم الآن أنهم كانوا وضّاعين للحديث، كذابين وأن أكوام الكتب الصفراء التي تركوها كانت زيفاً وتشويهاً وأن نبينا وهو نبي الرحمة والشفاعة والمغفرة لم يقل شيئاً عن تلك البشاعات".

انتهت كلمات د. مصطفى المنقولة نصّاً عن كتابه "القرآن كائن حي" التوصيف يكاد يكون دقيقاً لما يتحدث عنه وبه شيوخ الإسلام وأصف لذلك كما هائلاً من الأخطاء في القرآن ورواية الأحاديث وسرد قصص سخيفة تعادي كل آيات المنطق والعقل ولو عرضت على آيات القرآن لرفضها القرآن قلباً وقالباً، ولأن هذا أصبح معظم حديثهم فقد انصرف عنهم الناس ليس انصرافاً كلياً فما زالوا يحتفظون بشيء من الاحترام والتقديس، ولكنه انصراف من عرف أن لا فائدة

مما يردده الشيوخ وأنهم لو استسلموا لهم وسلموا عقولهم لأحاديثهم لأصبحت حياتهم خرابة لا تطاق.

لو تركت كلماتهم جانباً.. ونحيبها بعيداً وجئت لمسالكهم في حياتهم كبشر مثلنا مثلهم تماماً.. يعيشون كما نعيش.. يأكلون .. ويشربون.. وينامون.. لهم أحلامهم ومشاكلهم.. الأهم التي تسيطر كثيراً على حياتهم.. ضيقهم النفسي والمادي الذي أصبح هو السمة الغالبة علينا جميعاً.. رغبتهم في حياة أفضل.. لكن اليد دائماً قصيرة. استعراض حياتهم على هذا النحو يقربنا منهم أكثر.. قد يجعلنا أكثر تعاطفاً معهم وقد يزيدنا بعداً ورفضاً وغضباً عليهم.. لكنه استعراض على أيه حالة يجعلنا نؤكد على أنهم منا.. أو بتعبير أدق وأمر.. بعض من كل يشكو ويتألم..

مشاهد يمكن أن تجدها كثيراً..

شيخ عرفته جيداً.. ظل لأكثر من شهرين يخطب في الناس. أكثر من ثماني خطب كاملة يحذرهم فيها من التبرج.. وحشد في خطبه كل ما عرفه وحفظه ودرسه من دلائل تؤدي بالمخالفين إلى نار جهنم وبئس المصير.. كان متحمساً وكأنه اختصر فساد الدنيا كله في امرأة تخرج سافرة

أو بنت ترتدي بنطلوناً وبلوزة.. من أي نوع وبأي شكل..
وكان الدنيا خلت من كل الشرور وأصبح خروج النساء
سافرات هو الخطر الذي ما بعده خطر.. وهو النهاية التي
ستؤدي بالجميع إلى التهلكة التي أمرنا الله ألا نلقي بأيدينا
فيها، هذا الشيخ نفسه - لا أحد غيره- عندما ذهبت إلى بيته
ذات مرة وعندما ناديت عليه خرجت زوجته.. وكانت
ترضع طفلها، خرجت وكان نصف صدرها عارياً، ووقفت
تتحدث معي دون قلق أو أدنى شعور بأنها تعمل شيئاً خطأ..
قلت ساعتها أين زوجها وأين خطبه الثمانية التي ضاعت
دون أن يبكي عليها أحد حتى زوجته؟

شيخ ثانٍ لم يكن يكف عن مهاجمة الموالد في القرى
وكان يشن عليها هجوماً لا يعادله الهجوم على أكبر الكبائر..
ففي الموالد يا إخوان تؤتى الفواحش ويتم الاختلاط الذي نهانا
المولى عز وجل عنه.. ويقصد الناس رجلاً يسمونه ولياً من
أولياء الله الصالحين، وما هو بالولي ولا هو من الصالحين..
هذا الشيخ نفسه عندما أقيم في قريته مولد قام بنفسه
بإعداد الطعام للمنشد الذي جاء يحيي الليلة الكبيرة في
المولد.. لا لسبب إلا لأنه راعي المولد وللتسبب حق.. مع

احترام الرجل الشديد لقول النبي ﷺ "من أبطأ به عمله.. لم يسرع به نسبه".

شيخ ثالث لا أحد مثله في علمه ولا في معرفته ولا في إحاطته الشديدة بعلوم الدين، فهو عالم علامة. ولن نقول فتك فهامة. حتى لا يغضب منا الشيوخ، لكنه كان كذلك بالفعل.. ومع تعمقه الشديد في أمر دينه وهو ما جعله أهلاً لأن يقصده الناس في طلب الفتوى مطمئنين غاية الاطمئنان والراحة؛ لأن ما يقوله هو الصواب المطلق.. مع ذلك كان يلتزم الرجل التزاماً خانقاً - ليس له بالطبع ولكن لبعض مرديه - بالشكل السعودي في لبسه.. فكان يرتدي جلباباً قصيراً وعلى رأسه طاقية وفوق الطاقية شالاً ينسدل على كتفيه.. وفوق الزي.. تمسك الرجل باللهجة السعودية في قراءته للقرآن وطريقة إلقائه لخطبه ومواضعه.. وفي تعامله مع الناس لم يتنازل عن طريقته السعودية تلك فكل شيء حرام إلا ما رحم ربك..!!

شيخ رابع.. لا يتخلى عن زيه لحظة من نهار.. ويعلن اعتزازه الشديد بهذا الزي.. يعمل في الوقت نفسه في التجارة، ولا اعتراض لأحد على ذلك؛ فأبواب الرزق كثيرة

ولا يعيب أي إنسان أي هذه الأبواب يسلك.. لكنه وهو يمارس تجارته جيئة وذهابًا نسي أن الرقعة في ثوب شيخ الدين كبيرة وظاهرة ومؤثرة.. فالعيب لا يكون عليه كشخص.. ولكن يعاب في الطريق على القرآن الذي يحمله وعلى الدين الذي يتحدث به.. لم تكن سمعة سيدنا الشيخ في تجارته فوق مستوى الشبهات.. الأكثر من ذلك أنه لم يكن يتهاون في حقه قيد أنملة.. يردد دائمًا حقي وحقك وربنا يفصل بين الحقوق، أمّا حقوق الناس فلهم رب يتولاهاهم ويتولى حقوقهم.. ويعوض عليهم في الآخرة.. هذا طبعًا إن شاء.. لأنه لا شيء يتم في الكون إلا بمشيئة الله.

شيخ خامس - هل لا بد أن يكون لدينا شيخ أخير..؟
لنعتبر إذن هذا الشيخ الخامس هو الأخير، فحديثنا حتى الآن كله على سبيل المثال.. المثال فقط لا الحصر.. شيخنا كان يخطب الجمعة في عزبة صغيرة من آلاف العزب التي تنتشر بطول مصر وعرضها.. عزبة صغيرة، مظاهر الحياة فيها تكاد تكون منعدمة.. فقط الناس يقضون الأيام الطوال والليالي الأطوال.. يأكلون ويعملون ويتناسلون ويوم الجمعة

يذهبون في دأب غريب للمسجد ليستمعوا للشيخ الذي لا يقول
جديداً مطلقاً.

لكن الشيخ - ناجي ونذكر اسمه هنا هذا لأن آلاف
العزب لا بد أن يكون فيها أكثر من شيخ اسمه ناجي لهم
نفس الصفات ويأتون بنفس الأعمال - كان يعسكر في العزبة
في مواسم الحصاد ليحصل على حقه من كل الفلاحين كل
على حدة فقد كان يخطب فيهم مقابل أجر مما يزرعونه من
الذرة والأرز والقمح.. ولا مانع إذا كانت الأرض مزروعة
بعض أنواع الخضار (خيار.. طماطم) أن يحصل الشيخ
ناجي على نصيبه منها.. لم يكن الرجل حريصاً على أداء
الصلاة بانتظام في مسجد العزبة.. بل لم يكن مواظباً على
إلقاء خطب الجمعة كل أسبوع فقد كان يتخلف عن بعض
الجمع.. لكنه كان في أشد ما يكون الحرص عندما يعلم أن
بعض الفلاحين يحصدون زرعهم.. وهكذا تسير الحياة..!!
من حقا أن تقول إن هذه مجرد أمثلة.. أمثلة فقط
لا تسمن ولا تغني من جوع.. ولا نستطيع أن نعهم، فيصبح
كل شيوخ مصر مثل هؤلاء الذين وضعوا رتوشاً على
الصورة المضيئة.. لكنهم للأسف الشديد كثرة منتشرة..

لا تتراجع بل تزداد يوماً بعد يوم.. وانظر فقط إلى انصراف
الناس عن المواعظ والخطب والشيوخ جميعاً..
ونصل إلى شيوخ التليفزيون بكل أنافتهم
وشياكتهم..!!

فبعد أن كان ينظر لهم الناس نظرات أكثر تقديساً على
اعتبار أنهم الأهم والأعلم من شيوخهم الذين يخالطونهم ليل
نهار، أصبحت نظرات التشكيك تسيطر، وهمسات الريبة
تزداد.. فقد تغير بهم الزمان كما تغير بكل شيء..

ولك أن تقيس المسافة فقط بين ما كان عليه الإمام
الأكبر. د. عبد الحليم محمود وما أصبح عليه الإمام الأكبر
أيضاً د. محمد سيد طنطاوي.. الفارق كبير والتفاصيل علينا
بالطبع، فس أيضاً المسافة بين الشيخ عاشور نجم مرحلة
السادات الذي نادى بأعلى صوته في مجلس الشعب وفي عز
سطوة السادات وغروره واعتزازه بملكه الذي كان يعتقد
- وإن لم يصرح بذلك - أن هذه الأنهار تجري من تحته،
هتف الشيخ عاشور.. "ليسقط السادات. ليسقط السادات"
قالها بمنتهى القوة والحماس وبلا أدنى تردد أو خوف.. ضع
أمام هذه الصورة ذاتها د. أحمد عمر هاشم عندما يقف في

قاعة مجلس الشعب أو قاعة مجلس الشورى وهو يرطب
لسانه بالثناء على الرئيس وإدانة كل ما تريد الحكومة إدانته..
والثناء على كل ما ترغب الحكومة في الإشادة به.. ليس
نفاقاً حاشا لله.. ولكن اقتناعاً تاماً بكل ما يفعله رجال
حكومتنا السعيدة!!

ليست المناصب وحدها هي التي تغير الناس.
وليست السياسة وحدها هي التي تتحكم في مصائر البشر.
فهناك أشياء أخرى لا يستطيع أحد إنكارها.. لأن إنكارها لن
ينفي تأثيرها.. تلك هي وسائل الإعلام.. صحافة وإذاعة
وتلفزيون.. فقد فرض الإعلام الذي أصبح رب هذا العصر
على الشيوخ بعضاً من سطوته؛ يحرصون على الظهور فيه
بأي طريقة.. يعدون أنفسهم لذلك بالإنفاق الغزير على
مظهرهم دون الالتفات إلى ما سيقولون.. فحتى لو كان
كلامهم مجرد كلام فارغ فلا بأس ما دام سيحتل وقتاً لا بأس
به في التلفزيون أو في الإذاعة.

أصبحوا نجومًا وحياة النجومية شروطها وآلياتها التي
لا يستطيع أن يخرج عليها أحد إلا إذا كان راغباً في وداع

النجومية ذاتها وهذا شيء لا يقدر عليه أحد.. لذا أصبحت تجد -وبمنتهى السهولة- شيخاً وإماماً وعالمًا راسخاً في العلم يتحدث لمجلة سيارة عن الحب وعن نجومه المفضلين (معظمهم يشيد بعادل إمام كنجم كوميدي محترم) وعن مطربيه المفضلين (السواد الأعظم منهم يؤكدون أن أم كلثوم هي مطربتهم المفضلة). وحتى لا يطمع الذي في قلبه مرض يعقّب الشيوخ بأنهم يحبون منها فقط أغانيها الدينية مثل نهج البردة لأحمد شوقي، وإلى عرفات الله لشوقي، والثلاثية المقدسة لصالح جودت، والقلب يعشق كل جميل لبيرم التونسي.. ولئلا يقذف أحد في وطنيتهم يشيدون بأغنية "مصر تتحدث عن نفسها".. لحافظ إبراهيم.

وعندما نزل الشيوخ إلى تلك الساحة ومع انتشار نمط الصحف الخاصة في مصر سواء كانت شركات مساهمة أو حاصلة على تراخيص من قبرص، وحرصها على نشر الجديد والغريب عن كل شيء في مصر.. فقد حرصوا على استضافة الشيوخ في تحقيقات من نمط خفيف للغاية، تحقيق يستطلع النكت من على ألسنة الشيوخ ومن فضلك يا مولانا قل لنا آخر نكتة بس بشرط نضحك.. لا يمتنع الشيوخ ولكن

يدلون بدلوهم بنكت غاية في البرود والسماجة، تحقيق آخر يستطلع الحب في حياة الشيوخ وهل تزوجت عن حب يا مولانا أم تزوجت زواجًا تقليديًا، زواج صالونات يعني، ثم مزيد من التفاصيل عن أعياد الميلاد والزوجات والأولاد والأحفاد والأسفار.. وينقصنا في هذا الإطار تحقيقًا صحفيًا نعرف من خلاله أين يقضي الشيوخ فترة الصيف.. أو ماذا يفعل الشيوخ على البلاج..!!

لأنهم نزلوا إلى الناس بكل ما لديهم وما عندهم من تفاصيل حياتهم زهد الناس فيهم وتعاملوا معهم كأشخاص عاديين.. يحملون القرآن.. وليه يعني.. فالإذاعة تنيع القرآن على مدار اليوم.. يعرفون أحكام دين الله.. وماذا في ذلك فالفتاوى والأحكام أصبحت في الكتب وفي متناول الجميع..!!

هل معنى ذلك أننا لسنا في حاجة لشيوخ.. بالطبع لا.. فالحياة لا تحتل بدونهم.. وجودهم يضمن كثيرًا من الثراء لهذه الحياة التي تحمل قدرًا كبيرًا من الكآبة.. وإن كنا نحتاج لشيوخ غير هؤلاء جميعًا الذين سنتحدث عنهم وأمرنا جميعًا في يد الله.

محمد الباز

شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

استقالة شيخ الأزهر

عندما تعطي نفسك فرصة لتأمل وجه فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ستجد أنه رجل هادئ الملامح.. طلة وجهه تريح.. تبعث الاطمئنان والأمان، من الصعب أن ينفعل. يمكن أن تحصل على جميع جوائز الدولة تقديرية وتشجيعية وتفوق ومبارك إذا ضبطته منفعلًا، طيب تتفجر من عينيه ينابيع الحنان والرحمة مثل كثير من الكبار الذين اختبرتهم الدنيا وصهرتهم فاخترنوا تجربتها وعاشوا على علم بأن الحياة لا تساوي أكثر من كلمة طيبة.

يغمرك التفاؤل عندما تستمع إلى حديثه العذب عن سماحة الإسلام وعن الجنة التي أُعدت لعباد الله الصالحين.. -بالضرورة كل مستمعي الشيخ منهم- وعن الواقع الجميل الرائع المريح الذي يعيشه المسلمون، لا تجده متشددًا ولا متعنتًا ولا متسرعًا ولا يلقي بفتاوى التحريم ليلاً ونهارًا على رعوس العباد الذين لا يطلبون من الله سوى خروجهم من الدنيا وهم في حالة تعادل لا لهم ولا عليهم، وفي النهاية

تنام وأنت قرير العين، هادئ البال، مستريح الضمير؛ لأن هذا الرجل بعينه -وليس غيره - يجلس على كرسي مشيخة الأزهر في بلدنا السعيد.

لكن ماذا تفعل عندما تسمع عن الطريقة بالغة السوء التي يعامل بها شيخ الأزهر الصحفيين الذين يختلفون معه في الرأي مع علم شيخ الأزهر ويقينه أن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية مهما كانت خطورة وجسامة هذه القضية؟. ولن تصدق كما أنني لم أصدق حكاية الصحفي الذي كاد شيخ الأزهر يضربه بالحذاء؛ لأنه كتب - الصحفي - عن الشيخ كلامًا لم يعجبه، ولن تصدق أن الرجل السمج المتسامح العف العفيف يمكن أن يشتم ويسب ويلعن كل من يختلف معه.. لن نحرص على ذكر أمثله من شتائم شيخ الأزهر.. يكفيك أن تعرف فقط أن د. طنطاوي وفي لقاء جماهيري وصف المجاهدين الأفغان بأنهم مجموعة حمير، ولأن الشيء بالشيء يذكر فإن شيخ الأزهر يستعمل على الأقل كل أوصاف الحيوانات ليصف بها الذين يختلفون معه في الرأي ولا فرق عنده بين صحفي أو شيخ أو عالم دين أو دكتور جامعة.

على أية حال. ليس هذا ما يجعلنا نسأل الشيخ
طنطاوي هذا السؤال الصريح والمباشر. يمكن أن يصبح في
عرف شيخ الأزهر سؤالاً مكشوفاً!!..

السؤال هو.. لماذا يا مولانا الإمام لا تفكر في تقديم
استقالته وإعفاء نفسك من تلك المعاناة التي تتحملها منذ
حالت على كرسي المشيخة.. ويتحملها معك الناس الذين
ينظرون إليك كقدوة ومثل وهاذ إلى صراط الله المستقيم؟!
لماذا لا تفعل..؟

الآن.. وليس غداً!!..

قد يتعجب د. طنطاوي من هذا الطلب. وهو معذور
في ذلك تماماً.. فلم يحدث أن قدم شيخ أزهر أو غير شيخ
أزهر قبل ذلك استقالته.. فما دامت الأمور تسير.. وما دامت
المصالح تتحقق.. وما دام كل يأخذ ما يريد.. فلماذا يفكر أي
مسئول في الاستقالة.. فكل القيم مهدرة.. لكن الأمن مستتب
والتعبير لنجيب محفوظ.

صحيح أن ذلك لم يحدث.. لكن لماذا لا يجرب شيخ
الأزهر.. وتصبح سابقة تحسب له.. تحسب له على الأقل
لأنه سيحافظ على هبة من سيأتي بعده من شيوخ للأزهر

الشريف. فأفعال د. طنطاوي- وبمنتهى البساطة - تسحب من رصيد هيبة شيوخ الأزهر.

وحتى لا ندخل إلى ساحة التجني تعالوا نسرد أسبابنا التي نرى أنه بناءً عليها يجب أن يقدم شيخ الأزهر استقالته.. وأن يتحى دون أن يخرج الشعب خلفه صارخاً لا تتحى.. لا تتحى..

ما يفعله شيخ الأزهر مع علماء الإسلام وشيوخ الأزهر.. فهو يسفه من أفكارهم ويطعن في علمهم ويعاقبهم إذا عارضوه.. ويسحبهم من أقيمتهم ليقف بهم أمام لجان التأديب الجامعية؛ لأنهم رفضوا بعض أفعاله..!!

استيقظ الناس على الخبر التالي "يقف أربعة من أساتذة وعلماء الأزهر أمام مجلس تأديب أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر بتهم مختلفة أهمها الإساءة إلى مقام شيخ الأزهر فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي والأساتذة هم د. محمود حماية أستاذ ورئيس قسم الدعوة بكلية أصول الدين بأسبوط، وتهمته الإساءة إلى شخصية الإمام و د. إبراهيم الخولي الأستاذ المتفرغ بقسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية لنفس التهمة، ود. محمد عبد المنعم البري

أستاذ الدراسات العليا بكلية الدعوة الإسلامية ورئيس
الجامعة، ود يحيي إسماعيل أستاذ الحديث بكلية أصول الدين
وتهمته السفر إلى السعودية لأداء العمرة بدون إذن من إدارة
الجامعة..

وينتظر أن يصدر قرار بفصل هؤلاء الأساتذة بسبب
هذه الجرائم المنسوبة إليهم...".

قاسية هذه الصياغة كثيراً.. تجمع بين ما تجمع في
إنائها علماء دين.. شيخ أزهريتهم.. جرائم.. والأسباب..
-مهما كانت - لن يستطيع أن يتحدث بها شيخ الأزهر أمام
أقل الناس عقلاً ليقنعهم بها، فعندما اعترض هؤلاء على
بعض أعمال شيخ الأزهر - بالتحديد مقابلة شيخ الأزهر
للسفير الإسرائيلي ومن بعده كبير حاخامات اليهود - لفتت
لهم التهم - اعتذر عن استعمال هذا اللفظ غير المهدب لكن
لم أجد غيره - فقد أدخل شيخ الأزهر إلى قاموس الخلاف
بين علماء الدين تهمة اسمها "الاعتداء على مقام شيخ
الأزهر" فعل ذلك د. طنطاوي دون أن يخبرنا عن ماهية هذه
المقام، ولا من منحه إياه تحديداً، لكنها طنطنة لفظية ما
أحوج الناس إلى الابتعاد عنها.

قذف شيخ الأزهر في وجوهنا جميعا بكلماته ومضى تاركًا لجان التأديب تعرف حقه وحق من اعتدوا عليه.. وكان عند شيوخ الإسلام وعلمائه كلام كثير يضع كثيرًا من النقاط على كثير من الحروف في إمامة الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي.

د. يحيي إسماعيل.. أكثر المعارضين لشيخ الأزهر وأعلام صوتًا قال إن التحقيقات التي تعرّضوا لها كانت للحصول على سبب وجيه لإدانتنا بسبب معارضتنا لاستقبال الإمام الأكبر للحاخام الإسرائيلي، فقد اعترض العلماء على تدنيس الحاخام اليهودي للأزهر وقالوا إن عدم الاعتراض يعد جريمة في حد ذاته وطالبوا بسماع شهادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية الذين قال عنهم د. طنطاوي إنهم وافقوه على ما فعل".

د. طنطاوي كان يريد أن يورط معارضية ويوقعهم في حفرة معارضة آراء وفتاوى مجمع البحوث الإسلامية بما له من شأن في الفصل بين القضايا الدينية وكان لا بد من رد.. والرد جاء من د. يحيي إسماعيل الذي ما زلنا مع كلماته..

يقول "إذا كانت مخالفة المجمع وقراراته مؤذنة للتحقيق معنا في هذه القضية فأول من ينبغي أن يحقق معه هو د. طنطاوي شيخ الأزهر؛ لأنه أول من خالف قرارات المجمع حيث أباح التعامل مع البنوك رغم أن جميع قرارات مجمع البحوث الإسلامية تؤكد أنه ربا ولا يجب التعامل معها".

بدأت الدفاتر القديمة تفتح إذن.. وكل من عنده معلومة يخرجها وعليه فقد ذهب د يحيي لأكثر من ذلك حيث قال: "قرارات المجمع لا تلزم غير أعضائه فمن حقي كعالم أن أختلف مع قراراتهم وفق الأدلة الشرعية التي تظهر لي، وأعضاء المجمع هم الملزمون بهذه القرارات أمام عامة الناس، وبما أن شيخ الأزهر رئيس المجمع فواجبه الشرعي والعرفي أن يتبنى قرارات المجمع وأن يعمل على صيانتها وحفظها ونشرها، فإذا ما جاء الشيخ ليلغي -عملياً- بعض قرارات المجمع يكون - قانوناً- قد أتى بما يناقض مهنته التي وُظف لها".

د. محمود حماية كان أقل عنفاً وأكثر هدوءاً. فقد رأى أن رفضه لمقابلة شيخ الأزهر للحاخام اليهودي دفاعاً عن

الأزهر ليس فيه إساءة أو تجريح لأحد بمن فيهم فضيلة الإمام، بل هو يَكُنُّ له كل تقدير واحترام وإجلال. فما قاله عبارة عن اجتهاد ورأي عبّر عنه لشعوره بواجبه وحبّه للأزهر ومن حقه أن ينشره ومن حق الآخرين أن يردوا عليه دون حساسية ما دام رائدهم جميعًا هو الوصول إلى الحق، وبمنتهى الهدوء عبّر د. حماية عن رأيه في الموضوع كله حيث التعبير عن الرأي بالقلم ليس بجريمة يستحق الإنسان عليها المساءلة بل هو حق كقاته القوانين بل إن الكتابة بالصحف لون من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وعليه فمن حق الرجل أن يدعو إلى الله بكل وسيلة مشروعة.

وفي مواصلة الرجل لهدوئه قال: "ما قلته لم يتجاوز كونه نصيحة متجردة وإسهامًا مخلصًا في قضية تمسُّ مؤسسة لها مكانتها وخطورتها بالنسبة لهذه الأمة وللإسلام أيضًا".

تضمّن اعتراض د. حماية أيضًا ما أظهره من خوفه على الأزهر بعد أن قرر شيخه إلغاء السنة الرابعة من المرحلة الثانوية حيث رأى أن ذلك فيه خطورة شديدة تلحق

أبلغ الضرر بالأزهر ومصر والعالم الإسلامي.. وبمنتهى الأدب هذه المرة طلب د. حماية من شيخ الأزهر أن يتقبل رجاءه في عدم إلغاء السنة الرابعة حتى لا يزداد خريجو الأزهر ضعفاً بعد ضعف.

ورغم هدوء الرجل وحذره الشديد وأدبه بالغة الرقة -رجل يسوق طلبه في رجاء - فقد اتهمه شيخ الأزهر بأنه اعتدى على مقامه الذي يبدو أنه عنده أعلى من الدنيا وما فيها.

د. إبراهيم الخولي كان رده أعنف.. فخرجت كلماته غاضبة ليس بعض الشيء.. ولكن كل الشيء.. توجه الرجل بكلماته مباشرة إلى شيخ الأزهر.. كتب ونشرت جريدة الأسبوع.. قال..

"يا شيخ الأزهر.. خالفناك واختالفنا معك في الكثير.. وسنظل نخالفك ونختلف معك في كل ما نرى أنك لم تصب فيه شاكلة الحق، ولا غضاضة عليك ولا عتب علينا؛ فأنت بشر يؤخذ من كلامك ويترك ولست بمعصوم.

هل كنت تنتظر من العلماء - مثلاً - أن يصمتوا إزاء فتواك في معاملات البنوك وفوائد الودائع والقروض - مرة

أخرى تفتح الدفاتر القديمة - وعلى ما اتفقت عليه المجامع
الفقهية في العالم الإسلامي، ومن بينها مجمع البحوث
الإسلامية بالأزهر الشريف في مؤتمره الثاني والذي عقد في
محرم ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م، إنه لشيء عجاب أن تبيح
لنفسك خرق هذا الإجماع العريض ثم تحرم على نظرائك
وأنداك أن يخالفوا لك رأياً أو اجتهاداً تقف وراءه وحدك،
وترفض كل دعوة لمناظرة حوله أو حوار، ومقابلتك للسفير
الصهيوني ثم للحاخام الصهيوني إنها فتوى غير مباشرة،
قصدت أم لم تقصد. بإباحة التطبيع مع اليهود، وقد بدت
ثمارها المرة فتجاسر على التعامل مع الأعداء الغاصبين، من
كان يتردد أو يحيك في نفسه شيء من التائب، وقد استغلها
اليهود أسوأ استغلال لو علمت".

ويواصل د. الخولي قذائفه:

"ماذا تريد منا بالتحديد؟ أن نجهر بما نعتقده الحق
إرضاءً لله ولو أغضبك؟ أو نكتمه ليرضيك وإن كان فيه
سخط لله؟ أهذا خيار حتى يستخار؟ أنا لا أراه ومتى وجب
البيان حرم الصمت".

ويضيف د. الخولي إلى مدفعيته:

"الآن.. ماذا ترى في هذا الذي أقدمت عليه من عنف وعسف وجبروت في إدارتك للخلاف مع معارضيك؟ لقد ظلمت نفسك حين أظهرتها على هذا النحو، وظلمت الآخرين حين أنكرت عليهم حق الاجتهاد وحق الاختلاف معك وفيهم أقران لك وأنداد، وليس لك أن تصادر حقهم في الوفاء بما في أعناقهم من حق الله، إنك تخنق كلمة الحق بالمثالات التي ترهب بها الآخرين من خلال التحقيقات ومجالس التأديب، التي نقلت إلى الأزهر الشريف أجواء العصور الوسطى ومحاكم التفتيش، ونسيت أنك خرجت على أدب الحوار حتى أسرفت في السباب والشتم وتوجيه الاتهامات بغير حق، وخرجت على أدب الخلاف فأدخلت المنصب واللقب في قضايا من شأن العلم وحده، وليس بين مقاييس الحق فيها مكان للمناصب والألقاب.. فالحق يُعرف بالدليل والبرهان".

ويصل د. الخولي مع د. طنطاوي إلى نهاية المطاف..

يقول:

"وأخيرًا يا شيخ الأزهر ظلمت الدولة حين اتخذت من المنصب واللقب ذريعة لأن تنتزع من سلطاتها وأجهزتها

ما تصفي به مخالفيك في خصومة غير متكافئة أنت تستعدي
علينا الدولة من موقعك.. ونحن نستعين الله عليك...!!
خاتمة قاسية.. ووعيد أشد قسوة.. لكن الشيخ الأزهر
لم يرتعد.. وحلّ جبهة علماء الأزهر التي ألحق بها وبعلمائها
كل ما يشين.. وعندما حكم القضاء المصري بعودة جبهة
العلماء ونبذ عنها تهمة التطرف التي رماها بها شيخ الأزهر
ظل الرجل على عناده، ووقف على جبل من غرور وقال
بمنتهى الثقة التي لا تنتهي..

"حصل علماء الجبهة على حكم أول درجة وليس حكماً
نهائياً أو تنفيذياً.. ولكننا سنقوم باستئناف الحكم أمام القضاء..
ثم أنه لا يوجد ما يسمى بجبهة في الأزهر ولكن يوجد علماء
فقط بكافة تخصصاتهم العلمية، فنحن لسنا ضد أحد ولم
نخاصم أحداً، لكننا نقف ضد كل من يريد أن يفرض رأيه
على الآخرين".

لجميع منطقتهم فيما يقولون.. لن نقف على التفاصيل
بالطبع.. لأن التفاصيل لا تعينا كثيراً..
يشغلنا فقط ما فعله شيخ الأزهر مع أقرانه وأنداده من
علماء الإسلام وأساتذة الأزهر فالشيوخ أصبحوا- بعد فعلة

الرجل بهم- في متناول الجميع.. أصبحوا جهلاء
ومتطرفين.. ولا بد أن يعاقبوا بالفصل من أعمالهم جزاء
فعلتهم التي لن يغفرها الله لهم - مع أنها ليست شركاً بالله
ذاك الذي لا يغفره الله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء⁽¹⁾

أفقد شيخ الأزهر الناس ثقتهم في علماء الدين، فمن
البديهي عندما يعلن شيخ الأزهر على الملأ وفي الصحف
التي يجب التواجد فيها باستمرار أن شيوخ الأزهر عصاة
ومخطئون، فالناس سيرمونهم بالخطأ وسيبحثون- طبيعة
بشرية لهم- عن عيوب جديدة يمكن أن يكون شيخ الأزهر قد
غفل عنها، ويتكرر الأمر نفسه مع شيخ الأزهر،
فعندما يوقعه علماء الأزهر في حفرة الخطأ فإن الناس
سينظرون إلى معظم آرائه -هم يفعلون ذلك فعلاً- بعين
الريبة؛ فالناس في النهاية بشر وضع نفسك مكانهم.. وإذا

(1) المؤسف أن التاريخ سيسجل في سجله أنه كان هناك شيخ للأزهر
اسمه د. محمد سيد طنطاوي تم في عهده فصل د. اسمه إبراهيم
الخولي - وهذا هو القرار الذي اتخذته لجنة التأديب التي حوّل لها شيخ
الأزهر د. الخولي لسؤاله عما أبداه من نقد لآراء وأفكار ومقام شيخ
الأزهر - وهو الشيء الذي لم يكن له شبيهه في تاريخ الأزهر كله..
رجل يفصل من عمله لأنه اختلف في الرأي مع شيخ الأزهر!!

كان لشيخ الأزهر لسان فإن للشيخ الآخرين ألسناً... وللناس من بعدهم ألسن أكثر يتناولون بها ما يقال.. يعاد ويزاد.. والناس تبحث بالمشوار عن موضوع يسلمون به أوقاتهم الفارغة وما أكثرها.

ثم ألم يفكر شيخ الأزهر - وهو جالس على كرسي المشيخة - في أثر ما يفعله على الشيخ أنفسهم؟ راجع ما قاله ضحايا شيخ الأزهر لتدرك إلى أي مدى هم ناقمون ومحبطون ويأسون..

دع خلاف الشيخ جانبا.. ألا يمكن أن نفسر ما يحدث -وهذا من حقا طبعًا - على ضوء أن شيخ الأزهر يؤدي دوره كموظف في الدولة.. وكذلك الشيخ الآخرون يخضعون لسخافات السلم الوظيفي التي لا يعلم بها إلا الله.. أمّا كونهم علماء فقد تضاعل إحساسنا بذلك كثيرا.

والسبب في ذلك منذ البداية.. هو شيخ الأزهر. وبعيدًا عن خلافات الشيخ..

فإن إدارة شيخ الأزهر لمقابلته مع السفير الإسرائيلي ومن بعده كبير حاخامات إسرائيل كانت استقرازية.. مثيرة لأعصاب الجميع - صغاراً وكباراً - مهّد الرجل لما حدث

فقال: "جاء اللقاء بالسفير الصهيوني بعد طلب السفير الصهيوني لمقابلتي ليسلمني رسالة من "إياهو باكشي" كبير حاخامات إسرائيل يطلب فيها إصدار بيان مشترك يندد بالإرهاب.. المسألة بسيطة إذن..

وأضاف الرجل.. "لقد أبلغت السفير الإسرائيلي أننا أصدرنا بياناً بذلك منذ أكثر من شهر ونحن ضد الإرهاب أيًا كان مصدره سواءً في مصر أو إسرائيل وهو الإرهاب الذي يؤدي لقتل النساء والأطفال، ولكن من يدافع عن حقه وأرضه ودينه لا يسمى إرهابيًا وإنما مدافع عن حقوقه.. ومن يفجر نفسه في العدو الذي يقاتله فهو شهيد".

رائع جدًا هذا الموقف من شيخ الأزهر.

لكن المواقف في الغالب تحسمها الأفعال لا الأقوال.. فرغم أن الرجل أكد أكثر من مرة أن قتلى المقاومة الفلسطينية شهداء وأن إسرائيل دولة معتدية، لكنه قبل أن يستقبل كبير حاخاماتهم. وأين؟ في الأزهر الشريف.. الذي هو في نهاية الأمر صخرة الدفاع ضد كل محاولات اختراق من إسرائيل أو من غيرها.

وعندما اعترض علماء الأزهر وشيوخه والناس في الشوارع والكتّاب في الصحف.. وحتى الطلبة في المدارس خرج شيخ الأزهر بألف ذريعة لتلك المقابلة.. كان أقساها وأعتاها.. أنه قابل الحاخام اليهودي تأسياً بالرسول فالرسول كان قدوته فكما قابل اليهود وعقد معهم صلحاً فقد قابل الرجل اليهودي - على حد قوله - حتى يقنعهم أنهم على باطل.

منطق غريب جداً يا مولانا!!

تقول ذلك رغم علمك الشديد بمن هم اليهود - لن نذكره طبعاً برسالتة التي حصل من خلالها على درجة الدكتوراه فقد كانت عن بني إسرائيل في القرآن - وتوالت صغائر الأمور.

فقد أعلن شيخ الأزهر أنه لا يعرف ماذا يقصد معارضوه بكلمة تطبيع.. وأنها كلمة مرفوضة بالنسبة له على كل الأصعدة.. رغم أن الرجل ومبكرًا جدًا كان مؤيدًا للرئيس السادات عندما سافر للقدس وعقد صلحاً مع اليهود، بل كان من المؤيدين للتطبيع - أيامها كان يعمل في السعودية- ومنعه من إعلان موقفه موقف من كان معه من

علماء الدين الذين رفضوا السلام مع إسرائيل بكل صورته.. وظل محتفظاً برأيه ذلك خشية من رد فعل شيخ الأزهر السابق الشيخ جاد الحق علي جاد الحق الذي كان يرفض التطبيع مع إسرائيل رفضاً قاطعاً بل حرم الذهاب إلى إسرائيل أو القدس إلا بعد عودة الحقوق العربية، وكان الشيخ قد أعلن رأيه هذا وبمنتهى الصراحة في مؤتمر قمة الشرق الأوسط الاقتصادية والتي كان يحضرها في الدار البيضاء عام ١٩٩٤ وعندما زكاه الشيخ جاد لمنصب المفتي.. وأصبح المنصب بين يديه أعلن رأيه بصراحة في السلام فقد أصبح في منعة من غدر الآخرين بقوة منصبه وهو ما يعتقده إلى الآن.

وعندما تحدّث شيخ الأزهر عن استقباله للباحث اليهودي تحدّث حديث المهتز القلق.. حديثاً يبتعد كل البعد عن كونه حديثاً لشيخ أزهر..

أذيع الحديث على قناة الجزيرة القطرية.. وبدا الحوار هكذا...

المدّيع.. لماذا لم يحدث مثل هذا اللقاء من قبل..؟
ولماذا رفضه شيخ الأزهر السابق؟

شيخ الأزهر .. أنا فعلت ما فعلته اقتداءً بالرسول الذي قابل اليهود وحاورهم، وعندما أقول لك الرسول لا تقل لي فلاناً (فلان هنا طبعاً هو الشيخ جاد الحق) .. فهذا هو اجتهاده وهذا اجتهادي، وهو أن كل من لا يقابل أعداءه لكي يرد على شبهاتهم ويضع أصابعه في عيونهم فهو (جبان) واجتهادي نابع من كتاب الله الذي تحدّث عن اليهود في أكثر من ثلث القرآن، ولا بد أن تعرف أنك تتحدّث مع (صاحب رسالة للدكتوراه عنهم) تحدّثت فيها عن كل دعاوهم الكاذبة وعقوبة الله لهم.

وهذه الرسالة ليست وليدة اليوم فهي قد نوقشت في ٥ ديسمبر سنة ١٩٦٦، وما زالت مؤمناً بكل ما جاء فيها، وما يحيرني هو كلمة (تطبيع التي لا أعرف معناها حتى الآن) .. فأنا لم آخذ تلموده فهو مجرد رجل جاء يعرض مقابلتي، فقلت له أهلاً وسهلاً، أرفض مقابلته ليذهب إلى بلده ليقول شيخ الأزهر عجز عن مقابلتي؟ أنا لا أعجز عن مقابلة أحد لا هو ولا ألف واحد زيّه، واللي بيقولوا تطبيع (يا ريت ييجوا معاهم كمان علشان يسمعوا أنا قلت إيه) .. أنا قلت له عندما دعاني لزيارة القدس، وكان يجلس بجانبه

السفير الإسرائيلي أنا لن آخذ التأشيرة من هذا السفير أنا
لن أذهب إلا بتأشيرة من السلطة الشرعية الوطنية
الفاستينية..

المديع.. شاحار إيلان الصحفي الإسرائيلي قال في
الهاآرتس "الحاخام فاز في معركة الهامة على قلب الإسلام
حين حظي بلقاء شيخ الأزهر" ما ردك؟!!

شيخ الأزهر.. هذا كلام يكذبه الواقع فأنا لم أطلب لقاء
الحاخام، فهو الذي طلب مقابلي، وخرج من المقابلة
(وجهه كقفاه). ومن يشهد للحاخام إلا واحد من أهله،
وهذا الصحفي لم يكن معنا؛ ولذلك فهو كاذب.

المديع.. هل هناك فائدة من لقاءك هذا؟

شيخ الأزهر.. طبعًا فالنسبة لي شخصيًا فقد أفحمته
وبيّنت له أن الإسلام هو دين الحق (!!!) علامات التعجب
من عندنا.

المديع.. لكن المعارضين يقولون إن شيخ الأزهر ليس
مجرد شخص.. بل هو رمز للإسلام، ولذلك فهذه المقابلة
ستفيد التطبيع.

شيخ الأزهر .. (برضه حيقول لي تطبيع).. يا ابني
التطبيع كلمة جوفاء فمن نقابله لا نتأثر به إنما نؤثر فيه.

المديع.. وما ردك على د. سليم العوا الذي قال إن
اللقاء أخطر على العرب من كافة أشكال التطبيع؟

شيخ الأزهر.. (هذا منطق الجبناء).. (الأذلاء)
(السليبين).. قل لصاحبك اللي بيقول الكلام ده إنه يقوله لأنه
(جبان). أمّا أنا فأقابله وأخرس لسانه وهل يستطيع د. العوا
أن ينكر دينياً مقابلة الرسول لهم وذهاب أبي بكر لهم في
دارهم، وبعد هذا يقولون تطبيع.. تطبيع إيه؟⁽²⁾

المديع.. ما رأيك فيما قاله مجمع البحوث الإسلامية
سنة ١٩٦٦ بعدم لقاء حاخامات اليهود؟

شيخ الأزهر.. بفرض صحة هذا الكلام فمن حقي أن
أخالفه ورأيي أن كل من يرفض المقابلة لكي يصفع العدو
على وجهه فهو (جبان) ولكن بشرط أن تكون المقابلة في
خدمة الإسلام.. فأنا قابله لكي أرد على الشبهات وأقول له
القدس عربية..

(2) وصل رفض شيخ الأزهر د. طنطاوي لمن يسألونه عن التطبيع إلى

أن قال إن الذين يرفضون التطبيع تحت حذائي!!

يكفينا هذا القدر من حوار الشيخ مع الجزيرة والذي نشرته مجلة روز اليوسف وإن كنت في حاجة إلى تعليق.. فأعد قراءة الكلمات داخل الأقواس لتعرف إلى أي مدى كان الرجل مهتزاً. ومتسرعاً.. ومتعدياً على الآخرين.. فالمريب دائماً يا سادة يكاد يقول خذوني...!!

انس تماماً صراع الشيخ مع أقرانه بسبب هذه المقابلة.. والتقت إلى رد فعل الناس في الشوارع والبيوت والحارات.. فقد سحب الشيخ من رصيده عندهم كثيراً.. ربما وهو لا يدري.. وإن كنت أظن أنه يدري لكنه لا يعبأ بشيء.. أي شيء..

لا يعرف أحد كذلك بالتحديد موقف شيخ الأزهر من حرية الفكر والتعبير فهو مثل الآلاف الذين يحترفون ترديد العبارات الإنشائية التي تؤكد حرصه على الحرية مستنداً من ذلك إلى مرجعية إسلامية تعطي الحق لعباد الله - كل عباد الله - أن يفكروا بحرية ويتحدثوا بحرية ما دام أنهم وقفوا تحت مظلة الإسلام لم يخرجوا عنها.. لكن حتى هذه لم يثبت فيها شيخ الأزهر.. وظهر موقفه يعاني من ازدواجية شديدة، فلم يقف الرجل موقفاً يحسب له من قضية نصر حامد أبو

زيد الذي مزقوا كرامته إرباء، وأهدروا حرите على قارعة الطريق يدوس عليها كل عابر سبيل مهما كان تافهًا وسخيفًا وساذجًا، بل هاجمه وأهال التراب مع من أهالوه على وجه د. نصر، وفي الوقت نفسه يسمح وبمنتهى البساطة وسماحة النفس بنشر وتداول كتاب (صديقه). والكلمة بين القوسين مهمة جدًا. د مصطفى محمود «زيارة إلى الجنة والنار» وهو كتاب وزَّع فيه د. مصطفى الهبات على عباد الله فأدخل من أراد الجنة، وأسكن من شاء النار، كتب الرجل بمنتهى الثقة وبمنتهى الاعتقاد أنه أصبح من أولياء الله الصالحين، ومن حقه إذن - ما دامت رفعت له الحجب- أن يفتي كيفما شاء.

رفضت الرقابة أن يُحوَّل الكتاب إلى مسرحية أخرج لهم د. مصطفى موافقة شيخ الأزهر صديقه د. سيد الذي أشاد بالكتاب ومدح ما جاء به، وكأنه بهذه الموافقة حصل على تصريح إلهي يجب أن يخضع له الجميع، مهما كانت أسبابهم منطقية وموجبة للرفض..

الأمر نفسه تكرر بعد أن سمح د. طنطاوي بتداول كتاب د. عبد الصبور شاهين "أبي آدم.. قصة الخليقة بين

الأسطورة والحقيقة" وهو كتاب به من الشطحات ما به،
وما يحتم الوقوف أمامها ومناقشتها لا بغرض مصادرتها
فحن لا نريد ذلك ولكن ليعرف الناس الحقيقة.

ليس الهدف بالطبع مناصرة د. نصر أو إعادة فتح
ملف قضيته، ما نرغب في معرفته هو المعيار الذي يسمح
على أساسه شيخ الأزهر بتداول كتاب معين ورفض آخر،
فهل المعيار في السماح بتداول الكتب التي تتعرض لمناطق
شائكة أصبح هو صداقة شيخ الأزهر، فما دام مؤلفو هذه
الكتب يستطيعون الجلوس معه والحديث إليه عن قرب،
ويقتنعونه بما قالوا.. تصبح الأمور كلها يسيرة وممكنة.
حتى لو كانت الكتب تتعلق بمسائل غيبية..

وما يحير في موقف شيخ الأزهر من حرية الرأي
والتعبير أنه ليس واضحًا على طول الخط.. فهو مرة مع..
ومرة ضد.. ومرة بين بين!! وقد بدت هذه الحقيقة واضحة
جداً عندما تفجرت أزمة رواية "حيدر" في صيف ٢٠٠٠ في
القاهرة، ووقتها كان شيخ الأزهر في السعودية يتسلم جائزة
بصفته شيخ الأزهر، ولم يسمع الناس لكلمة من الرجل حتى
عاد.. وساعتها قال من انتظر مجيء الشيخ.. وليته ما قال!!

لن نخوض في تفاصيل رواية حيدر.. فهذا حديث آخر.. ولكننا فقط سنمس الموضوع من زاوية ارتباطه بشيخ الأزهر ورجاله، فقد التقت المثقفون المصريون وقراء الصحف العاديون إلى ضجة بدأتها صحيفة "الشعب" من خلال مقال لطبيب أشعة -يكتب الروايات ويدبج المقالات أحياناً -استعدى الرجل في مقاله أمة لا إله إلا الله كلها على وزارة الثقافة وكل العالمين فيها؛ لأنها أعادت طبع رواية حيدر حيدر "وليمة لأعشاب البحر" وهي الرواية التي أصدرها الرجل في بلده سوريا منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً.. وسبب الاستعداد أن الرواية كافرة وسافلة وتسبب الله والرسول وتسخر من الإسلام.

ولأننا شعب طيب ومسال� ومتدين.. دون أن نقدم دليلاً محترماً على ذلك هبَّ الجميع يطلبون براءة المؤلف والوزير والمسئولين عن النشر جميعاً، قال المثقفون كلمتهم رافضين تماماً التحريض على المثقفين وتكفيرهم والتعامل معهم بأسلوب محاكم التفتيش التي انتهت زمنها وانقضت أيامها.. وتعشَّم المثقفون في الأزهر خيراً.. وأنه سيساند قضية المثقفين وسيقول كلمة حق وينصف الرواية.. وجاء الشيخ

الأزهر ليتخذ قراره بتحويل الرواية إلى مجمع البحوث الإسلامية ليقرأها ويقول قولاً فاصلاً.

ولم يكن شيوخ المجمع في حاجة لقراءة الرواية.. لأن ما كتبوه بعد ذلك هو نفسه ما قاله طبيب الأشعة في مقال جريدة "الشعب" وأصبح التكفير هذه المرة رسمياً مشفوعاً بختم شيخ الأزهر.. الذي تبنى موقف مجمع البحوث الإسلامية من الرواية وأصبح يدافع عنه في كل مكان، بل زاد على ذلك أنه طالب بأن يقرأ الأزهر أي عمل تتوي وزارة الثقافة طباعته لعل وعسى يكون له علاقة بالدين.. وعليه فالأزهر يجب أن ينظر ويراقب ويشطب.. فهو حامي حمى الدين.

موقف شيخ الأزهر جعله هدفاً لسهام المثقفين الذين وضعوا مناصرة حرية الرأي والتعبير هدفاً لهم وهاجموا الأزهر ورجاله وقارنوا بينه وبين الأزهر فيما انقضى من عصور، ويكتب د. جابر عصفور في جريدة "الحياة اللندنية"، وهو مثقف مصري محسوب على المؤسسة الرسمية مثل شيخ الأزهر تماماً.. وإن كان الأول ينتمي لمؤسسة تنوير والآخر ينتمي لمؤسسة تضع القيود أمام هذا التنوير.. يكتب

الدكتور: "أتصور أن الأزهر عندما يضع نفسه موضع الحكم على الأعمال الأدبية، فإنما يسرف على نفسه ويسرف على الناس ويترك مهامه الأكثر أهمية لأعمال يمكن أن ينهض بها عنه نقاد أكثر دراية بمسألة الأعمال الإبداعية وشعابها المراوغة التي يمكن أن تضلل غير الخبير بها، وليت الأزهر يستكمل تحقيق التراث الإسلامي ونشره، وليته يواصل حلم الإمام محمد عبده بتجديد الفكر الإسلامي الذي ينبغي أن يتصدى بقدرة المعرفة المتطورة لحل مشكلات العصر الذي نعيشه".

د. عصفور ما كتب مقاله إلا ليصل حلمه في أن يدعو الأزهر الناس إلى المجادلة والتي هي أحسن والكف عن استخدام لغة التكفير التي تشعل الفتنة بين أبناء الأمة، لقد أصاب الرجل فيما ذهب إليه، لكنه لم يصب قلب الداء.. فالمأزق أن رجال الأزهر وعلى رأسهم شيخه تحولوا إلى موظفين.. والموظف في بلدنا دوره أن يطبق اللوائح ويحتفظ بصلاحياته حتى الموت، لكن أن يبدع أو يبتكر أو يضيف.. فما شاء الله أن يحدث ذلك.

مؤكد أن شيخ الأزهر في كل هذه المواقف يتحرك من منطلق حرصه على الإسلام.. ولكن في سلوكه من قضايا حرية الرأي والتعبير تبدو لنا بعض الازدواجية التي تحكمه وإن كنا نرجح أن الأمر لا يتعلق بازدواجية كما يبدو.. ولكن الأمر يتعلق بطيبة شيخ الأزهر، فهو لا يحب أن يكسر بخاطر أحد، وكل من يقصد مكتبه لا بد أن يخرج مجبوراً بشرط أن يكون شخصية مهمة، فما زالت أزمة تصريحات شيخ الأزهر للسفير الفرنسي تطن في الآذان، فقد اقتحمت الصحف المصرية الناس في الشوارع والبيوت بكلام قد يكون غريباً بعض الشيء، حيث صرّح فضيلة شيخ الأزهر أثناء لقائه بالسفير الفرنسي الذي سأل الشيخ عن مسألة حجاب المرأة المسلمة في دولة لا تدين بالإسلام قال الشيخ "إن المرأة المسلمة يجب أن تلتزم بتعاليم الدولة التي تعيش فيها، ويجب عليها أن تحترم ما تصدره هذه الدولة من أحكام، فإذا كانت الدولة ترى أن الزي الإسلامي مخالف لتقاليدها وعاداتها فيجب أن تلتزم بذلك ولا تعارض".

تابع الناس هذا التصريح بدهشة - أصبحت تصاحبهم وهم يستمعون لمعظم آراء وفتاوى د. طنطاوي - طُرحت

التساؤلات.. وأثيرت علامات التعجب.. وحتى تهديء الدولة من روع الناس خرجت جريدة الأهرام بخبر صغير في صفحة الدولة تنفي من خلاله كل ما قاله د. طنطاوي، حيث إنه لم يدل بهذا الكلام ولم يقله ولا يعترف به وظنت الجريدة أنها أنهت بذلك البلبلة والشغب الذي أحدثه تصريح شيخ الأزهر.

وكان الناس على موعد مع شيخ الأزهر بشحمه ولحمه وصوته وفي راديو النذن حيث قامت جيهان العلايلي مراسلة الراديو في القاهرة بلقاء الشيخ ودار الحوار جيهان.. قرأنا في الصحف المصرية خبراً على لسان فضيلتك تقول فيه إن المرأة المسلمة يجب أن تلتزم بتقاليد وقوانين البلد الذي تعيش فيها؟!

شيخ الأزهر.. هذا صحيح فالمفروض أن المرأة المسلمة يجب أن تحترم وتلتزم بقوانين البلد الذي تعيش فيه؛ لأن ذلك من تقاليد الإسلام.

جيهان.. ولكن قد تقضي هذه القوانين بأن تمنع المرأة المسلمة من الدخول إلى أماكن العمل والمدارس والجامعات إذا ارتدت الحجاب؟

شيخ الأزهر .. عليها أن تلتزم بذلك وترتدي فقط ما يسترها ولا يكشف منها سوى الوجه والكفين؛ لأن هذا ما وصانا به الإسلام.

جيهان .. ولكن قد يُمنع ذلك أيضًا؟

شيخ الأزهر .. على المسلمة أن ترفع أمرها في هذا الوقت للقضاء في هذه الدولة، وتضع أمامه الأمر كله وهو الذي يفصل بين المرأة المسلمة والحكومة في هذا الشأن، حيث إن الحجاب جزء من عقيدتها، وعليها بعد ذلك أن تلتزم بكلمة القضاء.

جيهان .. وإذا لم ينصفها القضاء؟

شيخ الأزهر .. عليها إذن أن تهجر هذه الدولة نهائيًا، ولا تقيم فيها فأرض الله واسعة وعليها أن تهجر في سبيل الله وتصل إلى أرض جديدة ليس فيها تضيق على المسلمين وهذا أمر ثابت في الدين أيضًا.

جيهان .. ولكن هؤلاء الناس قد استقروا ولهم أعمالهم، وكل شئون حياتهم في هذه البلاد ومن الصعب أن يخرجوا منها أو يهجروها .. فماذا يفعلون؟

شيخ الأزهر .. الأمور واضحة وقد قلنا قبل ذلك..
ولا بد من جهاد وتضحية.

ألم نقل إن الرجل في غاية الطيبة فلم يرغب أن
يغضب السفير الفرنسي فلو قال له ما يغضبه لأثر ذلك على
العلاقات بين البلدين.. وهو لا يرضى أن تتأثر العلاقات..
أي علاقات!!..

لن نلتفت إلى المنطق الذي يفرض على شيخ الأزهر
أن يقول إن السائحات يجب أن يلتزمن بزي محترم وهن في
البلاد الإسلامية.. لأن عقيدة هذه البلاد تقتضي ذلك.. لكن
تلك نقرة.. وهذه أخرى، وشيخ الأزهر لا يجيد الحديث في
موضعين في وقت واحد.

لا ينسى مولانا الشيخ بالطبع ما أثير حول إصراره
على أن يتلقى الأزهر الشريف أموال الزكاة لينفقها في
مصارفها الشرعية، الأكثر من ذلك أن صراعاً مريباً وحاداً
تفجّر أكثر من مرة بين الأزهر ووزارة التأمينات الاجتماعية
بسبب رغبة كل منهما في تحصيل أموال الزكاة.. فكل منهما
يسعى للانفراد بجمعها وصرفها.. ويقوم الأزهر بين وقت

وآخر بالإعلان في مختلف وسائل الإعلام لدعوة المواطنين إلى تقديم الزكاة للإدارات التابعة للأزهر.

الغريب أن شيخ الأزهر أثار حول نفسه كثيراً من الشبهات والغبار فالقاعدة الإسلامية تقول إن الزكاة يأخذ منها العاملون عليها، وشيخ الأزهر في هذه الحالة من العاملين عليها وله نسبة من الزكاة إذن، وفسر البعض إصرار الشيخ على جمع الزكاة وعدم تنازله عن ذلك بأن نسبته من ذلك كبيرة..

يعلق على ذلك المحامي خليل عبد الكريم.. يقول: "الذي نعرفه والناس كافة أنه لا توجد مادة في قانون الأزهر تبيح له جمع أموال.. تبرعات.. اشتراكات صدقات.. زكوات.. و منذ صدوره لم يُقدم أحد شيوخه قبل د. محمد سيد طنطاوي على هذا العمل المعجب".

ويضيف خليل "حتى إذا كان التهليل يستتر وراء آية القرآن فهل يجوز للأزهر أن يباشره؟ وفي المعجم الوسيط اهتلب السيف من غمده: سلّه. وانضرب مثلاً توضيحياً.. هل يُسمَح للشيخ أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر أن يفتح بوتيكات على سور الجامعة بحجة أن الله أحلّ البيع وحرّم

الربا، وأن تسعة أعشار الرزق في التجارة وأن أعيان الصحابة ومشاهيرهم وكبارهم كانوا تجارًا، وهم لنا كالنجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا؟ في الدولة التيوقراطية من الجائز أن تعمل كل أية ما تريد "في القاموس المحيط الأيأة = الهيأة وزنا ومعنى" لأن ما يسيرها هو رغبة منفيها وأهواؤهم، أمّا في دولة المؤسسات فإن السيد هو القانون وحده وأي مواطن فيها يخضع له حتى ولو كان إمامًا أكبر.. أليس ذلك صحيحًا..؟

أمّا الشق الديني فإن ما أقدم عليه الشيخ طنطاوي فهو يثير قضية هامة كتبنا فيها وهي "تاريخية النصوص" فقد كان العاملون عليها أو المصدّقون يبذلون في جمع الزكاة أو الصدقة جهودًا مضيئة: سفرًا بعيدًا وشاقًا، في جو لافح وعبر مسافات شواسع، وخدمة متعبة لإبل الصدقة بداية بطعامها وشرابها، ومرورًا بمداواتها بالقار "الزفت" عند مرضها إلى حراستها ورعاية صغارها.

لهذا فهم يستحقون الثمن، أمّا الجالسون في الحجرات الأنيقة والمكاتب المكيفة الهواء والذين يسعي إليهم المتصدقون (المزكون) أو يرسلون لهم زكاواتهم وصدقاتهم

بحاولات أو شيكات فكيف نطلق عليهم وصف "العاملون عليها" فأى عمل أدوه وبالتالي كيف يستحقون ثمنها؟ ألم يتجاوز التطور التاريخي والتقدم الحضاري والاختلاف البيئي والبعد الزمني مفهوم "العاملون عليها" مثل عشرات غيره من المفاهيم؟ هذه حقيقة يجب التسليم بها وإلا وقعنا في هذه المفارقة الصارخة وهي المساواة بين المصّدق الذي يقطع الصحراء في الحر والقر ويطعم الإبل ويحرسها ويعتني بها وبين الموظف المتكئ على كرسي وثير في مكتب مكيف الهواء.

ولقد قرأت - الكلام ما زال لخليل عبد الكريم - أن الزكاة المستحقة بخلاف الصدقات تبلغ اثني عشر مليار جنيه وبهذا يصل سهم "العاملون عليها" ملياراً ونصف مليار جنيه، وحتى إذا تم تحصيل ربع هذا المبلغ أي ثلاثة مليارات جنيه فيغدو نصيب "العاملون عليها" ثلاثمائة وخمسة وسبعين مليون جنيه، فكيف يستحل شيخ الأزهر ويطانته هذا المبلغ الجسيم أو حتى جنيهاً واحداً من أموال الفقراء والمساكين بحجة أنهم من "العاملون عليها".

الله أعلم بالطبع بنية شيخ الأزهر وتفكيره، لكن ما الداعي لإصراره على ذلك جالبًا على نفسه الكثير والقليل من الشبهات.. مع علمه الشديد أن وزارة الشؤون الاجتماعية هي الجهة الرسمية المخوّل لها جمع الزكاة من خلال بنك ناصر الاجتماعي الذي يقوم بذلك من خلال ٥ آلاف لجنة تابعة له ثم يقوم بإنفاقها على مساعدة اليتامى والأرامل والمطلقات والمساكين.. ولا مكان في ذلك للعاملين عليها.. إصرار الشيخ يعكس بالنسبة لنا نحن صفة قد لا تصدق أنها من صفات الشيخ فالرجل عنيد.. وكان رده على المؤتمر الصحفي الذي عقده الوزيرة ميرفت التلاوي مؤكدة أنه ليس من حق شيخ الأزهر جمع الزكاة.. أن كثف الإعلان عن تلقي الأزهر للزكاة..!!

موقف خاطف ولمحة سريعة نرصدها.. فالرجل - وربما عن غير قصد منه - يتم استغلاله بشكل سيئ.. فعلت ذلك وبيراعة جريدة أخبار اليوم من خلال رئيس تحريرها إبراهيم سعده، فالجريدة تتبنى مجموعة من الأفكار التي تظهر للوجود فقط عندما ترغب الحكومة في

إظهارها.. خذ عندك مثلاً مسألة تعاملات البنوك..
حلال أم حرام..؟ ثم شرعية ما يسمى بالبنوك الإسلامية!!..
خذ عندك أيضاً مسألة التبرع بالأعضاء البشرية، استخدمت
الجريدة شيخ الأزهر كرأس حربة في هجومها وشيخ الأزهر
كعادته - التي لا يقطعها الله أبداً - كان كريماً للغاية..

ففي حكاية التبرع بالأعضاء البشرية لم يكتفِ الرجل
بأن أوضح حكم الشرع ولكنه أول من كتب تعهداً يتبرع
بمقتضاه بكل أعضائه للمرضى بعد موته، وبصرف النظر
هل أعضاء الشيخ ستكون صالحة للاستعمال أم لا فإن الرجل
بالغ في كرمه.

الأمر نفسه تكرر في حكاية تعاملات البنوك فلم يكتفِ
الرجل بأن أوضح حكم الشرع وإنما زاد على ذلك أن قال
وبمنتهى البساطة - والصرامة - واصفاً الدول التي يوجد
فيها بنوك إسلامية بأنها دول متخلفة.

يفعل ذلك شيخ الأزهر وكأنه لا يعرف أن هناك شيئاً
اسمه (اختلاف في الرأي). ويمكن أن يكون الرجل مخطئاً
لأنه لا يتحدث بوحى من السماء فما يقوله مجرد اجتهاد،
لكنه لا يكتفي بأجر واحد - مجتهد أخطأ - بل يصر على

مصادرة الأجرين - مجتهد أصاب - ولذا يحارب الجميع من أجل إثبات صحة اجتهاده.

انتهت بنا اللحظة السريعة والموقف الخاطف.

العاصفة الأكبر التي أثارها شيخ الأزهر على نفسه كانت بسبب رغبته فيما يسمى بتطوير الأزهر.. أو استراتيجية النهوض بالأزهر.. ولخص الرجل ذلك في نقاط محددة.

فقد طالب شيخ الأزهر بأن تكون مدة الدراسة في المرحلة الثانوية الأزهرية ثلاث سنوات بدلاً من أربع سنوات وذلك لأنه - كما قال - نطالب بذلك باسم العدالة والمساواة والرحمة بالطالب الأزهرى؛ لأنه ليس من العدل ولا من المساواة ولا من الرحمة أن تكون الدراسة في المرحلة الثانوية ثلاث سنوات في وزارة التربية والتعليم وغيرها وتكون في الأزهر أربع سنوات، وقد أرجع شيخ الأزهر هذا الطالب - إلى رغبة أولياء أمور الطلبة والطالبات الذين يدرسون في الأزهر خاصة بعد أن تحول آلاف الطلاب والطالبات من الأزهر إلى غيره.

أكد الرجل انه لا مساس بحفظ القرآن ودراسة المواد الشرعية واللغوية بجميع مراحل التعليم بالأزهر، حيث سيحافظ عليها محافظة تامة، ولن ينقص منها شيئاً.. وإن كان لن يمنع ذلك من مراجعة هذه المواد وتهذيبها عن طريق الخبراء والأمناء.

كان من الممكن أن يطرح شيخ الأزهر وجهة نظره تلك للمناقشة فيشترك فيها الخبراء والأمناء كما يقول.. وعندما يصلون إلى قرار يكون القرار السليم لكن بمجرد أن اعترض بعض علماء الأزهر على رغبة الأمام الأكبر في التطوير انهالت عليهم سياطه وتتابعت كلماته التي كانت على النحو التالي.. وكما وردت في جريدة الأهرام.. قال عن معارضيه "منهم من يتكلم وهو لا يعرف شيئاً عن الدراسة في الأزهر ومنهم من يتكلم بقصد المباهاة والتفاخر، ومنهم من يتكلم بما يخالف الحقيقة مع أنه يعرفها، ولكن سوء نية حمله على كتمان الحق، فهو ممن قال الله تعالى فيهم "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون".

وقال عنهم: "كفوا عن القول بغير علم"

وقال عنهم "نقول لهؤلاء الذين لا صلة لهم بالأزهر وليس لهم أبناء أو بنات بالأزهر، ولم يعرفوا كتابًا واحدًا من الكتب التي تدرس بالأزهر، نقول لهم ما دمتم تجهلون الحقيقة فاسكتوا وكفوا عن دعواكم، ونقول لغيرهم ممن يعرفون الحقيقة ولكنهم يكتمونها لسوء نياتهم وخبث طوياتهم.. توبوا إلى الله تعالى واتركوا هذا الجهر بالسوء"..

وقال لهم: "غدا سنلقى الله تعالى.. وسيحاسبنا جميعًا على أقوالنا وأفعالنا، وسنرى جميعًا" أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًا".

افترض شيخ الأزهر سوء النية واستبعد أن يكون من بين معارضية رجل رشيد يعمل - كما يعمل الشيخ- من أجل دين الله فأخذ يكيل الاتهامات لمعارضيه فهم جهلة وجبناء ومتطاولون وعملاء ومرترقة.. أصدرت جبهة علماء الأزهر بشكل عقلائي جدًا بيانًا استنكرت فيه ما يقدم عليه شيخ الأزهر من تطوير الأزهر، ورصدت له بعض ما يرفضونه في الكتب التي يدرسها الطلبة.. ومنها حسب ما ورد في البيان..

في كتاب اللغة الإنجليزية المقرر على الصف الثاني الثانوي، الوحدة العاشرة من الدرس الثاني والعشرين تحت صورة لشباب وفتيات سافرات يرقصون.. جاء الحوار التالي بين شاب وفتاة.

الفتاة (للشاب سامي).. لازم نرجع إلى الفندق الساعة الثامنة مساءً لأننا سنرقص هذا المساء..
فيرد سامي: إذن هيا بنا.

وفي كتاب اللغة الإنجليزية المقرر على الصف الثالث الإعدادي عام وأزهري الدرس الثاني الصفحة الثانية عشرة جاء على لسان بطل القصة، والذي يمثل القدوة فيها قوله: لقد اعتدت أن أرقص كثيرًا أمّا هذه الأيام فأنا لا أرقص لكنني أعب العود.

وفي كتاب "التربية الوطنية" المقرر على طلاب السنة الأولى الثانوية الأزهرية والتربية والتعليم والذي يسخر من الأزهر وعلمائه ورسالته حيث يقول د. عبد العظيم رمضان مؤلف الكتاب "إن الأزهر قد توقف عن الاجتهاد وتجمد على ما وصله من فكر القرون الماضية دون أن يضيف إليه شيئاً.. وإن المؤلفات التي تصدر عن علماء الأزهر تتسم

بالتزمتم وضيق الأفق وإنما لم تقدم جديدًا، بل تدور حول ما سبقها في حلقة لا نهاية لها من شروح للمتون وشروح الشروح، وشروح لشروح الشروح".

ثم يقول: "طريقة التعليم في الأزهر منفرة تقوم على حفظ نصوص دون فهمها وهي نفسها طريقة التعليم في الأزهر حتى الآن".

العلماء حاولوا أن يناقشوا شيخ الأزهر ويضعوا بين يديه أزمة الأزهر الحقيقية لكنه رفع في وجههم السباب.. وما أكثره عند إمامنا الأكبر، كل هذا جعل موقف شيخ الأزهر ضعيفاً.

يتجرأ عليه الجميع..

يقولون رأيهم فيه بصراحة.. والأمثلة على ذلك كثيرة..

كتبت جريدة الأهالي:

"لسنا طرفاً في أية معركة يدخلها شيخ الأزهر ضد موظفيه بشرط أن تكون في قضية عادلة تتعكس على خير الإسلام والمسلمين، ولسنا مع جبهة علماء الأزهر في

المعارك التي تخوضها ضد المثقفين الذين ترى أن لهم أفكارًا لا توافق عليها.

ولكن عندما ترفض الجبهة مقابلة شيخ الأزهر للهاخام الصهيوني، وعندما تعارض مقابله للسفير الصهيوني، وتصدر بيانًا تعلن فيه رأيها، فإننا نؤيدها، ونخوض معركة إلى جانبها؛ لأننا نتصور أن هذا هو الموقف الصحيح، وأن الجبهة بذلك تكون معبرة ليس فقط عن الإسلام الصحيح الذي نعتنقه، ولكن أيضًا عن نبض الشارع المسلم كله.

وتعيد الجبهة بذلك سيرة العلماء العظام الذين لم يخضعوا لسلطة، ووقفوا صامدين إزاء الاغراءات، يقولون كلمة الدين صادقة ومخلصة لوجه الله، ومن حق شيخ الأزهر أن يحيل من يشاء من العلماء إلى التحقيق، ما دام يتصور أنهم موظفون تابعون لسلطانه وعاملون لديه، وما داموا قد ارتكبوا ما يراه من مخالفات إدارية، ولكن ليس من حقه أن يطلب التحقيق معهم لأنهم أبدوا رأيًا إسلاميًا وفقهيًا يخالف رأي فضيلته. فمن واجبه أن يكون قدوة في تقبل الرأي والتشجيع عليه لأن هذا هو الإسلام وأن يكون قدوة في

كلماته إزاء مخالفيه، ليس باعتباره مسلماً ولا شيخاً للأزهر،
ولكن باعتباره إماماً للمسلمين كما يطلق عليه".

نشرت جريدة الأهالي كلامها تحت عنوان العيب..
فقد ارتكب شيخ الأزهر العيب كاملاً من وجهة نظرهم.. ولو
قال الإمام إن هذه الجريدة بنت «...» اتجاهاً معروف فمن
أعطاهما السكنين للطعان.. ومن منحها فرصة أن تعيب على
شيخ الأزهر ما فعله.. والسؤال موجه لشيخ الأزهر نفسه.

إلياهو بكاشي - حاخام إسرائيل الأكبر في رسالة لشيخ
الأزهر حملها سفير مصر في تل أبيب محمد بسيوني.. قال:
"إن الفتوى التي ستصدرها ينبغي أن تقول فيها إن الدين
الإسلامي يعارض قتل الأبرياء من الأطفال والنساء وكبار
السن، وإن الله سوف يعاقب منفذي العمليات الانتحارية
ولن يدخلهم الجنة.. هذه الفتوى سوف تمنع إراقة الدماء
وستجعل السلام يحل في المنطقة والعالم كله..".

الرسالة مؤلمة لكنها وردت للإمام وقرأها..
ولا عجب فقد هان أمر الإمام على نفسه فطبيعي جداً أن
يهون أمره على الآخرين..

ووصل الرفض لمنتهاه عندما قدم أحمد الصباحي رئيس حزب الأمة المصري أحدث مشروعاته لتنظيم الحياة السياسية والدينية في مصر، حيث قام بتوزيع استمارة استفتاء تحت عنوان "مشروع مقترح لبلدنا بتنظيم القيادات الإسلامية بجمهورية مصر العربية". يطالب فيها بإلغاء منصب شيخ الأزهر ومفتي الجمهورية واختيار قيادة إسلامية جديدة تحت اسم "شيخ الاسلام" على أن يجري اختياره من هيئة كبار العلماء بمصر بالتعيين بقرار جمهوري أو بالانتخاب بدرجة نائب رئيس وزراء..

مهما كانت آراء الرجل غريبة فسوف يسجل التاريخ أنه في عهد د. سيد طنطاوي طالب البعض بإلغاء منصب شيخ الأزهر تمامًا.

كل ما فعلته - وما تفعله - يا مولانا شيخ الأزهر يقلل من هيبة الأزهر وشيوخه وعلمائه، فهل يمكن أن يبادر الرجل ويقدم استقالته وهو في كامل الاقتناع بأن ما يفعله هو الخير له و للعلماء ولكافة المسلمين، فالخلافات ستزيد يا مولانا.. والشقاق سيزيد.. والاتهامات ستزيد.. اترك الكرسي ودع الآخرين يفعلون ما عجزت أنت عن فعله.. فليس عيبًا

أن تعترف بأن الأحداث كانت أقوى منك.. ولكن العيب أن
تضع هيبة العلماء على يدك.

٢

شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

الإمام القادم

بعد أن توفي شيخ الأزهر السابق الشيخ جاد الحق علي جاد الحق - مارس ١٩٩٦ - طفت مجموعة كبيرة من الأسماء رشحها البعض لتولي المنصب المهم والكبير، كانت قائمة الأسماء تضم د. محمد سيد طنطاوي - مفتي الديار وقتها - الذي فاز بها في النهاية، طُرح اسمه منذ البداية بسبب علاقاته الوثيقة والمتينة بمؤسسة الرئاسة وبمراكز صنع القرار في مصر، وبالفعل أثبتت هذه العلاقات فعاليتها وحملت د. طنطاوي إلى كرسي المشيخة، وبدا المسئولون وهم في غاية الثقة والاطمئنان، حيث إن د. طنطاوي - وكما عرفوه - كان طبعًا للغاية ومثاليًا للغاية وهو مفتي - ولن يتغير كثيرًا عندما يصبح شيخًا للأزهر - وهو ما حدث!!

الاسم الثاني كان لوزير الأوقاف د. حمدي زقزوق، وكان قد مضى عليه في الوزارة فقط ٨٥ يومًا. وترشيح د. زقزوق جاء طبيعيًا للغاية؛ لأن الشيوخ الثلاثة

السابقين عبد الحليم محمود، ومحمد عبد الرحمن بيسار، وجاد الحق على جاد الحق كانوا يشغلون منصب وزير الأوقاف قبل اختيارهم لمشيخة الأزهر، لكن كانت هناك أسباب عديدة أضعفت فرصة اختيار د. زقزوق منها مثلاً أنه لم يكن يرتدي الزي الأزهري والذي يعتبر شرطاً مسكوتاً عنه ومتفقاً عليه لمن يشغل منصب شيخ الأزهر.

ترددت كذلك بعض الآراء التي رشحت وعلى استحياء وزير أوقاف سابق وهو الشيخ الشعراوي، لكن سن الرجل الذي كان قد تجاوز الخامسة والثمانين لم تكن تسمح له بأن يتولى المنصب الذي يترتب عليه الكثير من المسؤوليات التي تحتاج إلى صحة وعافية وسعة صدر، وهذه المواصفات كان يدخرها الشيخ - رحمه الله - لتفسير القرآن، في الوقت نفسه كان هناك عدد كبير من وزراء الأوقاف الذين كانوا يمتلكون لقب "وزير سابق" منهم د. إبراهيم الدسوقي مرعي الذي عمل وزيراً للأوقاف (١٩٨٢ - ١٩٨٤) ود. الأحمدى أبو النور (١٩٨٤ - ١٩٨٦) ود. محمد علي محجوب (١٩٨٦ - ١٩٩٦) وهؤلاء كانوا يعيدون كل البعد عن عين الحكومة من ناحية لأنهم لا يتلزمون بالزي الأزهري

(باستثناء د. الدسوقي)، ومن ناحية ثانية أنهم كانوا وزراء في الدولة وقد خرجوا من الوزارة لسبب أو لآخر؛ وهو الشيء الذي يعني أنهم ليسوا مقبولين سياسياً، ومنصب شيخ الأزهر مهما كانت نزاهته واحترام الحكوم له، فلا بد أن يكون من يتولاه مرضياً عليه سياسياً.

رؤساء جامعة الأزهر السابقون كانوا أيضاً في بؤرة الأحداث وبرزت أسماءهم بقوة فظهرت أسماء الشيخ محمد السعدي فرهود، ود. عوض الله حجازي، ود. عبد الفتاح الشيخ وكان يتولى رئاسة الجامعة قبل د. أحمد عمر هاشم الذي كان مرشحاً هو الآخر لتولي منصب شيخ الأزهر.

فئة أخرى ظهرت منها مجموعة أسماء لا نستطيع أن نتغاضى عنها، تلك كانت فئة وكلاء الأزهر، وظهر منهم الشيخ سيد سعود ولم يكن مستبعداً أن يتولى المشيخة خاصة أن هناك سابقة تولى أحد وكلاء الأزهر منصب المشيخة حدث ذلك مع الشيخ شلتوت (١٩٥٨)، حيث اختير وهو وكيلاً للأزهر شيخاً دون أن يمر بمنصب الوزارة.

بالإضافة إلى هذه الأسماء ظهر اسم الشيخ عطية صقر الذي كان يشغل وقتها منصب رئيس لجنة الفتوى بالأزهر، على المستوى السياسي كان عضواً بارزاً في مجلس الشعب وله علاقات طيبة بجميع المسؤولين في قطاعات الدولة كافة، وهو ما جعله يجلس مع الشيخ الشعراوي على دكة واحدة.

من حقنا أن نطوي هذه الصفحة تماماً ونغفل كل هذه الأسماء ونترك قليلاً المادة رقم ١٠٣ من قانون الأزهر التي تنص على "يختار رئيس الجمهورية شيخ الأزهر ولا يعزل من منصبه" وتعالوا ناقش وبمنتهى الهدوء.. ونسأل عن شيخ الأزهر القادم.

لا نتدخل في مشيئة الله - فالأعمار بيده وحده - ولا نتدخل في رغبة الحكومة فعندما يحين الأجل ستختار الحكومة شيخاً للأزهر يريحها، يسمع كلامها ولا يزعجها لن نخوض في الأسماء.. فقط نضع من وجهة نظرنا بعض القواعد التي على أساسها يمكن أن يُختار شيخ الأزهر.. الذي سيأتي بعد د. طنطاوي.. أو أي شيخ أزهر في أي عصر..

أولاً.. يجب ألا يكون شيخ الأزهر موظف حكومة.. لأن من يتولى هذا المنصب أكبر من أن يؤمر فيطاع، تكون له الصلاحيات كافة التي تمكنه من أداء وظيفته دون قيود أو عوائق، ويكفي ما يحدث الآن فكلما سألوا د. طنطاوي شيخ الأزهر عن شيء، ووجد أنه سيسبب حرجاً للحكومة يقول يا جماعة لاحظوا أنني في النهاية موظف في الحكومة.. وهو بالفعل كذلك حيث يعيش حياة الموظف الحكومي بكل ما فيها من تفاصيل، التزام بالمواعيد، عدم التواجد في أماكن خارج العمل في الأوقات الرسمية إلا بخط سير.. والأفطع أنه عندما تختلط الأمور وتحتد المناقشات يترك الفتوى والكلام في الشرع، ليعود إلى قواعد وظيفته سالمًا ليقول إنه يختص فقط بالإشراف على شئون الأزهر وشئون المعاهد الأزهرية.. فهذه مهام وظيفته فقط، وما دام مولانا موظفًا لدى الحكومة فهو لا يستطيع أن يعارضها حتى لا تأخذ على خاطرها منه.

ثانيًا.. ليس شرطًا أن يكون شيخ الأزهر القادم يرتدي الزي الأزهرى، فالإسلام ليس زيًا يرتديه العلماء، ولكنه معنى يحملونه في عقولهم وقلوبهم؛ لأن هذا الشرط حتى

لو كان غير معلم يضيع الفرصة على الكثيرين من علماء الإسلام المجيدين المجتهدين فتبتعد عنهم المناصب الرسمية، لا لشيء إلا لأنهم يرتدون البدلة المدنية، ولا ندري صحة الشائعة التي تقول إن د. نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية عندما عين مفتياً كان يرتدي في الأساس البدلة المدنية لكنه خلعها وارتنى الجبة والقفطان ليصبح شيخاً أزهرياً شكلاً وموضوعاً، لا نستطيع أن ننفي أو نؤكد، خاصة أن الشيخ نصر فريد لم يكن وجهاً إعلامياً معروفاً قبل أن يأتي لدار الإفتاء!!

ثالثاً.. لا بد من التحديد الواضح والحاد لوظيفة شيخ الأزهر ودوره، فحسب قانون الأزهر، يُختصُّ شيخ الأزهر بشكل أساسي بالإشراف على التعليم الأزهرى بداية من المعاهد الابتدائية ووصولاً إلى جامعة الأزهر.. تأتي بعد ذلك عدة أنشطة تثقيفية يمكن أن يقوم بها شيخ الأزهر.

لكن الفتوى مثلاً ليست من عمل شيخ الأزهر، فهناك منصب رسمي في الدولة اسمه، مفتي الديار -على الأقل- حتى تنتهي المهزلة التي يشارك فيها شيخ الأزهر الحالي، فالرجل يفتي في أي وكل شيء وعندما تحتم المناقشات

ويختلف الناس ويعترضون على آراء الرجل يتراجع سريعاً ويقول بمنتهى الاستخفاف "فيه عندكم مفتي روحوا أسألوه"..
رابعاً.. بعد تحديد مسؤوليات ووظيفة شيخ الأزهر القادم يجب أن يصيغ كل مواقفه ومواقف الأزهر بالتالي على أساس رأي الإسلام فقط، لكن ما تحتاجه السياسة شيء لا يجب أن يلتفت إليه شيخ الأزهر بشيء من القداسة والاحترام فيجب ألا يظهر اللون الرمادي في مواقف علماء الدين، فالإسلام إما مع أو ضد، لكن الآراء المتناقضة والأفكار الغامضة والقرارات المتعجلة فلا يعترف بها الناس، بل يعترضون عليها حتى لو كان اعتراضاً صامتاً..
فهم يعترضون والسلام..

خامساً.. يطمع الشيوخ أن يكون شيخ الأزهر واحداً منهم يحافظ على هيبتهم وكرامتهم ويؤمن أن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.. وأن يسود خلافهم حكم العقل..
والسلام.

٣

شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

حرب الشيوخ

جلس طالب كلية الصيدلة أمام شيخ المسجد يشكو له من ضيقه وضجره، فهو يعاني معاناة شديدة فأينما يولي وجهه يرى البنات - جميلات وغير جميلات - وهذا شيء يثيره جنسياً ويجعله يفكر في الجنس ليل نهار، فإذا حاول أن يعض البصر وجد سيلاً من البنات يهاجمنه في أحلامه.. وبأوضاع غاية في الإثارة، والعاقبة في كل مرة تكون وخيمة ومبتلة، تحدث طالب الصيدلة بصراحة، وإذا قلت لماذا طالب صيدلة بالذات أقول لك لأن الموقف حقيقي وحدث بالفعل. وكان في شكواه معبراً عن أزمة كثير من زملائه الشباب.

قال كلماته وألقى الكرة كلها في ملعب شيخ المسجد ووقف يستمع لرأي الدين في هذا الموقف وقال الشيخ " النبي قال من استطاع منكم الباءة فليتزوج ولأن الطالب لم يكن يملك شيئاً انتقل الشيخ إلى الدرجة الثانية، فمن لم يستطع فعلية بالصوم وعلق الشاب أنه بالفعل يصوم ولكن الصوم لا يؤثر، لا يقدم ولا يؤخر معه، بالطبع العيب ليس في

الصوم ولكنه في الشاب، لكن الأمر في النهاية تقرير واقع لا أكثر.

ووصل الشيخ إلى حل وسط قال : "عليك إذن بالصبر" قالها الشيخ مبتسماً وكأنه وصل إلى حل عبقري، لكنه فوجيء بالشاب يقول له.. وإلى متى هذا الصبر..؟! فرد الشيخ والله مش معقول أقول لك روح اعمل اللي أنت عايزه، وربنا سيغفر لك.. فالدين واضح.. والحلال بيّن والحرام أيضاً بيّن.

هذه واحدة.

واحدة أخرى كان بطلها شيخ مسجد وقف يخطب الجمعة والموضوع كان واحداً من الموضوعات الكلاسيكية التي لا يكف خطباء المساجد عن التردد عليها، كان عن عقوبة ترك الصلاة، وكانت هذه بعض كلمات الرجل "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صارخاً بأن أباه مات ولكنه لا يجد من يصلي عليه لأن الناس رفضوا حتى الدخول عليه، فطلب النبي من أبي بكر وعمر أن يذهبا ليصليا عليه، لكنهم عندما ذهبا وجدا أن الرجل قد تحول وهو على فراش الموت إلى خنزير، ففزع أبو بكر وعمر وعادا

إلى النبي يخبرانه بحال الرجل، فذهب النبي إليه ولمَّا سأل ابنه عن عمل الأب الميت قال له الشاب "لقد كان تاركًا للصلاة يا رسول الله" .. فدعا له النبي أن يغفر الله له .. فعاد إلى صورته الأولى .. وصلى النبي عليه وقام بدفنه ..

وهذه ثانية وأخيرة

نهدف فقط من سرد القصتين أن نضعهما أمام أعين شيوخ مصر الكبار ليطلعوا إلى أي مدى وصلت الحال بشيوخ المساجد .. وإلى أي درجة تدنت عقولهم .. وذلك لأن الشيوخ الكبار تجاهلوا كل مصائب الدعوة وما فيها من عيوب وثغرات وتفرغوا لمعارك وحروب هلامية .. وهذه بعضها ..

ملاحظة:

قبل الولوج إلى ساحة الحرب .. تبادل علماء الأزهر وشيوخه اتهامات من قبيل جاهل .. كلامه فارغ .. وتخيل لقد تراشقوا بالكفر فيما بينهم وربنا يمسيك بالخير يا د . نصر يا أبو زيد!!

رأي أعلنه د. عبد المعطي بيومي وكتاب أصدره جمال البناء، د. عبد المعطي والذي يشغل حالياً منصب عميد كلية أصول الدين تحدث عن دعوته إلى ضرورة وجود منهج فقهي جديد في الأبحاث الفقهية وكل ما يتعلق بالثقافة الإسلامية بشكل عام، حيث إن المنهج المتبع حالياً في بحث أمور المسلمين وخاصة ما يستجد منها هو أن يسرع الفقهاء إلى الكتب القديمة ويبحثون فيها عن الحل.

فإن قابلهم الحل كان خيراً وبركة، وإن لم يقابلوه وقعوا في مشكلة حيث يتنازعهم تقديسهم لكتب الفقهاء من ناحية، وهذه المشكلات التي تطل أعناقها على الناس، من ناحية ثانية، وفي هذه الحال بالتحديد نرى حرباً مشتتة بين أصحاب الفتاوى، وقد كانت هناك ظاهرة هي أنك كنت تجد رجلاً يدخل مبنى مشيخة الأزهر، وبعد قليل يخرج متجهاً إلى دار الإفتاء كي يطلب الفتوى على نفس المشكلة التي سبق وسأل عنها في مشيخة الأزهر وأغلب الظن أن فتوى الأزهر لم تعجبه، ولا ينسى الناس أيضاً غابة الخلافات بين شيوخ الأزهر وعلمائه في أمور مستحدثة مثل أرباح البنوك، ونقل الأعضاء، وأطفال الأنابيب، فكل هذه أمور

مستحدثة ولم يكن يعرفها أبو حنيفة، والشافعي، ومالك، وابن حنبل.

هذا المنطق يجعل من الخطأ أن نقس كتب المذاهب القديمة، وعليه فيجب أن نضع القرآن والسنة في مكانهما، ونضع إلى جانبهما العقل الذي يستطيع أن يفكر ويجتهد مع اختلاف الظروف والأزمات والأماكن والمشكلات؛ وبذلك يمكن أن يضاف إلى الاجتهادات السابقة اجتهادات معاصرة تفصل بها في مشاكلنا، فليس من العقل أن نستدعي آراء الفقهاء القدماء ليحكموا بها على مشاكلنا في نهاية القرن العشرين.

أما جمال البنا - وهو بالمناسبة وإن لم يكن لذلك معنى - شقيق مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا - ومن خلال كتابه "تحو فقه جديد" .. يدعو إلى إعادة النظر في الأحاديث النبوية الشريفة حيث هناك أحاديث لا يقبلها العقل، وضعها بعض الذين اندسوا بين صفوف المسلمين وكان غرضهم تشويه هذا الدين؛ فهي أحاديث وضعت من أجل مصالح معينة، هذه الأحاديث يجب أن تعرض على القرآن الكريم ولا يظل ثابتاً لدينا سوى ما يوافق القرآن وما يقبله

العقل، ويرفض البنا أن نسلم بمسأله وجود ما يسمى بالإجماع ففي رأيه أنه ليس هناك شيء اسمه إجماع في وقت من الأوقات، والمثال لدينا في موسم الحج الذي يجمع كل المسلمين نعم، لكن كل منهم يؤدي المناسك بطريقته ولا يوجد إجماع على شيء.

ومن أجل أن يدعم البنا كلامه ساق الكثير من الأدلة والبراهين مهاجمًا في ذلك الجميع. فالمفسرون عنده ليسوا على صواب دائمًا، فكل منهم يفسر القرآن على هواه وحسب رغبته ومصالحته وظروف مجتمعه الذي يعيش فيه والأمثلة على ذلك كثيرة فابن كثير مثلاً كان شيخاً سلفياً ولذا تجد تفسيره غارقاً في السلفية كلاماً وآراءً، وسيد قطب من خلال ظلال القرآن الذي كتبه تجد تفسيره غارقاً في فكرة الحاكمية التي كرّس حياته من أجلها، بل دخل السجن وأعدم بسببها.

ويؤكد البنا في كتابه أنه يحترم السنة النبوية ولا يطالب بنفيها كلية، فليس من العقل أن يقول أحد بذلك خاصة إذا كان دارساً وعالمًا بأهمية السنة النبوية كمصدر من مصادر التشريع، لكنه فقط يدعو إلى إعادة النظر في السنة النبوية حيث إن فيها ما هو تعبدى يتعلق بالعبادات،

ومنها ما يتعلق بالحياة كالمعاملات ومنها ما يتعلق بالسياسة والحكم، والواقع فعلاً هو أن الفقهاء قديمهم وحديثهم اهتموا بالعبادات وأهملوا المعاملات، ولنا أن نتخيل أن هناك أحاديث تهتم بدخول الرجل الحمام بقدمه اليسرى، وأحاديث تتحدث عن عذاب القبر، ولا تجد أثرًا لمن يتحدث عن كيفية نهوضنا من المنزل الذي نقع فيه حالياً.

دخلت د. آمنة نصير في الخط وهي عميدة كلية الدراسات الإسلامية بالأزهر الشريف وتتعامل معها الصحف في مصر على أنها فقيهة ذات رأي وشأن.

د. آمنة قالت رأيها فيما قاله جمال البنا.. قالت: "من يرفض غربلة الأحاديث يعتبر جاهلاً، ولا يعرف طبيعة الفكر الإسلامي، فالإمام أبو الفرج بن الجوزي وهو فقيه مهم في كتابه "الموضوعات" مكون من ٣ أجزاء، آلاف الأحاديث الموضوعية وهذا كان في القرن السابع الهجري، ولو فعل هذا في عصرنا لحاربه المتطرفون واتهموه بالكفر والإلحاد، ولقالوا إنه منكر للسنة، وقبل ذلك قام البخاري بغربلة الأحاديث التي كانت في حوزته وهي تتجاوز الـ ٦٠٠ ألف حديث، ولو صنع فقيه في عصرنا مثل ما صنع لقالوا عنه

إنه منكر للسنة وملحد، وعليه فكل الأحاديث يجب أن تخضع للعرض على القرآن فما يتفق معه على العين والرأس، وما يختلف معه فهو موضوع ولا يُعمل به..

وجاوزت د. أمنة ذلك إلى رأيها في أحاديث بعينها، فبالنسبة لرجم الزاني فهذه العقوبة تخالف النص القرآني الذي تحدث عن جلد الزاني، ويجب أن نعلم أن عقوبة مثل الرجم كان يجب أن يشير إليها القرآن الكريم ، كذلك يجب أن نتوقف أمام الأحاديث التي جاءت عن المرأة بدءًا من خلقها من ضلع أعوج، وانتهاءً بوصفها بنقصان العقل والدين. فهذه الأحاديث تصادم روح القرآن ومبادئه السمحة التي ساوت بين الرجل والمرأة في الخلق والتكوين والمهام وعماراة الكون.

ما يثير العجب أن هذه الدعوات ليست جديدة، فالدكتور عبد المعطي بيومي منذ كان معيدًا في كلية أصول الدين وهو مهتم بالبحث عن شكل جديد للفقهاء الإسلامي، لكنه لم يكن قد وصل بعد إلى الصيغة التي يعبر بها عن هذا الشكل، كان ذلك في أواخر الستينات، تحديدًا عندما بدأ في إعداد أطروحته لنيل درجة الدكتوراه، الموضوع كان "تجديد الفكر

الإسلامي في العصر الحديث" المشرف عليها كان الإمام الأكبر د. محمد عبد الرحمن بيبصار الذي تولى مشيخة الأزهر في فترة من فترات حياته، وكان متجاوبًا جدًا مع تلميذه عبد المعطي حيث كان يرى أن دعوته لإيجاد صيغة جديدة للفقهاء الإسلامي دعوة تستحق الاهتمام، الطبيعي والذي يؤكد العقل حدوثه هو أن د. عبد المعطي كان طوال حياته يتحدث إلى الطلبة الذين يحاضروهم عن مذهبه وتفكيره في إيجاد منهج جديد في البحث عن المسائل الفقهية، معنى ذلك أن هذا الكلام الذي يطرحه حاليًا د. عبد المعطي لم يكن كلامًا شيطانيًا ولكن له أصول وجذور.. لماذا الاعتراض عليه إذن؟

هذا واحد من الأسئلة الكثيرة التي ستقابلك وأنت تستعرض معارك الشيوخ الجوفاء!!

جمال البنا هو الآخر -٧٤سنة- درس التجارة لكنه وكما يقول قرأ كثيرًا من الدراسات الإسلامية بما يؤهله لأن يجتهد ويفتي ويدرس، هو الآخر لم يكن كلامه شيطانيًا أو بدون أساس وأصول، فقد أصدر عام ١٩٤٦ كتابًا بعنوان "نحو ديمقراطية جديدة" وكان في هذا الكتاب واضحًا في

دعوته لأن يكون هناك فهم جديد للدين يناسب روح العصر الذي نعيشه والذي له متطلبات لم تكن في العصور السابقة، ذلك لا يتطلب ديناً جديداً بالطبع ولكنه يحتاج لفهم جديد للدين، وفي عام ١٩٧٢ أصدر كتاباً بعنوان "روح الإسلام" وأكد فيه على المعنى الذي طرحه قبل ذلك بـ ٢٦ سنة كاملة، وهو ضرورة أن يعيد الناس فهمهم للدين فهو ليس مجموعة من الأوامر والنواهي فقط، ولكنه دين سماوي فيه علاقة ثنائية بين العبد وربّه ليست قائمة على القهر ولكن قائمة على الحب، وعليه فروح الإسلام هي التي يجب أن تحكم وليست نصوصه فقط التي هناك شك فيها وخاصة الأحاديث النبوية التي وضعت في أوقات معينة وتحت ظروف معينة.

ورغم أن هذا الكلام ليس جديداً على د. عبد المعطي والبنا لكنه أثار كثيراً من الزوابع والعواصف الترابية على وجه الرجلين، ولم يشفع لهما أنهما يتحدثان بمنتهى الهدوء عن أفكارهما التي لا يريدان من خلفها سوى الإصلاح إن استطاعا، انهالت على رأسيهما الاتهامات، وحتى تعرف طبيعة العلاقات بين الشيوخ وكيف تدار الخلافات الفكرية

بينهم، عليك فقط أن تستمع إلى الاتهامات التي وُجِّهت إلى الرجلين.. وهي جملة لا تفصيلاً.

أُتهم كل من الرجلين بأنهما طعنا في تراث الأمة وتعرضا بشيء من الاستخفاف والسخرية لرموز الإسلام الكبار والفقهاء العظماء خاصة الأئمة الأربعة مالك وأبا حنيفة والشافعي وابن حنبل، حيث يريدان نفي جهود هؤلاء الفقهاء وإلغاء كل ما قدموه من اجتهاد بدعوى أن هذه الاجتهادات لم تعد تصلح لا من قريب ولا من بعيد لهذا العصر الذي نعيش فيه، أُتُهما كذلك بأنهما صغار، فما حجم كل منهما حتى يقدم بجرأة يحسد عليها على مثل هذه الدعوة، فهما لا يعرفان حجم الكارثة التي يمكن أن تترتب على كلامهما خاصة وأن عامة الناس لا يقبلون كلاماً من هذا النوع على أئمتهم الكبار خاصة الأئمة الأربعة فقد ترسَّخ في عقول الناس أن هؤلاء هم علماء الأمة وليس من العقل أن نهدم هذه الرموز.

أُتُهما أيضاً بأنهما يسعيان خلف الشهرة، وحيث إن مبدأ خالف تعرف هو أقرب طريق إلى أن يعرف الناس ما يحدث، فقد خرج كل منهما بدعوات هي أقرب ما يكون إلى

الشاذ من الطبيعي، فهما يعرفان جيداً أن هذا الكلام سيثير عليهما القيل والقال من علماء الدين ويكون ذلك سبباً لأن يهتم عامة الناس بهذا الكلام، ويكون ذلك هو المدخل الذي لا يخيب إلى الشهرة وأجهزة الإعلام والصحف التي ستسعى خلفهما، هذا فضلاً عن رغبتهما الدفينة في أن يكونا شهداء رأي خاصة أنهما طوال عمرهما لا يعرف أحد عنهما شيئاً صغيراً أو كبيراً، وقد عزَّ عليهما أن يصلا إلى هذه السن وليس لهما من الشهرة نصيب..

الاتهام وصل إلى أن الرجلين يريدان إفساد الناس على العلماء، فما دامت الدعوة تنصب على أعمال العقل وعدم الاعتماد بشكل كلي على الأئمة والفقهاء. فإن كل من هب ودب سيجد في نفسه القدرة على التفكير والفتوى والاجتهاد، ولن يكون هناك احترام من الناس لعلماء الدين، ولا ما يقولون؛ وفي ذلك إفساد وتخريب لأمر العقيدة الإسلامية، فليس للعامّة أن يكون لهم نصيب في الاجتهاد؛ لأنهم لا يمتلكون شروطه والطريق السليم للدعوة هو أن يظل لعالم الدين مكانته التي يحترمها العامة ويقدرونها وينظرون إليها باحترام وإجلال فليس معقولاً وبعد هذا الكم الهائل من

الاجتهادات والآراء الفقهية التي تغطي مختلف القضايا أن يأتي عامة الناس ليعترضوا ويرفضوا حديثاً نبوياً شريفاً لا لشيء إلا لأنه لا يوافق العقل.

ذهب بعض الشيوخ إلى أن ما قاله الرجلان مجرد كلام فارغ وهذا التعبير حقوق نشره محفوظة للمفتي وحده، حيث وصف كلام البنا بأنه كلام فارغ، في حين ذهب بعض العلماء الآخرين إلى أن كلام الرجلين لا يعدو أن يكون كلاماً تافهاً ولا يستحق عناء الرد عليه، ولا ندري بالتحديد ما هي المعايير التي على أساسها يحكم علماء الدين عندنا على كلام أحد العلماء بأنه تافه أو فارغ.

هل لأن الكلام يخالف ما يذهبون إليه فقط ولذا فهو تافه وساقط ويستحق الرجم، أم لأنه يهدد مصالحهم ويزحزحهم من مواقعهم؛ ولذا فهم يدافعون عن ذلك بكل ما يملكون من كلمات براءة وغير براءة، مهذبة وغير مهذبة؟ وعندما يختلي كل منهم بنفسه لا يجد عليها حرجاً فيما يفعل فهو يعتقد تماماً أنه يدافع عن دين الله بكل ما يملك، لكن هل هذا حقيقي؟ ذلك شيء لا يعلمه إلا الله...!!

السؤال الأهم من اتهامات الشيوخ.. ومن خوفهم على مناصبهم ونفوذهم، هو لماذا يرفض علماء الأزهر وشيوخه أن يجتهد البعض؟ أراني مغاليًا في تفاؤلي عندما أقول إنهم يرفضون الاجتهاد، فهم يرفضون حتى الكلام عن هذا الاجتهاد فهم يرفضون كلام د. عبد المعطي والبناء، يرفضون حتى مناقشة الرجلين فيما يقولان، يا جماعة اجلسوا معهما يمكن أن نصل لشيء مفيد. لكن هذا الشكل من المصادرة مقبوت وعنيف واسمحوالي لا يتفق مع الإسلام مطلقاً.

يمكن أن نصل لسببين أساسيين يفسران رفض علماء الدين لاجتهاد الرجلين بالذات.

الأول.. أن الرجلين غير متخصصين فالدكتور عبد المعطي تخرج في قسم العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وتخصص بعد ذلك في علم المناهج، وهذا العلم كما يفسره العالمون ببواطن الأمور وظواهرها يمثل التوظيف الفلسفي للفقهاء والقواعد الكلية الفقهية. وجمال البناء درس التجارة بما يعني من وجهة نظر علماء الأزهر أنهما غير متخصصين في الفقه، ولا صلة لهما به وعليه فلا يحق لهما الاجتهاد وهو كلام إلى حد بعيد

قاصر، ولو كانت المسألة بالتخصص لفرضنا على كل علماء الأزهر أن يثبتوا أنهم كفاءة في تخصصاتهم، فالتخصص لا يعني أن أكون حاصلاً على شهادة معتمدة من جهة علمية فقط، فكثيرون هم من درسوا في الأزهر لكنهم فيما درسوه - وعفواً لقسوة التعبير - في تخصصاتهم أجهل من دابة، ثم إن د. عبد المعطي وهذا بشهادة المقربين منه رجل على درجة كبيرة من العلم والتفقه في الدين، ويتوجه له الكثيرون سواء كانوا صحفيين أم رجال إعلام أم حتى من عامة الناس ويسألونه في أمور دينهم ودنياهم، ويجدون عنده إجابات شافية وافية، ولا يمكن أن ينكر أحد علماء الدين أن د. عبد المعطي درس الفقه في سنوات دراسته في جامعة الأزهر، وهو ما يكون أساساً للبحث والقراءة والاجتهاد أيضاً، فهو ليس قادمًا من الشارع، وبدلاً من أن نختلف حول هل من حقه أن يجتهد أم لا.. نختلف معه فيما اجتهد فيه وهل هو صحيح أم خطأ.

البناء هو الآخر لم يسقط على رعوس الشيوخ بالباراشوات، ولكنه رجل له مؤلفاته وكتبه التي صدرت منذ عام ١٩٤٦، وطرحت هذه الأفكار فيها فهي ليست جديدة،

هذا السبب يجعلنا نتجرأ ونقتحم هذا الحصن الذي يقبع خلفه علماء الأزهر.. فلماذا يصمتون على أفكار منشورة وكلام يتردد على آذانهم ما دام أنه في حيز ضيق لا يعرفه إلا القليل من الناس؟ وبمجرد أن يخرج للناس وتكتب الصحف ويخرج المجتهدون كي يتحدثوا مع الناس في المساجد والندوات تشهر الأسلحة في الوجوه ويجرر العلماء إلى الشوارع وتصب على رؤوسهم اللعنات والاتهامات بالكفر والزندقة؟ وهذا أيضاً سؤال نحتاج الإجابة عليه.. فهل نطمع أن نجدها عند أحد.. أي من علماء الأزهر.

السبب الثاني.. وقد يكون مضحكاً بعض الشيء، فعلماء الأزهر يرون أنه لا يوجد حالياً عالم تتوفر فيه التقوى والورع الذي كان في شخصيات الفقهاء السابقين، وهو ما يقف حائلاً دون أن يجتهد أحد حالياً، يمكن أن نكتفي بالكلام عن هذا السبب، حيث تظهر سذاجة منطقته، واسمحوا لي يا سادتي شيوخ الأزهر الكرام أن أستعير كلمتكم "تأفه" لأصف هذا المنطق وهذا التبرير، فمن الذي يقيس درجة تقوى الناس وإيمانهم وورعهم ليحكم من حقهم أن يجتهدوا أو يمتنعوا عن

الاجتهاد، نريد أن نفهم فقط، هل اعتراض شيوخ الأزهر
الأفاضل لوجه الله فقط، أم هناك أسباب أخرى؟

وهذا سؤال ثالث ننتظر إجابته..!!

ما يجعلنا نسأل هذا السؤال بالذات هو الشعور بأن
علماء الأزهر وشيوخه، يحاولون أن يعثروا على
"القطط الفطسانة" في كلام د. عبد المعطي والبنا فالمهم أن
يظهروا أن كلامهما خطأ وجهل وفساد والسلام ،
ويظهروهما أمام الرأي العام كعامل هدم وتخريب وأصحاب
أفكار فاسقة يريدان أن يسوقا بها الناس إلى النار وبئس
المصير.

الوضع في مجمله لا يسر.. فشيوخ الأزهر حزبان

مجموعة صغيرة تؤيد كلام الرجلين ويفعلون ذلك على
استحياء ويصيغون كلامهم بشكل مؤدب ومهذب وعاطفي
وكانهم يعتذرون عنه قبل أن يقولوه، وكانهم يقولون والله لم
يكن قصدهم وإن كانت نيتهم خيراً وهؤلاء الشيوخ ليسوا

قادرين على المواجهة، ولكنهم مقتنعون بما ذهب إليه
الرجلان.

الحزب الأكبر والذي وقف على رأسه المفتي يهاجم
بشراسة ويرفض بضرارة ويذهب في عناده إلى أبعد مدى،
وعلى كل حال فهذه عادة المفتي ولن يشتريها، وتصور أن
المفتي يطالب بمصادرة كتاب البنا "تحو فقه جديد" والسبب
في رأيه؛ لأنه خطر على عقيدة الناس وعباداتهم!!..

وأضاف المفتي د. نصر فريد واصل لافض فوه أن
د. عبد المعطي والبنا لا يعرفان الفرق بين الفقه والشريعة
وهذا هو السبب في هذا الخلط الذي وقع فيه، ومع احترامنا
الشديد لكلام المفتي لكنه كلام مطلق لا نستطيع أن نعتمد
عليه في فهم وحسم هذه الحرب التي كشفت عن سطحية
شديدة يرقد عليها بعض شيوخوا.

الأغرب من ذلك كله كان موقف شيخ الأزهر
د. طنطاوي الذي لم نسمع صوته في هذه المعركة، وذلك
على غير عادته، ظهر د. طنطاوي في مشهد واحد، فعندما
احتدمت المناقشات في قاعة الإمام محمد عبده في جامعة
الأزهر، كل ما فعله د. طنطاوي وكان حاضرًا أنه أنهى

المحاضرة وأنهى المناقشات حتى لا تحتم ويثور الشيوخ بعضهم على بعض خاصة أنهم لم يتورعوا عن وصم بعضهم البعض بالكفر وإفساد الدنيا والدين، لا نستطيع أن نوصف فعل شيخ الأزهر ولكن نسأله لماذا يسكت ويترك شيوخ أزهريه يتناحرون ويختلفون والمفروض أنه كبيرهم؟ وهذا هو رابع سؤال وموجه مباشرة فقط إلى شيخ الأزهر.

بنظرة سريعة وشاملة يمكن أن نقول إن الأمور لا تبشر بخير ولا تبعث على التفاؤل. فإذا كان هذا هو حال شيوخ الأزهر الذين هم القدوة والمثل، وإذا كانت المهازل تضم المفتي وشيخ الأزهر.. فمن سيفصل في الخلاف إذن؟ ولماذا لا يراعي المختلفون الله في عباده الضعفاء الذين لا يهمهم سوى أن تصح عبادتهم القليلة ويتقبلها الله أمّا خلافات الشيوخ فليرحمنا الله من سخافتها.. وليرحمهم من تقاؤها.

د. أحمد صبحي منصور أحد خريجي جامعة الأزهر وأحد الحاصلين على الدكتوراه.. يرى علماء الأزهر وشيوخه أنه ابن غير بار للأزهر لا تهمنّا تفاصيل حياة الرجل ولا خلافاته السابقة، ما ذكره فقط هو معركته

المفتعلة.. وتوقعوا خطورة المعركة.. لقد كانت عن عذاب القبر والشجاع الأقرع، أدارت جريدة الميدان المعركة بشكل مستفز يتضح منه أنها ترغب في "ربكة" - والمعنى مقصود- المجتمع فقد رأى القائم على الجريدة -مع أنه صحفي محترف - أن الشجاع الأقرع وعذاب القبر من القضايا المهمة والمؤثرة في مصائر الناس.. ولذا أفرد لها مساحة كبيرة كانت موضوعات أخرى - أهم وأجدى - أحق بها.

يقول د. صبحي "السنة الحقيقية هي اتباع القرآن ، والقرآن يؤكد على أن النبي لا يعلم الغيب ولا يتحدث عن الغيبات، إذن فالسنة الحقيقية للنبي تخلص من حديث له عن عذاب القبر وغيره من الغيبات، ذلك هو ما نستخلصه من القرآن العزيز، وأن علماء الأصول يقرون أن أمور الغيبات لا تؤخذ إلا من القرآن والحديث المتواتر، وحيث إن الحديث المتواتر لا وجود له عند أغلب المحققين، وحيث إن من أثبت وجود بعض الأحاديث المتواترة فليس منها شيء من عذاب القبر؛ لذلك فالأحاديث الأخرى أحاديث الآحاد ليست مصدرًا معتمدًا لإثبات عذاب القبر أو نفيه.

يضيف د. منصور.. أن هناك أبعادًا نفسية لعقيدة عذاب القبر والتعبان الأقرع لأن تركيز الانتباه على الجسد وإهمال النفس يجعلنا نسيء فهم الموت ويجعلنا على استعداد لتصديق الأساطير عن الموت وعذاب ما يعرف بعذاب القبر، فالذين تتعلق عيونهم بالمحتضر على فراش الموت ولا يرون فيه إلا مجرد جسد يموت يتعاطم لديهم الاحساس بفضاعة الموت ومنها يترجمون حركات الذي يجود بأنفاسه الأخيرة ويحسبون تقلصات وجهه على أنها ألم شديد ومعاناة هائلة وكلهم يخشى على نفسه تلك اللحظة.. هل تريد أكثر.. خذ عندك.

يقول د. صبحي: "حين يضع الناس الجسد في الحفرة لا يعلمون أنهم يضعون ثوبًا باليًا كانت فيه النفس وتركته، ولا يعلمون أن الشخص الحقيقي أو الذات الحقيقية للإنسان قد غادرت ذلك الجسد أو تلك السوأة وأن مصير ذلك الجسد هو العودة للتراب والصورة المثلى لعودته للتراب أن يكون جزءًا من التراب، أي دفنه في التراب، ويرون الجثة الميتة هي نفس الشخص العزيز لديهم قد أصبح أسير حفرة في باطن

الأرض ويتخيلون ما يحدث له في هذا السجن الضيق
الانفرادي الذي يخنق الأنفاس.

وتأتي كلمات النهاية على لسان د. صبحي
"إنك كنت تريد أن يتحول قبرك إلى فندق خمس نجوم فتبرع
يا أخي بكذا، وإلا فإن الشعبان الأقرع في انتظارك، وهذا
يكون طبعاً عن طريق القصاصين (شيوخ المساجد) الذين
يجلسون في المساجد وحولهم الناس يستحذون على أبوابهم
بالحكايات والأقاصيص والأساطير والتركيز على التخويف
والإنذار والترهيب من عذاب القبر والآخرة، وحتى الآن فإن
دعاة التطرف يركزون في الخطب والكتابات على عذاب
القبر والشعبان الأقرع وعذاب الآخرة ليشيع الإرهاب الديني
في النفوس؛ ومن ثم يسهل لهم السيطرة على الناس".

أنكر د. منصور وفي ضربة واحدة.

١- عذاب القبر بالكلية.

٢- لا يوجد ما يسمى "الشجاع الأقرع" فهو محض خيال
وأسطورة.

٣- لا ذكر لسكرات الموت، فما يحدث مجرد تقلصات.

يهز الرجل برأيه هذا ثوابت اعتاد الناس على الاعتراف بها والتسليم بوجودها دون مناقشة.. كان من المنتظر أن يهب الشيوخ والعلماء ليردوا على د. صبحي ويلقموه حجراً.. شيئاً من هذا لم يحدث.. لسبب بسيط أن الشيوخ زهقوا من شطحات الدكتور وخوضه فيما لا يفيد.

وإن كان ذلك لم يمنع أن ترد إلى الجريدة بعض الردود، من بينهما رد من د. عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي أستاذ بجامعة الأزهر قال: "هناك موضوعات ثلاثة أشار إليها جماعة من الصحابة إلى أن الناس سيختلفون فيها، وحدث ذلك وتم التنبيه إليه في صدر الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الأمور الثلاثة هي رجم الزاني، والشفاعة، وعذاب القبر، وذكر سيدنا عمر وجمع من الصحابة أن الناس سيختلفون في هذه الأمور، وهذا ما أشار إليه الفاروق وفعلاً قد حدث، ففي الآونة الأخيرة نطالع انكسار هذه الأشياء صراحة وعلى صفحات الصحف، وإنا نود من منطلق إيماننا بالله وتصديقنا لما جاء به رسول الله أن نقول..

إن عذاب القبر أمر ثابت وواقع أيده النصوص القرآنية ونصوص السنة النبوية وهو أشهر وأظهر من أن يُجَدَّ أو يُنكَر، ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى "النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب" فالآية تبين لنا أن قوم فرعون يعرضون على النار للعذاب مرتين كل يوم في الصباح والمساء ويستفاد من ذلك قوله تعالى "غدواً وعشياً" أي في الصباح والمساء ثم بعد ذلك تشير الآية إلى أن هؤلاء القوم يدخلون النار يخلدون فيها، وكأن الآية في بدايتها تشير إلى عذاب القبر وهو المعروف بمرحلة البرزخ وتشير في نهايتها إلى الخلود في نار الجحيم والآية صريحة في الدلالة على عذاب القبر ومن يقرؤها بتعقل وتدبر يصل إلى الحقيقة.

وأما من نصوص السنة فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: "القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار" وهناك حديث ظاهر الدلالة والمعنى في هذا الموضوع وهو الحديث الذي ورد بشأن الرجلين اللذين مر النبي على قبريهما فوقف ووقف أصحابه واضطرب حتى ارتعش كم قميصه فقال إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما

فكان يمشي بين الناس بالنميمة وأمّا الآخر فكان لا يستتر من بوله، فهذه النصوص كلها تدل على وقوع العذاب في القبر".
ليس مقصدنا بالطبع أن نبين هل هناك عذاب قبر أم لا.. فهذا موضوع آخر ليس من اختصاصنا تماماً، نحن نضع أيدينا فقط على داءات علماء الدين في خلافاتهم وفي القضايا التي يهتمون بها، لذا كان طريفاً وسخيفاً في الوقت نفسه ما فعلته الصحيفة عندما نشرت في تحقيق بذل المحرر فيه مجهوداً كبيراً وقالت للدكتور. صبحي.
عفواً د. منصور هؤلاء الترابية قابلوا الثعبان الأقرع..

وإيكم التفاصيل.

أحد الترابية قال: "جاءوا بميت كي أدفنه وعرفت أنهم وضؤوه باللبن وكان الميت من الذين يُحضّرون الجن والعماريت فوجدت خشبته التي يحملها الناس تمشي فوق رعوهم كأنهم لا يحملون شيئاً ، وبعد أن دفنت الميت وخرجت فإذا بي في اليوم التالي أدخل هذه المقبرة فوجدت هذا الميت في صورة جحش فقمت بإبلاغ ابن هذا الميت وقلت له لو مش مصدق تعال معي لأريك ما هو عليه وفعلاً دخلنا القبر فوجد والده على صورة جحش كما قلت له

وبجواره علبة فقام بفتحها وخرج منها جني وقال أنا حكمت
على والدك كما حكم عليّ في الدنيا وسخرته وخليته على
صورة جحش فخرج الابن للناس وقال والذي طلع نصاب
ودجال ومشعوذ وليس شيخاً يسخر الجن بل هو الآن
جحش(!!)

وعلامات التعجب من عندنا طبعا

زوجة أحد الترايبية كان أبوها ترابيا أخذت تروي هي
الأخرى قالت: "كان والذي يقوم بدفن ميت وكان المكان
مظلمًا لدرجة كبيرة يستحيل رؤية أي شيء فطلب من والدتي
مصباحًا، فإذا بها تجد مصباحًا من يمينها ومن خلفها ومن
شمالها ومن أمامها، فأسرع أهل الميت بقولهم "شهدنا يا عم
الحاج إن عملك كويس" ..

وقال أهل الميت إنه كان يعطي الناس صدقات بدون
أن يعلم بها أي شخص وظل قبر هذا الرجل رطبًا ورائحته
طيبة.

تربي آخر - تأتي قصته على الجرح - قال: "أثناء
دخول القبر لدفن ميت وجدت أمامي ثعبانًا أقرع وكانت أول
مرة في حياتي أري ثعبانًا بهذا الحجم والشكل في القبر..

وأيقنت أن هذا الثعبان ملك من الملائكة فقلت له هل يمكن أن أدفن هذا الميت ثم أخرج وأتركه لك، وقمت بأعمال الدفن وخرجت بظهري كما نفعل، فرأيت الثعبان يدخل داخل الكفن ولا يظهر منه شيء.. (!!!)

مرة أخرى علامات التعجب من عدنا

المستقر والذي يعد استخفافاً من نوع خاص ما ختمت به الجريدة موضوعها والختام بالنص: "هذا كل ما تم خلال لقائنا بالترابية وذكروا أشياء يشيب لها الرأس لكن طلبوا منا عدم ذكرها؛ لأنها أسرار إلهية لا يجب الخوض فيها كما أنها انتهاك لحرمة الميت..

والآن بعدما عرضنا- والكلام للجريدة - هذا الموضوع هل يستطيع أحد أن ينكر عذاب القبر!!".

أسلوب صبياني للغاية ذلك الذي كُتِبَ به الموضوع فأحمد صبحي منصور يتحدث عن نصوص وآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة.. بل تطوّر الموضوع عندما تدخل فيه شيخ الأزهر الذي قال إنه لا يجوز إنكار معلوم من الدين بالضرورة وردد. صبحي ليؤكد أن عذاب القبر ليس معلوماً من الدين بالضرورة، وتدخل المعارض القبطي الذي كان

يملاً الدنيا كل الصحف جعجة بلا طحن القس
إبراهيم عبد السيد ليؤكد أن الأقباط عندهم عذاب قبر
وإن كان يختلف في أن عزرائيل لا يتواجد فيه عندهم، وبعد
هذا الجدل الفكري تستند الصحفية إلى ترابية أغلبهم غير
متعلم.. في تفاصيل كلماتهم سمعت من زميل لي.. عرفت
من تربى آخر، وكان من الممكن أن يريح المحرر نفسه
تماماً ويقابل أي شخص مصري عادي جداً لا تربى
ولا يحزنون.. ويسأله عن عذاب القبر فسي سرد عليه كثيراً
من هذه القصص الذي يسبقها بكلمات مثل سمعت.. عرفت..
قالوا لي!!..

السبت ١٣ إبريل ١٩٩٩، جريدة الأهرام..
د. مصطفى محمود وكلام هذا نصه.. "ما ترويه الأحاديث
عن أن محمداً سوف يخرج من النار كل المسلمين بذنوبهم
فلا يبقى في النار واحد قال لا إله إلا الله ولو لمرة واحدة في
حياته هي أحاديث تخالف صحيح القرآن، فالنبي في القرآن
يشكو أمته ولا يتوسط لمذنبها فيقول لربه "يا رب إن قومي
اتخذوا هذا القرآن مهجوراً" وهي شكوى صريحة وكلام

مناقض لأي شفاعاة، ولن ينجو من المذنبين إلا من تكرر عليه رب العزة وفتح له بابًا للتوبة قبل الممات..

ويكمل د. مصطفى: "الشفاعة بمعنى إخراج المذنبين من النار وإدخالهم الجنة هي تشبه فوضى الوسائط التي نعرفها في عالمنا، ولا وجود لها في الآخرة، وكل ما جاء في الأحاديث بهذا المعنى مشكوك في سنده ومصدره لأنه يخالف صريح القرآن والله يقول في آية شديدة القطع "له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع، ما لهم من دونه ولي ولا يشرك في حكمه أحدًا" فالقرآن يقول في قطعية واضحة إن الله لا يشرك في حكمه أحدًا.

ويصل د. مصطفى لمنطقة خطيرة عندما يقول: "نحن نقرأ كتب السيرة - قصد الرجل بها كتب الحديث - بتسليم مطلق وكأنها قرآن منزل ومحفوظ من عند الله، والله لم يقل لنا إنه تولى حفظ هذه الكتب، وهو لم يحفظ إلا القرآن وكل ما عدا ذلك من كتب يجب أن تخضع للنقد مهما عظم شأن أصحابها".

د. مصطفى محمود الذي ينظر له عامة الناس في مصر على أنه مفكر إسلامي ويسحبونه على قائمة الشيوخ

والمعممين ورجال الأزهر . رغم اقترابه من سن السبعين لكنه ما زال قادرًا على لملمة الأضواء كلها وجعلها مركزة عليه وحده، دون أن يشرك فيها أحدًا حوله.. وهذه المعركة -التي بدأها - كان يعلم أنها ستعيد إليه بعضًا من البريق الذي انطفأ في السنوات الماضية.

ركز د. مصطفى على قضيتين.

الأولى.. إنكار للشفاعة فليس هناك ما يسمى بشفاعة النبي للمذنبين من أمته..

الثانية.. ضرورة إعادة النظر في كتب الأحاديث التي درج الناس على أنها صحيحة وعلى رأس هذه الكتب البخاري ومسلم.

لم يجد د. مصطفى مؤيدين لرأيه إلا القليل جاء على رأسهم بالطبع د. أحمد صبحي منصور الذي قال: "أنا أتفق تمامًا مع د. مصطفى محمود في حديثه عن الشفاعة، فأحاديث الشفاعة تعارض نصوص القرآن، فالنبي نفس بشرية ينطبق عليها قوله تعالى "يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه".

ثم خرج بعد ذلك طابور طويل قلب الدنيا على رأس
د. مصطفى.. وجاءت الأسماء د. محمد سيد طنطاوي،
د. نصر فريد واصل، د. يوسف القرضاوي، د. حمدي
زقزوق، د. أحمد عمر هاشم الذي هاجمه بقوة، وتصوّر أن
شيوخاً كثيرين للغاية وقفوا على المنبر وهاجموا ما ذهب إليه
د. مصطفى ولسان حالهم يقول للرجل.. لأ يا د. عيب
اختشي، لكن د. مصطفى لم يعترف بأن ما فعله عيب وعليه
فلم يختش.. وعن طريق المتعهد الرسمي لكتبه قطاع الثقافة
بأخبار اليوم أصدر كتاباً بعنوان "الشفاعة" يؤكد فيه من جديد
أنه على صواب.. كل الصواب.

وكما أصدر الدكتور كتاباً خرجت عدة كتب ترد
وتقاوم.. وتقول له بل يا دكتور أنت على خطأ.. كل الخطأ،
كان من الكتب كتاب بعنوان "الرد على د. مصطفى محمود
في إنكار الشفاعة" ومؤلفه كما هو على غلاف الكتاب
"الأستاذ الدكتور عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي..
ود. عبد المهدي الذي اختار أن يكتب اسمه على الكتاب
بشكل تراثي - لا ندري لماذا؟ هل سيصدق الناس إذا كتب
اسمه بهذه الطريقة؟ هو أستاذ في كلية أصول الدين جامعة

الأزهر وأجمل د. عبد المهدي أخطاء د. مصطفى والتي كانت كالتالي:

١- الاستدلال من القرآن الكريم بأن من دخل النار لا يخرج منها وبالتالي فلا شفاعة، ولن يخرج أحد من النار لا بشفاعة ولا بغيرها، وطريقته في ذلك أنه أخذ الآيات التي في خلود الكافرين في النار وجعلها على المسلمين حتي يثبت أنه لا خروج من النار، وبالتالي فلا شفاعة، أمّا الآيات المثبتة لخروج المسلمين من النار، وكذلك الأحاديث فتتكرّر لها.

٢- الاستدلال بآيات القرآن الكريم الواردة في نفي الشفاعة للكافرين، أخذها فاستدل بها على نفي الشفاعة عمومًا للمسلمين وللكافرين، ولمّا استعصت عليه بعض آيات لم يستطع حملها على نفي الشفاعة تعسف وفسر الشفاعة بأنها البشارة، وهذا تفسير شخصي منه لا يتفق مع الآيات ولا مع الأحاديث ولا مع اللغة العربية.

٣- فسر آيات الشفاعة تفسيرًا خاطئًا ثم راح بناءً على ذلك يخطئ في حق القرآن الكريم.

٤- لم يقتصر على موضوع الشفاعة وإنما راح يطعن في السنة النبوية وأن أحاديثها مدسوسة، وأن المسلمين حنطوا أنفسهم في نصوصها وانهال على العلماء تجريحاً وسباً.

٥- في سبيل نفي الشفاعة استجاز لنفسه الكذب على رسول الله فكذب حديثه عليه صلى الله عليه وسلم وهو "من يترك العمل ويتكل على الشفاعة يورد نفسه المهالك ويحرم من رحمة الله".

وهذا الحديث لم يجده د. عبد المهدي في أي شيء من كتب السنة، لا في الصحيح ولا في الضعيف، ولا في الموضوع، ولو وجده في الموضوع لا لتمس لدكتور مصطفى عذراً حيث أنه غير متخصص في الحديث.. لكنه غير موجود من الأساس، وهذا الحديث مكذوب لأنه ليس فيه خصائص الأسلوب النبوي ومعناه خطأ، وليس فيه حتى خصائص أسلوب الوضّاعين.

وكان ختام الرد على د. مصطفى محمود هكذا ونصاً:
"دكتور مصطفى إذا كان هذا مستواك الإسلامي فأنصحك ابتعد فلست أهلاً للكتابة في الموضوعات الإسلامية

لقد تجرأت على القرآن الكريم وأهنت سنة رسول الله وكذبت على رسول الله واحتقرت الأئمة الأعلام".

هل انتهت المعركة..!؟

نعم انتهت والنتيجة لا شيء، ولا يستطيع أحد أن يلوم فيها د. مصطفى محمود فالرجل من ناحية قال رأيه الذي يعتقده ودلل عليه بما فهم من القرآن والسنة، ومن ناحية ثانية يواصل هوايته في إثارة المعارك الفكرية حتى لو كانت تافهة وساذجة.. لكن الملموم حقا هم الشيوخ الذين يكيلون بمكيالين.. فماذا فعل نصر أبو زيد قياساً بما فعله د. مصطفى محمود ود. أحمد صبحي منصور.. ونضرب ذلك مثلاً فقط.. فلو كانت تهمة نصر أنه أنكر القرآن وسخر من سنة النبي.. فالدكتوران لم يفعلوا إلا ذلك، الفارق أن نصر فعل ذلك بروح الباحث المجتهد الذي يعشق دينه.. بينما صبحي ومصطفى فعلا ذلك من باب الوصاية على الناس وبشيء فيه الكثير من استعراض العضلات عليهم وعلى الشيوخ الذين لم نجد من بينهم شيخاً رشيداً يقف وقفة حق لا في معركة تكفير نصر ولا في معركة الطبطقة على د. مصطفى محمود الذي رغم كل ما يقوله ورغم ما فعله على مدار تاريخه من أكاذيب

ينظر له عامة الناس في مصر على أنه مفكر إسلامي
ويحسبونه على قائمة الشيوخ المعتمدين ورجال الأزهر!!.

٤

شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

حروب صغيرة

في رواية الأرض لعبد الرحمن الشرقاوي صورة جادة
وساخرة للغاية فبعد أن وقعت جاموسة مسعود أبو قاسم في
الساقية واجتمع الفلاحون كي يخرجوها، وقف شيخ المسجد
الشيخ الشناوي ليقول للجميع، حاسب يا واد، حاسب منك له،
اوعوا تقربوها لأحسن تغرقوها، اقروا الفاتحة إن ربنا ينتع
الجاموسة الفاتحة لها يا أولاد.. وحاول الشيخ الشناوي أن
يروى حكاية تشجعه فاستطرد قائلاً.. دا مرة بقره سيدنا
موسى.. ولم يكمل فقد اندفع مسعود أبو قاسم فنحى الشيخ
بعيداً وأوشك أن يوقعه في البئر ويصيح.. ما تغور بقى
يا سيدنا.. يا شيخ غور، فاتحة إيه وبقره سيدنا موسى إيه،
اجروا يا جدعان.. انزلوا يا رجاله.. حوشوا يا ولاد
يا خراب بيتك يا مسعود يا أبو قاسم يا حش وسطى،
يا ضياع شقا العمر كله، يا كسرتي يا نه..

هذه الواقعة إذا كنت قرأتها قبل ذلك، أو قرأتها الآن
فقط، فإنها لا بد أن تقتحمك وأنت تتصفح كتاب

"أمثال شعبية في قفص الاتهام" لمؤلفه محمد كامل عبد الصمد، اسم المؤلف هنا لا يهم، المهم هو ما كتبه في كتابه والذي يعتبر حرباً صغيرة ليست على الشيوخ ، ولكن من شيخ على الأمثال الشعبية.

فقد رأى أن الأمثال الشعبية تدخلت إلى مدى بعيد في حياتنا، وصار لها تأثيرها الخطير لا سيما في حياة الناس العامة، حيث تجد ولعهم بالأمثال لدرجة أن جعلوها قاعدة للسلوك ومعجماً للأخلاق والمعاملات، فقلما يقصون حديثاً أو يعرضون أمراً إلا وأيدوه بمثل هو زبدة الحديث وجوهر الأمر.

ولمّا رأى المؤلف ذلك بدأ يعرض للأمثال الشعبية من منطلق إسلامي وظل طوال كتابه يقيس كل مثل شعبي على معايير الإسلام وقيمه وأخلاقه كما يراها، ومع كل مثل يقول هذا يرفضه الإسلام، وهذا مخالف للإسلام، وهذا معارض له، وقبل أن نصادر على مجهود المؤلف لا بد وأن نؤكد أن هناك أمثالاً شعبية تحتك بكتفها في قيم الإسلام وللمؤلف حق بالفعل في التصدي لها وكشف زيفها.. وهذه بعض الأمثلة.

- اللي فينا فينا ولو حجينا وجينا، وهو ترنيمة قبيحة لا تخلو من الجهر بالسوء الذي جبلت عليه النفس، ولو أدت أسمى المناسك وهو الحج وذلك بعدم تغير أخلاقياتها وسلوكها إلى أحسن وأفضل مما كانت عليه، والمثل فيه إصرار غريب على الذنوب وعدم التوبة منها كما أمرنا الله تعالى في قوله "وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون".
- ما بقاش في العمر ما يستاهل التوبة.. ورغم أن هذا المثل غير شائع بدرجة كبيرة لكنه موجود، والمعنى أنه لم يبقَ من العمر ما يمكنني أن أعمل فيه من الصالحات وأتوب وأكفر عما فات، فدعني فيما أنا فيه فإن المدة الباقية غير كافية ولا تستحق التوبة، وهذا المثل يكتفه روح القنوط من رحمة الله بما تحول بين العبد وربه وهو ما يتعارض مع قول الله "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم" وهذا المثل مدعاة للانصراف عن

التوبة للذين يريدون أن يستغفروا الله ويتوبوا إليه
كما أراد الله من عباده.

• ارقص للقرء في دولته.. ويدعو هذا المثل إلى التلؤن
بوجهين والمداراة بإخفاء ما نبطنه وإظهار غيره.
وذلك ما ذمه الشرع الحكيم في قوله تعالى "يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون
ما لا يرضى من القول.. وكان الله بما يعملون
محيطاً".

هذا ببساطة منطق ومنهج الكاتب في كل الأمثلة التي
تناولها في كتابه والتي بلغت ١٢٩ مثلاً، فهو يذكر المثل
ثم يقول إنه يعارض روح الإسلام والدليل لديه في كل وقت
جاهز، وإذا جئنا إلى الحقيقة لوجدنا أنفسنا بالفعل في حاجة
لمن يذكرنا دائماً من باب أن الذكرى تنفع المؤمنين، لكن ما
نتأكد منه تماماً أننا لا نريد من يملئ علينا رؤيته الخاصة
التي تقتقد للمنطق ويظل ينذر في الناس صباح مساء، يحوّل
أفعالهم مهما صغرت إلى مخالفات ومعاصٍ وذنوب جلباً
لغضب الله على هؤلاء الذين لا تخرج من أفواههم
إلا الذنوب والمعاصي.

وتعالوا نناقش المبدأ.. ونسأل لماذا يتحدث الناس عادة بالأمثال، من وقت لآخر نجد من يردد على رأي المثل، وعادة من ردد الأمثال كبار السن أولئك الذين جربوا الحياة وجربتهم الحياة، عادة ما يذكر الإنسان مثلاً معيناً للتعليق على حادثة وقعت أمامه وينطبق عليها المثل، ويكون فيه بعض من الحكمة وخبرة السنين، وبعد أن يقال المثل ينتهي أثره فلا أحد يعتقد في مثل، ولا أحد يأخذ قراراً بناءً على مثل، بدليل أن الأمثال لا تقال إلا بعد وقوع الأخطاء.. يعني على رأي المثل "بعد الفاس ما توقع في الرأس".

ينطلق مؤلفنا من قاعدة أن المثل الذي يعارض الإسلام ويخرج عن روحه وتعاليمه، يصبح ناطقه خارجاً عن الملة؛ لذا فهو لا يتورع أن يصف مثلاً معيناً بأنه مثل فاسق، أو مثل فاجر، أو مثل يتجرأ على قدسية الله ومقامه، وتخيل لو أن جدتي أو جدتك أو أي شخص كبير في السن قلت له إنك إذا قلت مثلاً: "اديني عمر وارميني البحر" تكون قد تعديت حدودك وتجرأت على صفات الله.. تخيل ما سيقوله لك.. إنه بالطبع سيندهش ويفكر ثم يفكر، ثم يصل في النهاية إلى أنك مجنون أو لا تفهم مثلاً؛ لأن هذا الشخص الذي يرد

هذه المثل ستجده أيضًا لا يكف عن ترديد اسم الله ويؤدي كل ما عليه من فروض فكيف يكون إنن عاصيًا أو مذنبًا أو أي وصف آخر يقترب به من مساحة التكفير والنار؟

وحتى نتعرف بدقة على هذه الحرب التي أعلنت فجأة على أمثالنا الشعبية من خلال هذا الكتاب الذي أصدرته دار الاعتصام، فتعالوا نضع كتاب الأمثال العامية الذي وضعه أحمد تيمور باشا كمرجعية لنا، ونحن نقرأ أسباب الرفض لبعض أمثالنا الشعبية، واعتمادنا على تيمور لا يعني أن الرجل حجة وأن ما يقوله صحيح وغيره يكون خطأ.

ولكن أولاً.. لأن مؤلف "أمثالنا الشعبية في قفص الاتهام" اعتمد بالدرجة الأولى على كتاب تيمور، ثم إنه نقل بعض تفسيراته للأمثال ثم اعترض عليها بعد ذلك.

وثانيًا.. لأن المقارنة بين تناول تيمور للأمثال الشعبية وتناول كامل عبد الصمد لها يكشف عن الفارق بين العقلية التي تحترم النص لكنها تدرك احتياجات الناس وتدرس حياتهم ثم تعرف دوافع الناس فيما يقولونه ويفعلونه، والعقلية التي تُقدّس النص وتقفز به في وجوه عباد الله

الضعفاء؛ ولذا فكل ما يقولونه حرام، وكل ما يفعلونه حرام،
وكل ما يفكرون فيه حرام.

وخذ عندك على ذلك أمثلة كثيرة ومفزعة

• "لا يبرحم ولا بيخلي رحمة ربنا تنزل" يقول أحمد
تيمور عنه أي لا رحمة منه ولا يترك رحمة الله عز
وجل تحف بنا، أي لم يقتصر على المنع وحسب،
بل مانع فيما ينالنا، من غيره وهو قريب من قولهم
"لا منه ولا كفاية شره" انتهى كلام تيمور.
ويبدأ الآن كلام عبد الصمد يقول "يقصدون من المثل
أنه لا رحمة منه ولا تترك رحمة الله تتالنا ومن
الغريب الذي لا يعقل أن نردد مثل هذا المثل الفاسق"
الذي يتجراً على مشيئة الله عز وجل فيمنع ما أراده،
هذا المثل يرفع من مقدرة من لا يرحم من البشر
لدرجة أنه يستطيع أن يحول دون رحمة الله
أن تصيب من يشاء من عباده.

إن الأدب مع الله عز وجل يتطلب التدقيق في اختيار
الكلمات والمعاني التي نتلفظ بها في جميع أحوالنا ليمتليء
القلب منه مهابة والنفس له وقاراً وتعظيماً؛ إذ ليس من الأدب

في شيء أن تستخدم كلمات مجازية تتناول الذات الإلهية
ولو لم يكن القصد واقعًا، وصدق الله إذ يقول
"مالكم لا ترجون الله وقارًا وقد خلقكم أطوارًا" ..

قطعًا ستقول هذا كلام جميل ومقبول، لكنه أيضًا يلوي
ذراع الكلمات ليخرج منها بمعنى على مزاجه الخاص فيظل
يهاجم الناس، فهو يقول لهم أنتم تقصدون كذا، وهذا الكذا
حرام دون أن يعرف لماذا قيل مثل هذا المثل، ففي حياة
الناس بالفعل من يحجب الرحمة، ليس بمعنى أنه يعطيها
أو يمنعها، ولكنه يقف عائقًا أمام رزق الناس، ولما يمكن أن
يحصلوا عليه أي أنه سبب، ومسبب الأسباب هو الله طبعًا،
فالناس عندما تقول مثل هذه الكلام لا تقوله من باب الجرأة
على الله، بل من باب الضيق بالأحوال والمعاش، وعليه فمن
السهل جدًا أن تجد واحدًا مصريًا يقول لآخر:
"يا أخي أنت لا بترحم ولا بتسيب رحمة ربنا تنزل.. أنت
إيه" وينتهي به الموضوع إلى لا شيء، لكن أن يأتي واحد
ليقول إن هذا المثل لا يستقيم مع النفس المؤمنة التي لا تذكر
الله إلا بالإجلال وليس بالتطاول عليه في التعبير، فلو سمع

من يردد هذا المثل تلك الكلمات لما زاد على قوله:
يا عم أنت بتقول إيه!!

• خذ عندك هذا المثل أيضًا "الديني عمر وارميني البحر" يقول فيه أحمد تيمور، أي إذا كانت السلامة مكتوبة لي ولم يزل في عمري بقية فإن إلقائي باليم لا يضرني، ويضرب هذا المثل لمن ينجو من خطر لا تظن النجاة منه".

كلام عبد الصمد يختلف تمامًا يقول: "هذا المثل يفتقد للحس الإسلامي الذي حرص على أن يتحرى الدقة في التعبير" لماذا يا سيدنا الفاضل؟ يقول "لأن الذي يعطي العمر أو يأخذه ليس أحدًا من البشر، إنما هو الله الخالق البارئ المهيي المميت لا إله إلا هو سبحانه وتعالى، هذا من الناحية الشكلية، أمّا من ناحية المضمون فتجده قد اكتتفه خصال ضعف العزيمة وعدم التوكل على الله الذي حثّ عليه الشرع الحكيم في كتابه العزيز "فإذا عزمْتَ فتوكل على الله.. إن الله يحب المتوكلين" ..

والمسألة ليست هكذا على الإطلاق، ثم ما هي حكاية
الافتقاد للحس الإسلامي، ودفع أحد البشر لدرجة الله، ولك أن
تتخيل أن بعض الناس يرددون هذا المثل على اعتبار أنه من
أحاديث النبي فيقولون "قال النبي أعطني عمراً وارميني
البحر" وهو دليل على أن الناس يرددون هذا المثل كدليل
على الإيمان العميق للغاية، فما كتبه الله نافذ حتى ولو أقيمت
بإنسان في بحر لحي وهو لا يعرف العوم، ومكتوب له عمر
فسيخرج ناجياً لأن الله كتب له ذلك وليس كما يقول الأخ عبد
الصمد فيه عدم توكل على الله.. يا أخي المثل فيه كل التوكل
على الله.

• "كثر السلام يقل المعرفة" في هذا المثل يقول الكاتب
الذي بين أيدينا، عجباً أن يقال كثرة السلام تقل
المعرفة، فلم تتج حتى تحية الإسلام من مكائد الشر
الذي له أعوانه وأدواته في كل حين، فقد توهم
البعض أنه مثل لا يراد به باطل فتواتر بينهم
وما زال يعيش بين بعض الناس، هذا المثل يتناقض
مع السلوك الإسلامي الحميد ومظاهره، ومن تلك
المظاهر التحية التي تقوم بين الناس في كل مرة يتم

فيها لقاء حتى ولو كان قصيراً جداً بين كل لقاء ولقاء، فمن يدري ماذا فعل الشيطان في النفس في الوقت القصير الذي ابتعد فيه الشخص عن أخيه المسلم فيجيء بالسلام والتحية ليهدم ما بنته الوسوس.

أحمد تيمور يقول في معنى هذا المثل: "المعرفة يريدون بها الصحبة والصدقة، يضرب في أن الإفراط في الشيء يقبله إلى ضده".

ونحن نميل إلى تفسير تيمور؛ لأن هذا معروف فالإكثار من الشيء يقبله إلى ضده، تيمور أصوب لأنه يبحث خلف كلمات المثل العامي، لا يقف عند حدودها الجامدة ثم يصرخ ويلطم خدوده ويقول تعالوا يا مسلمين هذا خروج على شرع ربنا، لكن أن يفسر المثل بكلماته ولا يتجاوزها من يتعامل معه إلى ما وراء الكلمات يخطئ كثيراً، فلأن كامل عبد الصمد تعامل مع السلام كسلام فقط.. كتحية الإسلام.. فقد تقمّص دور الداعية كثيراً، فهو يلوم على من يرددون هذا المثل حيث إنه لمّا خلق الله تعالى آدم أظهر له الطريق في علاقته بالله وعلاقته بالناس، وكانت كلمة التحية

التي أراد الله أن تكون بين بني البشر كلمة السلام، أول من نطق بها آدم ألقاها على الملائكة. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم يقول هل يعلم الذين يرددون هذا المثل أنه من السنة استحباب إعادة السلام على من تكرر لقاءه عن قرب بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال أو حال بينهما شجرة أو نحوها، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه" فإن حالت بينهما شجرة أو جدار ثم لقيه فليسلم عليه".

هذا الكلام رائع للغاية في حالة واحدة إذا قيل في موضوعه، لكن أن يقال هكذا وبدون مناسبة، وفي موضع غير موضعه فذلك ليس من الحكمة في شيء. ثم إن ما يقوله المصريين بالذات لا يخضع لقواعد ولا لقوانين، فهم شعب مزاجه حريف، كلماته حرافة يبغى من ورائها السخرية والنكتة والفكاهة؛ ولذا صعب أن نسمع اعتراضًا على أمثال من قبيل:

- خلف البنات يحوج لنسب الكلاب.
- أقول لها انت طالق.. تقول قوم بنا ننام .

- الفلاح يوم ما يتمن يجيب لأهله مصيبة.
- الفقي يقيس الميه في الزير.
- كذب مساوي ولا صدق مبعزق.
- فائدة أيام البطالة النوم.
- الطويل أهبل ولو كان حكيم .
- يا مأمنة للرجال.. يامأمنة للميه في الغربال.
- عيب الراجل جيبه.
- الكي بالنار ولا حماتي بالدار.
- ابن الكبة يطلع القبة.. وابن اسم الله خده الله.
- ابن الهيلة يعيش أكثر.

كل هذه الأمثال يقولها المصريون تتدرًا أو سخرية على بعضهم البعض، لكن يفاجئنا الكاتب بأنها أمثلة خارجة عن روح الإسلام وتعارضه ومن يرددها فإنما يرتكب بذلك إثمًا وبهتانًا عظيمًا، هذه الأمثال وغيرها تعبر عن المزاج المصري الخالص وتحمل قدرًا من همومه وآلامه وتعبيره عن عجزه في كثير من الأحيان، وإذا كان الكاتب يريد أن يقنعنا أن هذه الأمثال يجب أن تُحَى من وعي وذاكرة الأمة لأنها حرام، فإننا ندرك أن الناس عندما يقولون هذا

الكلام لا يكون في ذهنهم مطلقاً التعدي على الله أو مساواة
البشر به أو تحدي إرادة الله، فالناس أضعف من كده
يا أخوانا، وبعدين كثير على الناس يفضفضوا ويقولوا اللي
في نفوسهم؟!

مرة أخرى عندما تسمع لأحد يتحدث بهذا المنطق
ويقلب كل شيء إلى حرام يقتحمك موقف رواية الأرض.
ومسعود أبو قاسم صاحب الجاموسة التي وقعت في الساقية
وهو يقول لشيخ المسجد مستغنياً مما حدث له ما تغور بقى
يا سيدنا.. يا شيخ غور.. فاتحة إيه.. وبقرة سيدنا موسى
إيه!!

٥

شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

صحافة الترابية

عندما تقوم بجولة لتتعرف على وظائف الصحافة ستجد أن جميع من كتبوا يهتمون بإبراز وظائف مثل الإخبار أي نقل أحداث العالم كاملة إلى الجمهور الذي يتابع الصحيفة، التثقيف حيث يكون عقل القارئ هو الهدف بوضع جميع المناقشات التي تدور في المجتمع أمامه فيكون على دراية كاملة بما يموج به المجتمع من أفكار، التسلية كذلك من وظائف الصحافة حيث تضع في اعتبارها ضرورة الترويح عن هذا القارئ المثقل بالهموم.. تشارك الصحافة في تنمية وترقية المجتمع في الدول النامية وتساهم بقسط كبير في الرقابة على مؤسسات المجتمع والوقوف له بالمرصاد في المجتمعات المتقدمة، وعندما تتصفح أي كتاب عن الصحافة ستجد فيه حذفاً لهذه الوظائف أو إضافة لها.

ومع احترامنا الشديد لكل من كتب عن وظائف الصحافة، فقد غفل الجميع عن مهمة واقعية للغاية.. يستشعرها الدارسون والباحثون في الصحافة، فالصحف المصرية الجديدة التي تسمى بالصحف المستقلة سواء تلك

الحاصلة على تراخيص من المجلس الأعلى للصحافة
أو الحاصلة على تراخيص من قبرص.. وللإيضاح أكثر
نذكر منها صحف النبأ والأسبوع والميدان والزمان.⁽³⁾

هذه الصحف تكتب في المطلق.. تساهم بقدر
لا يستهان به في تغييب وعي الناس وقذفهم بموضوعات
لا تسمن ولا تغني من جوع.. ولأننا نتحدث عن شيوخ مصر
الأفاضل.. فلا يفوقتنا أن نقول إن هذه الصحف تجر الشيوخ
إلى ساحتها التي تحكمها آليات معينة لعل أهمها هو السيطرة
على القارئ الذي يدفع ثمن الجريدة راضياً مرضياً.. فالهدف
جيب القارئ وجيب المعلن.. ومن أجل الجيوب تظهر
العيوب والعورات، فمقبول أن يتعرف الناس على آراء
علماء الدين في أمور الدين بما يصح عبادة الناس، لكن
بالله عليك ما فائدة موضوعات هذه عينة منها..

- قل لنا يا مولانا.. ما هي آخر نكتة سمعتها بشرط
أن نضحك عليها؟

⁽³⁾ لم نذكر امثلة للصحف القبرصية حيث إنها صحف قلقة غير مستقرة
تظهر وتخبو تبعاً لرضاء الحكومة عنها أو غضبها عليها.

- هل تزوجت يا مولانا عن حب.. أم تزوجت
زواجًا تقليديًا؟

- ما رأيك يا مولانا في المطربين.. من تحب منهم..
وما هي الأغاني التي تستمع إليها؟

- متى دخلت آخر مرة السينما.. وهل أعجبك
الفيلم..؟

- أين تفصل ملابسك يا مولانا.. وهل هي مستوردة؟
- حكايات وقصص عن شذوذ رجال الدين..

- افتعال المعارك وإقحام الشيوخ فيها إقحامًا.. ولعل
الأمثلة السابقة تكفي.

أعترف تمامًا أن هذه الموضوعات يقبل عليها الناس،
وأفتتح تمامًا بضرورة أن يتواجد الشيوخ على صفحات
الصحف ولكن بحدود.. يمكن أن تنتقدهم وتناقشهم وتقول لهم
عندكم..

لكن أن يتساوى الشيوخ مع نجوم الغناء والسينما فهذا
غير مرغوب فيه على الإطلاق، على كل لا نستطيع أن ندفن
عقولنا في الرمال ونقول هذا حق الصحفيين خاصة
وهم يعيشون أزهى عصور الحرية والديمقراطية (!!).

فهذا ليس من حقهم!! المصيبة والتي يشعر بها القرييون من الوسط الصحفي أن من يقومون بتقديم هذه الموضوعات مقتنعون تمام الاقتناع بأنهم أصحاب رسالة وأنهم بذلك يعملون من أجل هذا الوطن.. من أجل رفعتة وراحته ومستقبله.. وربنا يستر على هذا المستقبل الذي سيظل في خطر ما دام أنه سيطر على الصحافة هؤلاء الذين يذهبون إلى الترابية حتي يؤكدوا لهم أن هناك شجاعًا أقرع وأن هناك عذاب القبر.. اتلحقيقة أن ما فعلوه هو عذاب القبر بعينه..

التوضيح يحتاج لتفاصيل.. والتفاصيل ليس مكانها هنا.. فربما تكون هناك وقفات أخرى مع الترابية عندما يسيطرون على الصحافة.

٦

شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

شيوخ وراقصات

في حوار يمكن أن نطلق عليه صفة الشجاعة قالت
الراقصة الصاعدة دينا وكلامها هنا بالنص: "أعرف أن
الرقص حرام لكن ربنا رب قلوب".

ولأن دينا ليست فقيهة ولا من أصحاب الذكر فإننا
سنرغب عن أخذ ديننا منها أو عنها، خاصة وأنه لا يوجد ما
يلزمنا بذلك، فقط يمكن أن نعود إلى قائلته بعد رحلة قد تكون
طويلة بعض الشيء مع موقف الإسلام من الفنون بوجه عام،
وهو موقف طال واستطال وانتشر والرحلة يمكن أن تتطور؛
لأننا سنستعرض الموقف خلال الحياة سواءً في الماضي
أو في الحاضر أو حتى في المستقبل لمن يعيش فيها كل
الوجوه المعقد والبسيط.. المحب للحياة والكاره لها الذي
يأخذنا بالعسر في كل شيء، والذي لا يشغله إلا التيسير على
نفسه وعلى الناس، الذي يظل على موقفه منها - ولعجب
الشيوخ أيضاً لهم نفس الوجوه - الذي يحيل الحياة إلى جحيم

لا يطاق والذي يعيشها جنة الله التي لا يعكر صفوه فيها
شيء!!

والآن نبدأ.

يقول الإمام الشافعي في كتاب "آداب القضاء" إن الغناء
مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفیه ترد شهادته.
ويقول القاضي أبو الطيب.. استماع الغناء من المرأة
التي ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي بحال
سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة
أو مملوكة.. بل يذهب الإمام الشافعي إلى أكثر من ذلك حيث
يقول إذا جمع صاحب الجارية الناس لسماعها فهو سفیه ترد
شهادته.

الإمام مالك أراح رأسه من الأخذ والرد وقال:
"إذا اشترى الرجل جارية فوجدها مغنية كان له ردّها" حيث
يعتبر ذلك عيباً من العيوب التي توجب ردّ الجارية.

أبو حنيفة النعمان كان يكره سماع الغناء كرهاً شديداً
ويجعل سماع الغناء من الذنوب وما دام أبو حنيفة دخل به
إلى باب الذنوب فهو حرام، وهذا مذهب معظم أئمة الإسلام
فالغناء فيه نوع من فساد القلوب وترقيق العزائم وخور الهمم

وضياع تام بعد ذلك لأية محاولة إصلاحية، فبه ينشغل الناس عن أمورهم الأهم.

ورغم أن القائلين بتحريم الغناء - وبتخذ الغناء هنا نموذجًا فقط من نماذج الفن حيث إنه إذا ثبت تحريم الغناء فالرقص والتمثيل أولى وأحق بالحرمة - كثيرون لكن القائلين بأنه حلال كثيرون للغاية.. وهذا طبيعي للغاية ومنطقي أيضًا.. فالنفس الانسانية بطبيعتها تميل إلى الترويح فهي إلى اللهو أقرب وإلى اللعب أسرع وهذه بعض نماذجهم..

نقل أبو طالب المكي إباحة السماع من جماعة فقال "سُمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان، وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المعدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق، ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأدر كنا أبا مروان القاضي وله جوار

يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال.. وكان لعطاء
جارتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما.

وقيل لأبي السحن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان
الجنيد وسري السقطي وذو النون المصري يستمعون؟

وروي عن يحيى بن معاذ أنه قال.. فقدنا ثلاثة أشياء
فما نراها ولا أراها تزداد إلا قلة حسن الوجه مع الصيانة،
وحسن القول مع الديانة.. وحسن الإخاء مع الوفاء ورأيت
في بعض الكتب هذا محكيًا بعينه عن الحارث المحاسبي وفيه
ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصونه وجده في
الدين وتشميره.

وكان ابن مجاهد لا يقبل دعوة إلا أن يكون فيها
سماع، وحكى غير واحد أنه قال "اجتمعنا في دعوة ومعنا
أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر ابن داود وابن مجاهد في
نظرائهم، فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرص ابن بنت
منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود "حدثني أبي
عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا
على مذهب أبي" فقال أبو القاسم أمًا جدي أحمد بن بنت منيع

فحدثني عن صالح بن أحمد أن أبان كان يسمع قول ابن
الجزارة فقال ابن مجاهد لابن داود "دعني أنت من أبيك".

وقال لابن بنت منيع "دعني أنت من جدك أي شيء
تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أحرام هو؟!
فقال ابن داود.. لا..

قال.. فإذا كان حسن الصوت حرم عليه؟!
قال... لا

قال.. فإن أنشده وطوله وقصر منه الممدود وأحمد منه
المقصور أحرام عليه؟

قال.. أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف أقوى لشياطين؟
وكان أبو الأسود العسقلاني من الأولياء يسمع ويوله
عند السماع وصنف فيه كتاباً رد على منكريه وكذلك جماعة
منهم صنفوا في الرد على منكريه.

وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال "رأيت النبي في
النوم فقلت له يا رسول الله هل تتكر من هذا السماع شيئاً،
فقال ما أنكر منه شيئاً ولكن قل لهم يفتحون قبله بالقرآن
ويختمون بعده بالقرآن".

وحكي عن طاهر بن بلال - وكان من أهل العلم - أنه قال : " كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوماً طائفة يقولون في جانب منه قولاً ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبي وقلت "في بيت من بيوت الله يقولون الشعر، فرأيت النبي تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق وإذا بأبي بكر يقول شيئاً من القول والنبي يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك، فقلت في نفسي ما ينبغي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله وقال هذا - حق بحق - أنا أشك فيه

وقال الجنيد.. تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة.. وعند المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً.

وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع فقيل له.. أيؤتى يوم القيامة في جملة حسناتك أم سيئاتك؟ فقال.. لا في الحسنات ولا في السيئات.. لأنه شبيه باللغو وقال الله تعالى "لا يؤخذكم الله باللغو في إيمانكم".

ونقلًا عن كتاب - إحياء علوم الدين - للإمام أبو حامد الغزالي نقول "اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه، وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس على المنصوص وأعني بالنص ما أظهره النبي بقوله أو فعله وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلاً لا حرج فيه كسائر المباحات، ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك من جوانب أدلة المائلين إلى التحريم ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكاً كافياً في إثبات هذا العرض.

لكن نستفتح ونقول: "دل النص والقياس جميعاً على إباحته أمّا القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه معانٍ ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب، فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره، والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات.

أمّا سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس، فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به، ولإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك، وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ، فلذّة النظر في المبصرات الجميلة وهي في مقابلة ما يُكره من الألوان الكدرّة القبيحة، ولشم الروائح الطيبة وهي مقابلة المرارة المستبشعة، وللمس لذة اللين والنعومة والملامسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة، وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها.

أمّا النص فيدل على إباحة الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده إذ قال "يزيد في الخلق ما يشاء" .. فقيل هو الصوت الحسن، وفي الحديث "ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت" وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام "أنه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطير

لسماع صوته وكان يحمل في مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب منها في الأوقات".

وقال في مدح أبي موسى الأشعري "لقد أعطي مزمارة من مزامير آل داود" وقول الله تعالى "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن، ولو جاز أن يقال إنما أبيض ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمه أن يحرم سماع صوت العنديلين لأنه ليس من القرآن ، وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة، وإن من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث أنه طيب حسن".

انتهى كلام أبو حامد الغزالي

ويمكن أن تقطع من صفحات كتابه سطوراً كثيرة عن الغناء وحكم الشرع فيه وما يفعله من أثر في القلوب، لكننا نكتفي بذلك لأكثر من سبب:

الأول.. أن الأحداث والروايات تراثية للغاية.. لا نفع فيها ولا خير من وراثتها، ولا أعرف نهاية لاعتمادنا على كتب التراث وما فيها من جنون يجرنا إلى حديث متشابك لن

نخرج من ورائه بحل لأي شيء في حياتنا المعاصرة،
وحياتنا المعاصرة هي الشيء المهم الذي نبحث عنه وفيه...!!
الثاني.. هو الاختلاف الكلي والجزئي لتفاصيل حياتنا
المعاصرة عن حياة هؤلاء الذين حرّموا الفنون وأولئك الذين
أحلّوها.. فمهما بلغت تصوراتنا عن عقول وخيالات أسلافنا
فإن عقولهم لم تكن لتقودهم مطلقاً إلى الصورة التي عليها
الفنون الآن بكل ما فيها، فليس لواحد من أسلافنا أن يتصور
مطلقاً أنه سيكون لدينا رقص شرقي ومطربات شبه عاريات
وفنانات يتحدثن عن الإغراء بشروط.. وتخيل ماذا يمكن أن
يقول ابن داود أو ابن بنت منيع أو العسقلاني أو ابن أي أحد
لو نظر إلى بدلة فيفي عبده الساخنة أو دينا وما ترتديه
- أو قل مالا ترتديه- وهي ترقص..

ولنبداً الحديث مرة أخرى..

فنحن ننظر إلى الفنون بمنظور معاصر ونسجل كلام
معاصرين عن شتى ألوان الفنون، خبروا جيداً ما يحدث
ورأوه رأي العين.. وهذه بعض الكلمات وبدون تدخل..

الشيخ محمد الغزالي..

عن الغناء يقول: "لم يرد حديث صحيح في تحريم الغناء على الإطلاق وقد احتج البعض بما جاء في القرآن الكريم بسورة لقمان "ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً"
ولعمري إن من يشتري جد الحديث أو لهوه للأسباب المذكورة في الآية المذكورة جدير بسوء العقاب أمّا من يريح أعصابه المكدودة بصوت حسن ولحن جميل فلا علاقة للآية به.

وكما يقول - ابن حزم - لو اشترى إنسان مصحفاً لإضلال فهو مجرم ويبدو أن اقتران الغناء ببعض المحرمات من خمر وفحش وما يشاع عن البيئة الفنية من تحلل كل هذه الانحرافات أساءت للغناء وهي التي جعلت عددًا من العلماء يسارع إلى تحريمه، بيد أنه ليس من الضروري أن تجتمع هذ الفواحس كلها عند سماع الأغنية، وعلى أية حال فإذا كان الغناء مقرونًا بتلك المحرمات فهو مرفوض أمّا إذا برىء منها فلا شيء فيه، فالغناء عبارة عن كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، ومن غنى أو استمع إلى غناء شريف المعنى

طيب اللحن فلا حرج في ذلك والإسلام لا يحرم إلا الغناء الهابط.

وعن الموسيقى يقول "الموسيقى كالغناء فقد رأيت في السنة أن النبي مدح أبو موسي الأشعري وكان يتغنى بالقرآن وقال له " لقد أوتيت مزمارة من مزامير آل داود" ولو كان المزمار محرماً كما يقول بذلك أصحاب العقول الضيقة ما مدحه رسولنا الكريم بهذه الصفة، وقد سمع النبي صوت الدف والمزمار بلا حرج ، ولا أدري لماذا قال البعض بتحريم الموسيقى فالأصل في الأشياء الإباحة ولا تحريم إلا بنص قاطع، وإذا كان هناك مجال للاعتراض فعلى الأصوات المخنثة والألحان المثيرة، لكننا نجد نفرًا من سوداوي المزاج قاموا بتحريم الفن كله وعندنا أن الأصل في الأشياء الإباحة، لكن أصحاب العلل الأصل في الأشياء عندهم التحريم أو على الأقل الكراهية".

وفي إحدى الندوات التي عقدت في صالون إحسان عبد القدوس بروز اليوسف عام ١٩٩٠، تحدّث الشيخ الغزالي عن الفنون بمنتهى الصراحة فقال: "إنه كلما كان في حالة من الأرق والقلق أو كانت أعصابه مرهقة فإنه يستمع

لبعض من الموسيقى الهادئة التي تريح أعصابه" بل إن الشيخ الغزالي كان من المعجبين بصوت فيروز خاصة في أغانيها الوطنية حيث إن صوتها فيه نوع من الصفاء قلما يتواجد في صوت آخر.

وما يدل على أن الشيخ كان يعجب بالأصوات الجميلة وينفر من الأصوات القبيحة أنه عندما استمع إلى أحد المطربين الجدد قال معلقاً إن صوت أم كلثوم أكثر رجولة من هذا المطرب المخنث، بل إن الشيخ الغزالي دلل على حسه الموسيقي عندما قال إن محمد عبد الوهاب أخطأ في تلحينه للقصيدة التي يقول أحد أبياتها" وللحرية الحمراء باب - بكل يد مزرجة تدق" فقد كانت الموسيقى هادئة وكان من المفروض أن تصاحب هذا البيت أصوات المطارق تضرب بقوة حتى يصل المعنى المقصود إلى المستمعين وكان الشيخ الغزالي يتدخل في مسألة التوزيع الموسيقي.

موقف الشيخ الغزالي من الفنون يؤكد أننا لو رزقنا بفنانين ذوي شرف ومقدرة لأمكن تحويل الفنون بأنواعها إلى عوامل للبناء لا للهدم ولإثارة المشاعر النبيلة وليس لإثارة الغرائز الدنيا، والرجل لا ينطلق في كلامه هذا من

فساد عقيدة - لا سمح الله - كما وصفه البعض ولكنه كان يرى في الحياة شيئاً جميلاً يجب أن يعاش ولذا يصف الذين يحرّمون هذه الفنون بأنهم أصحاب عقول ضيقة فهو مثلاً كان يكتب الشعر وكان يغلب على شعره الغزل العفيف وعندما سأله البعض عن ذلك قال: "سأظل أقول شعر الغزل حتى لو قالوا إن الغزالي يتغزل".

الرجل صاحب رؤية متطورة للغاية ولكن إذا جئنا بالرقص ووضعناه على ميزان كلمات الشيخ الغزالي لأمكن لنا أن نقول إن الرقص حلال فيمكن أن نصفي الرقص الشرقي من كل ما يشوبه من مخالفات - ولا أعرف كيف - ليصبح الرقص حلالاً ولا عيب فيه.

كثيرون هم من يقولون مثل كلمات الشيخ الغزالي، لكنه كان الوحيد - يرحمه الله - الذي كان يقول رأيه بصراحة شديدة ووضوح أشد. د. سيد طنطاوي شيخ الأزهر لا يرى أية عيوب في أن يستمع للأغاني الدينية فهي قادرة على جعله في حالة من الوجد الشديد لكنه يقول ذلك على استحياء..

رأي آخر خرج ولكن ليس على استحياء كتبه
د. أحمد شوقي الفنجري في مقال طويل، يمكن أن يطول
نقاشنا من خلاله يقول: ". الحديث عن قضية الفن يجب أن
يبدأ أولاً بالترفة ما بين الفن والفساد وأن نتجه منها أولاً..
فالفن علم ودراسة وليس فيه أي انحراف وإن كان هناك من
يستغل الفن في الانحراف، كاستغلال الغريزة الجنسية لكي
يشتهر أو يكسب، هذا ليس فناً وليس في قواعد الفن ما يبيح
أي انحراف أو شذوذ فالفن علم وله قواعده".

النظرية العقلية ما زالت تنتظر إلى الفن بدون فلسفة،
فالفن حلال ولا شيء فيه على الإطلاق مادام هو في ذاته
شيئاً راقياً.. يسعى وراء تطوير الناس ويسمو بأرواحهم،
ولو تعاضينا عن مسألة السمو بالأرواح هذه فلنقل على الأقل
إن الفن يسعى خلف الترويح عن الناس وإراحة أرواحهم
وأجسادهم ونفوسهم، ولو كان هذا فقط ما يفعله الفن لكفى.

وفي عصرنا الحاضر يقولون إن الفن علم، والعلم فن
وكلاهما لا غنى عنهما في الحضارة الحديثة التي تسير على
قدمين إحداهما هي العلم والأخرى هي الفن، ولقد أثبت العلم
الحديث أن الفن لا بد منه في كل مرحلة من مراحل الحياة..

نحن نقول هذا الكلام للذين يقولون إن الفنون مضيعة للوقت ولا فائدة منها، هم لا يعرفون الحضارة الحديثة، ولا يعرفون احتياجات الناس في العصر الحاضر، فالفن دخل في كل شيء في حياة الإنسان، فكل المخترعات الحديثة كانت لا يمكن أن تتم إلا بالعلم والفن معاً، الفن هو الذي ينشئ ملكة الخلق والابتكار عند الإنسان والذي يساعده أن يحسّن أحواله ويحسّن أحوال الإنسانية".

وفي هذه الكلمات أيضاً تكأة أخرى يعتمد عليها الكاتب ليعطي مساحة من الرضا والقبول للفن، فهو يجعله أساساً ثابتاً وراسخاً من أسس تقدم الحياة وازدهارها، يرد بدون انفعال على من يتهمون الفن بأنه شيء لا فائدة له ولا ضرورة تجنى من ورائه، فمنه قد يستمد الإنسان بعضاً من الطاقة الروحية التي من خلالها يستطيع أن يكمل إبداعه وابتكاره وآيات إنتاجه، ولأن الكاتب مقتنع تماماً بفكرته فهو يعدد مواقف الإسلام من ألوان الفنون.

يقول البعض إن التصوير حرام والتماثيل حرام، ونرى الآن أن التصوير والتماثيل أصبح جزءاً لا يتجزأ من الحضارة الحديثة، والتصوير دخل في كل شيء في البطاقة

الشخصية وفي جواز السفر وفي التقدم إلى وظيفة من الوظائف (هذا في حالة إذا كان هناك وظيفة خالية) والتصوير وصل إلى مرحلة راقية من العلم لدرجة أنه أصبح علماءً مستقلًا بذاته فمثلًا في أماكن البحث عن الجرائم والجنايات يوجد جهاز خاص من الرسامين والمصورين، فعندما يهرب المجرم ويأتون بالشهود الذين رأوا المجرم كل منهم يدلي بأوصافه ومن كلامهم ووصفهم يستطيع الرسام أن يخرج صورة تصل إلى ٩٥% من الشكل الأصلي للمجرم، أيضًا في هيئة اليونسكو فرع متخصص في الرسوم يبحث عن العلماء والشخصيات الذين أثاروا تاريخ الإنسانية، هؤلاء الرسامون يذهبون إلى مقابر المشاهير ويبحثون عن جماجمهم ويصورونها من ثلاث اتجاهات ويعلم (الفيديومي) يعملون جمجمة شبيهة بالجمجمة الأصلية ويضعون عليها بعض المعاجين حتى يصلوا إلى وجه الإنسان الأصلي بحيث يقول العلماء إن هذه الصورة تمثل ٩٨% من الشكل الأصلي.

أيضًا التماثيل أصبحت في عصرنا الحاضر مهمة جدًا في كليات الطب، الطلبة يتدربون على تماثيل شمعية تمثل

جسم الإنسان وفيها كل ما في جسمه من تفاصيل تشريحية ويتعلمون عليها بدلاً من تشريح جسم الإنسان الحقيقي، أيضاً التماثيل أصبح لها أهمية في متاحف الحضارة الإنسانية، ليتعلموا تسلسل الحضارة والتاريخ الذي مرّت به الإنسانية، استعمال التماثيل كذلك في حوادث السيارات لكي يكتشفوا من الحوادث الصناعية أي الأجزاء في جسم الإنسان تتعرض للحوادث ويمكن تلافئها وتعديلها لحماية الإنسان أكثر.

وأقول إن علم الموسيقى. وأقول عنها علمًا، لأنها ليست ما نعرفها بالفن الرخيص ولكنها السيمفونيات الحديثة التي تخاطب عقل الإنسان والموسيقى الكلاسيك اليوم أصبحت خطابًا للعقل أكثر من العاطفة فهذه الموسيقى أصبح لها في العصر الحديث رسالة مهمة وخطيرة جدًا لدرجة أنهم وضعوا موسيقى في حظائر البقر لتساعدوا على إدرار الألبان أكثر من الظروف العادية، أيضاً وجدوا أنها في أماكن العمل الإنتاج يزيد، وأيضًا في المستشفيات وأماكن الانتظار، المنتظرون عندما يسمعون إلى الموسيقى تهدأ أعصابهم ولا يصيبهم القلق ويقل الشغب. أيضاً الموسيقى تستخدم اليوم في علاج الأمراض العقلية في مستشفيات الأمراض العقلية

ووجد أن الأطفال يتعلمون الدروس بالموسيقى والغناء أكثر من الدرس الشفوي والنظري، من هنا لا يمكن أن نقول إن الموسيقى حرام وإنما مضيعة للوقت، هذه الأفكار من المفروض أن تتغير مع الزمن.

عندما يسمع إنسان مسلم (الرقص) يتصور أنه الرقص الشرقي وهذا ليس بفن وأبعد ما يكون عن الفن بل هو انحراف عن الفن، والرقص معروف في عهد الرسول وكان الأحباش يرقصون أمام بيته فلم ينكر عليهم شيئاً فأخذ زوجته السيدة عائشة لتشاهدهم معه وهو يقول "هيبه" يا بني أرفدة (أي يشجعهم).

أيضاً هناك رقصات عربية موجودة في التاريخ العربي منها رقصة السيف حيث يقف الفرسان يرقصون رقصات فيها الرياضة والصحة وفيها إظهار المشاعر الإنسانية ، أيضاً هناك الرقص الجماعي الذي يمثل شعوباً مختلفة ورقص البحارة، فالرقص فيه أنواع من الفن، وبالنسبة للطفل رياضة مهمة جداً والأطفال الذين يتعلمون الرقص يحفظون لياقتهم البدنية مدى الحياة، إذن لا نستطيع أن نقول إن جميع الفنون خطأ وانحراف أو فساد، وأهم فائدة

للفن أنه يرقق المشاعر الإنسانية، ويؤكد على ملكة حب الخير والنظافة.

وإذا كنا نجد مثل هذه الآراء الطيبة التي بها من اليسر أكثر من العسر فإن هناك وجهة نظر أخرى تراثية تستند إلى ظهر الماضي وترتكز إليه.. ولا يكتفي صاحبها بتبنيها ولكنه يطالب شيوخ المساجد أن يؤكدوا عليها ويذيعونها، وننقل هنا جزءاً من كتاب "الخطبة العصرية" الذي به عدد كبير من الخطب المنبرية التي وضعت خصيصاً لخطباء المساجد وهو يعكس كيف يفكر خطباء المساجد ومن أين يستمدون مادتهم.. وكيف يكوّنون رأيهم في قضايا العصر.

يقول الكتاب.. "سادت الفوضى بين الناس، فأصبحوا لا يفرّقون بين الصواب والخطأ، وبين الحلال والحرام فوّلح قومنا بالغناء وكرّموا أهله وأنزلوهم منازل الشرفاء وهم الفاسقون الذين يجمعون الناس على موائد الفسق والضلال تحت ستار ما يسمى بالفن. فقد انتكست عندهم موازين الاخلاق فصاروا يسمون الزنا الذي حرمه الله حبّاً، والهمجية حرية، والرقص والغناء فناً، والدعارة حضارة!! وأصبح اللائي يهزرن بطونهن أمام الناس ويخلعن برقع

الحياء ويظهرن كاسيات عاريات يكرمن غاية التكريم؛ ولذلك فقد امتلكن العربات الفاخرة والقصور الشامخة وعندهن الملايين ولا أبالغ في الأموال التي جاءت بغضب الله الكبير المتعال، في الوقت نفسه تجد الذين ألزموا أنفسهم حدود الله وعودوها على سنة رسول الله يضامون ويعذبون ويسجنون ويضربون ويوصفون بأقذر الصفات وينزلون أحط المنازل، فلننتظر عظمتنا من الملك العلام، إن لم نعد إليه ونصلح حالنا ونحل ما أحله ونحرم ما حرمه الله.. "ثم ينقل مؤلف الكتاب شواهد عديدة على كلامه.. وهذه بعضها.. ابن القيم.. "من مكائد الشيطان ومصائده سماع المكاء "ما يشبه الصفير" والتصدية أي التصفيق والغناء بالآلات المحرمة التي تصد القلوب عن القرآن وتجعلها عالقة على الفسوق والعصيان فهو قرآن الشيطان".

أبو جعفر الطبري.. "لَمَّا يئس إبليس أن يسمع من المتعبدین شيئاً من الأصوات المحرمة كالعود نظر إلى المعنى الحاصل بالعود فدرجه ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم وإنما مراده التدرج من شيء إلى شيء والفقير من نظر في الأسباب والنتائج وتأمل المقاصد".

هذه الكلمات تدل على أن هناك اتجاهًا عصريًا نعايشه ونراه ونشعر بمدى ضراوته حيث يفتتح به جميع خطباء المساجد بلا استثناء وهو أن الفن حرام.

الراقصات وموائد الرحمن

مظهر حضاري - أو غير حضاري - لكنه على أية حال مظهر من مظاهر احتفالنا بشهر رمضان أن يقوم الأغنياء بإقامة ما يسمى بموائد الرحمن وهي أماكن يتجمع فيها الفقراء وأبناء الطريق للإفطار فيها في رمضان، هو في النهاية عمل من أعمال الخير الكثيرة التي يتقرب بها الناس إلى ربهم في هذا الشهر، لكن ومثل أشياء كثيرة في حياتنا تسلل إليها بعض من الفساد الذي سببه ومصدره - النفس الإنسانية المريضة أو العليلة أو على أقل تقدير الضعيفة - حيث تحول هذا العمل في بعض أماكنه إلى مجرد عمل مذهري دعائي.

ومن هذا المدخل ظهرت الراقصات على موائد الرحمن في مصر واشتهرت مائدة الراقصة فلانة ومائدة الراقصة علانة، الناس تعرف تمامًا من يعمل الخير ومن

يدعيه، ولو سلمنا حتى أن الراقصات أو راقصة بعينها تقوم بإعداد مائدة رحمن للصائمين في رمضان فهذا ليس موضوع نقاشنا، الموضوع يتعلق بالحلال والحرام، ويحاول أن يعرف هل ما يحدث -بمنظار محدد جدًا ودقيق للغاية - حلال أم حرام؟ هل المائدة التي تُعدُّ بأموال جاءت من الرقص تعتبر في سجل أعمال الخير أم أنها من الأعمال التي تضيع سدى فلا يكون لها ثواب. هذا هو السؤال.. أو هكذا من المفروض أن يكون السؤال.

فلا معنى إطلاقاً أن يثور بين شيوخ مصر جدل هائل وكبير حول موائد الرحمن لصاحبته من الراقصات حلال أم حرام.. فهذا جدل عقيم دار للأسف بين شيوخ مصر منذ سنوات ويتجدد كل عام، لا يهمنا إطلاقاً ما دار أو قالوه أو حتى حكمهم الشرعي الذي أصدروه، فالبعض قال لا ثواب.. والبعض قال لهم ثواب، ما يهمنا هنا هو الراقصات، عملهن وأعمالهن، مالهن وما عليهن، كل ذلك يدخل مباشرة تحت مظلة الحلال والحرام وهو شيء أكثر تماساً واقترباً من الحديث عن أهل الفن الآخرين وعلاقتهم بالحلال والحرام.

ما لفت الانتباه هو موقف الناس في الشارع، والناس هنا هم هؤلاء الذين يجلسون على مائدة الرحمن في أي مكان، يأكلون ولا يسألون عن مصدر الطعام، فلهم خيره ولصاحبه الثواب إن كان من مال حلال، والعقاب إن كان مال حرام، الناس لا تتشغل بصاحب الطعام كثيراً إن كان راقصة تكسب من هز بطنها أو شيخ يكسب ماله من آيات الله، فالناس فقراء أكثر من اللازم، تعصرهم الحاجة ولا مانع عندهم من إلحاق كلمات من قبيل صاحبة اليد البيضاء الراقصة فلانة أو سيدة البر والتقوى الراقصة فلانة.. ولا شيء يضر على الإطلاق ما دامت ذاكرة الناس أصابها العطب وتمكّن منهم إيدز لعين.

صلاة الراقصات

من حق أي إنسان أن يقرأ كلام ربنا، وأن يتعبد بالطريقة التي يراها صالحة تماماً لتقربه إلى الله، ولا اعتراض ولا رقابة ولا مؤاخظة أيضاً - على ذلك - لكن تصوّر أحياناً تكون قراءة القرآن مكروهة، وتقول يا ريت لا نسمعها خاصة إذا كانت من راقصة تستعد من فورها للصعود للمسرح لأداء رقصة في الغالب تكون ساخنة

أو مطرب جهّز نفسه وعلى وجهه كل علامات الخضوع والخشوع والتقوى يرفع كفيه إلى وجهه ويقرأ الفاتحة متبوعة بشيء من الأدعية أن يوفقه الله فيما هو مُقدّم عليه.

لا نقول إن الفن حرام - فنحن نعاني من أصحاب هذا الكلام أصلاً - وعليه فلا يجب قراءة القرآن قبله أو بعده - لكن كما للصبر حدود، فإنه للفن حدود، فلا يمكن أن تتحمل أعصابك هذا المشهد الذي يتكرر - على الأكثر يحدث في شهر رمضان - مذيعة تجلس في بيت شريك جدًا لفنانة مشهورة - ولا مانع أن يكون فناناً مشهوراً بالطبع - وتسالها المذيعة وأنت ماذا تفعلين في رمضان؟ وتخرج الكلمات بدون توقف والله أنا بأقضي رمضان في الصلاة والصوم وقراءة القرآن وقيام الليل (!!)أمال يا جماعة مين اللي بيسهر في خيام رمضان طول الليل، ومن اللي بيحضر حفلات السحور الصاخبة.. هم أيضاً.. حيث إنه لا تعارض على الإطلاق بين قيام الليل في القرآن وقيام الليل في الحفلات الراقصة على واحدة ونص.

يمكن أن تُفسَّر هذه الحالة على أساس أنها حالة فصام وينتهي الأمر والسلام ، ولكن نحن لنا كلام ، وكلام كثير عن القرآن في أفواه الراقصات.

• أم كلثوم تتركب سيارتها التي يقودها محمد الدسوقي ابن أخيها، يسمعا تقرأ آيات قرآنية، هذا عادي. لكنه يقول .. كانت وكأنها تبتهل.. وكان السؤال الطبيعي.. الذي وجَّه لها.. هل أنت خائفة؟.. وأجابت أم كلثوم نعم خائفة.. والسبب كما ذكرته أم كلثوم ورغم لقاءاتها الكثيرة للغاية مع الجمهور، لكنها ما زالت تخاف منه حيث إنه غول كبير، لا يعجبه العجب فمهما قدم الفنان وأبدع وأنتج كل يوم جديدًا فالجمهور يريد إبداعًا أكثر، يريد جديدًا كل يوم وهذه هي مشكلة الجمهور؛ لذا فهي كانت تتردد آيات القرآن وتبتهل إلى الله حتى يساعدها لمواجهة هذا الغول الكبير، ما فعلته أم كلثوم يفعله الكثير من المطربين والمطربات والراقصات، أم كلثوم فعلت ذلك وهي تتركب سيارتها الخاصة

لم يرها أحد، ولولا حديث محمد الدسوقي عنها لما كان أحد عرف عنها ذلك.
الأمر الآن يختلف.

- خذ عندك مثلاً - هاني شاكر - فقد تركت عليه الكاميرات وهو خارج إلى المسرح وفجأة توقف ورفع يديه إلى وجهه وأخذ يقرأ.. ثم مسح وجهه بيديه - هاني كان يقرأ آيات من القرآن الكريم، ولا نستبعد أنه عمل ذلك أيضاً حماية من الجمهور!!
- في لقاء تليفزيوني منذ سنوات مع النجمة المعتزلة - النائبة حالياً - سهير رمزي كان الحوار كالتالي.. ماذا تفعلين في رمضان؟ والإجابة كانت كالتالي.. والله أنا أقضي رمضان كله في عبادة وصوم وصلاة وطبعاً أقرأ قرآن كثير جداً.. لأن ده مهم جداً للإنسان منا.

- الكاتب الصحفي محسن محمد يقف في الحرم النبوي يزور قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فجأة يجد أمامه الراقصة الشهيرة جداً فيفي عبده تسند رأسها إلى قبر النبي وتأخذها نوبة بكاء عاتية وتردد بعض

آيات القرآن الكريم، تعجّب محسن محمد من الموقف وردّد بينه وبين نفسه سبحان الله، وبعد أن عاد كتب عن هذه المشهد متسائلاً.. هل يمكن أن تكون فيفي عبده الباكية المبتهلة أمام قبر الرسول هي نفسها فيفي عبده التي تشعل مصر رقصاً.. والتي لا تقفز في الهواء إلا بصرختها المعتادة - هوبا..!!

هذا التساؤل أعقبه محسن بسؤال آخر حول اعتزال فيفي عبده الرقص من أساسه حيث إن ما تفعله يعتبر منافياً تماماً لما كان عليه حالها في المدينة المنورة أمام قبر الرسول، فيفي عبده نفسها تؤكد أنها قريبة جداً من الله وأن مشاهد الموت تهزها بقوة من الداخل، وأنها فكرت أكثر من مرة في الاعتزال بعد تعرّضها لمواقف موت كثيرة.

• لم يكن من المستهجن بعد ذلك أن تقول المطربة ذكرى وهي تتحدث عن طقوسها قبل أن تصعد خشبة المسرح إنها تقرأ شوية قرآن، ولا أحد يعرف بالطبع الشوية دول قد إيه..

هذه المشاهد وغيرها تؤكد لدينا القاعدة أن الفنانين والفنانات يحرصون على ترديد آيات قرآنية قبل البدء في

أعمالهم تبركاً به وهذا طبيعي للغاية، لكن من قال هذا؟
من قال إن القرآن وقديسيته تتناسب مع الرقص أو مع الغناء
رقصاً وها هي صورة من الصور الكثيرة التي تؤكد ما ذهبنا
إليه حيث قامت الفنانة نادية الجندي بإقامة حفلة كبيرة دعت
إليها الجميع بمناسبة فوزها بجائزة أحسن ممثلة في مصر
عام ١٩٩٧ عن دورها في فيلم "امرأة فوق القمة" وبمناسبة
نجاح فيلم "٤٨ ساعة في تل أبيب" مفاجأة الحفل كانت
حضور نبيلة عبيد التي بينها وبين نادية الجندي جفوة كبيرة
جداً ولا نعرف أسبابها- ومش عايزين نعرف - لم تعلن
نادية عن حضور نبيلة، لكنها عندما حضرت أخذتها
بالأحضان والقبلات وبعد ذلك توالى الأحداث.

فقد قامت نادية بالرقص وعندما سخنت المسائل قامت
نبيلة عبيد بالغناء والتصفيق. وهات يا تشجيع، وبعد أن أنهت
نادية وصلة الرقص قامت نبيلة عبيد بإهدائها مصحفاً شريفاً؛
تعبيراً منها عن صفاتها وحبها الصادق وأن المسألة خلاص
انتهت، دلالة المسألة كلها واضحة طبعاً، نحن لا نعترض
على ذلك بالطبع لكن نسجله فقط، الذين يعترضون هم علماء
الدين ورجاله الذين من المفروض أن يكون لهم رأي وعلى

طريقة إذاعة القرآن الكريم تعالوا نسمع كلام الشيوخ على الأقل حتى لا ندوخ.

د. أحمد شلبي - رحمه الله - كان له رأي يقول : "إيه العلاقة أساساً بين الفن والدين، إيه العلاقة أساساً بين الفنانين من مطربين ومطربات وراقصات ورجال الفكر والدين.. دول حاجتين مختلفتين تماماً.. كل واحد منهم طريق..

والمهم نحدد عن أي فن نتحدث، فالفن يتوقف على الكلمات والأداء، فإذا كانت الكلمات جيدة، والأداء جيداً فإن الفن ذاته يكون جيداً، وإذا حدث العكس فحدث ولا حرج عن الأضرار التي تلحق بالأمة، ثم إن الفن ليس فناً واحداً، ولكنه فنون كثيرة له ألوان متعددة، الفن فيه إسلامي خاضع بشكل كامل للفكر الإسلامي، ويمكن من خلاله أن تخدم قضايا الأمة الإسلامية، بشكل جيد جداً، هذا الفن القرآن فيه يقرأ قبله وبعده وأثناءه فهو موجود أساساً من أجل خدمة القرآن الكريم، لكن إلى جانب هذا اللون من الفن هناك فن منحرف ولا تحفظ على هذا اللون مطلقاً، ومن الطبيعي إذا سمعنا أن من يقومون بهذا الفن يقرعون القرآن قبله أن

نرفضه على الفور، فهذا تهريج ويجب أن يعرف هؤلاء أن الأغاني شيء مختلف تماماً وكفاهم عبثاً بمقدساتنا".

د. محمد عبد المنعم البري.. أمين عام جبهة علماء الأزهر سابقاً. جاءت كلماته أكثر صخباً وضجيجاً، والبدائية كانت هكذا.. هؤلاء يقومون بالدور الأعظم في هدم صرح الأمة الإسلامية، الرجل كان يقصد الفنانين والفنانات بقوله -هؤلاء- طبعاً.

ثم قال.. والمفروض أن يكون الفن أداة بناء لكنه للأسف الشديد عندنا أداة هدم فقد فعلوا كل شيء حتى أنهم يسخرون من القرآن الكريم، وها أنت تسأل الآن عن المطرب أو الراقصة الذين يبدعون عملهم باسم الله وبعض آيات من القرآن، وأجد الوضع عجيبيًا وغريبًا للغاية، فالفنان الذي يقول إنه يقرأ بعض آيات من القرآن حتى يباركه الله ويوفقه.. عندي تمامًا مثل اللص الذي يخرج للسرقة بعد أن يقرأ أية الكرسي حتى تحفظه من الشر.. ما يحدث يمثل سخرية القدر التي يدعمها أهل الفن في بلادنا.

هذا... فقط.

٧

شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

شيوخ الميكروباص

تحرك سائق الميكروباص من محطة المنصورة متجهًا إلى القاهرة وبعد دقائق وضع شريطًا لأم كلثوم.. بدأت أنغامها تتساب في عذوبة ورقة وقبل أن تأخذ الست راحتها في الغناء والطرب، إذا بصوت عفيف هزَّ جميع من بالميكروباص ينهر السائق ويأمره بأن يُسكِّت هذا الصوت المنفّر الذي ينطق بالكفر والحرام وغضب الرحمن.

عقدت الدهشة لسان السائق الذي لم يخطر على باله أن صوت أم كلثوم يجلب غضب الله وسخطه ويمكن أن يؤدي به إلى جهنم وبئس المصير، وقبل أن يفيق السائق من دهشته وسط صمت الركاب ودهشتهم أعطى صاحب الصوت العفيف الذي كان يرتدي قميصًا وبنطالونًا ويطلق لحية ليست طويلة وإن كانت مهذبة بعض الشيء.. شريطًا للسائق وطلب منه أن يشغله حتى يكتسب الجميع الثواب من الله.

تحت سطوة عنف اللهجة التي تحدّث بها الرجل،
وبرغبة خفية في أن يربح السائق الثواب مع الأجرة تتاول
الشريط ووضعه في الكاسيت، وبدأت كلمات أكثر عنفاً
وصلابة من كلمات الرجل الملتحي عن عذاب النار ورحلة
الإنسان الطويلة العريضة التي يخوضها من لحظة موته حتى
يقف أمام يدي الله يوم القيامة.

ساد صمت تام واكتست الوجوه بعلامات متباينة
وردود أفعال مختلفة تماماً، ابتسامة ساخرة.. نظرات خوف..
عدم اهتمام بما يقال أو ينذر به المتحدث في الشريط، بعد أن
انتهت الخطبة العنيفة حاول السائق أن يضع شريط أم كلثوم
مرة أخرى فنهاه الرجل بعنف أشد.. إذ كيف بعد هذه
الموعظة البليغة يعودون لسماع المنكر من جديد..

وحكاية سماع شرائط الخطب والمواعظ والقرآن
الكريم في الميكروباصات ليست جديدة ولا غريبة، وليست
أيضاً بسبب لهجة رجل ملتجٍ يرغم سائقاً على أن يضع
شريطاً معيناً ليسمعه الناس، يأخذون منه الموعظة، وترتعد
أوصالهم من الرعب، فهناك قطاع كبير جداً من سائقي
الميكروباص على طول مصر وعرضها ولك أن تحصيهم

من موقف الإسكندرية وأسوان ورفح وقنا والمنصورة
ودمياط.. وحتى توشكى يخرج السائق فيضع شريط قرآن
لأي شيخ، كانت هناك فترة سيطرت الأصوات السعودية
وأهمها صوت الشيخ الحذيفي.. الآن تراجع هذه الظاهرة
بعض الشيء. وبعد ذلك يمكن أن يسمع سائقو الميكروباص
الأغنيات من أول أم كلثوم وحتى الطفلة المعجزة شيماء.

البداية كانت مع الشيخ عبد الحميد كشك - أستاذ
مدرسة خطباء العصر بلا منازع- الذي رغم منعه من
الخطابة في نهاية السبعينات لكن ما زالت شهرته حتى الآن
ورغم وفاته مقلقة ومؤرقة للجميع.. ترك وراءه أكثر من
٨٠٠ شريط أهم ما فيها هو طريقة الشيخ في خطبه، فلم يكن
الرجل عاديًا ولكنه كان يعرف كيف يستولي على أذن وعقل
المستمع وحتى لا نظلم الرجل فهذه بعض ميزاته..

كان للشيخ طريقة فريدة متفردة في الشرح والتوضيح؛
فلم يكن يلقي ما في جعبته من معلومات ويمضي ولكنه كان
يظل خلف معلوماته حتى ترسخ في عقول مستمعيه..
يضرب لهم المثل بأشياء من حياتهم وأحلامهم.. فلم يكن
منعزلاً عنهم إطلاقاً.

كانت للشيخ طريقته الفريدة في النقد - قد نتفق معها وقد نختلف حولها - فقد كانت حادة وفي أحيان كثيرة طائشة، فلم يترك شيئاً إلا وانتقده بأسلوب تهكمي ساخر فيه حرارة النكتة المصرية الحارقة اللاذعة، حتى تحولت سخرياته إلى نكت ثابتة يرددتها الناس لا يذكرون السياق الذي قيلت فيه ولكنهم يرددونها فقط.. وخذ عندك سخريته من السيدة أم كلثوم عندما غنت "خدني في حنانك خدني عن الوجود وابعدني.. قال "امرأة في السبعين من عمرها تقف على خشبة المسرح وتتبختر وتقول خدني لحنانك خدني.. أخذها الله بلا رجعة".

أو ما قاله عن نبيلة عبيد بعد فيلمها "أرجوك أعطني هذا الدواء" حيث أي دواء ذلك الذي تطلبه ولم يجد كشك توصيفاً لهذا الدواء سوى أنه دواء الفسق والفجور، ثم تحول إلى منتج الفيلم جرجس فوزي وصبَّ عليه دعوات من قبيل "اللهم إن لم تهده فخذة"... وتعلو نبرة الدعاء فيقول "اللهم آتية بسرطان في دمه" والغريب أن جمهور المصلين كانوا يقولون آمين بحماس منقطع النظير.. وهم في منتهى الخشوع وأصوات تبتهل راجية أن تتحقق دعوات الشيخ،

رغم أن معظمهم قد لا يعرفون من هو جرجس فوزي ،
ولم يشاهدوا الفيلم من أصله، لكن الشيخ قال .. وما دام قال
فهو على صواب وعندما بدأ نجم عادل إمام يعلو وتطغى
شهرته على شهرة العلماء والكاتب قال الشيخ ساخرًا .. مالي
أنظر حولي في مصر فلا أجد فيها إمام عادل واحد وإن كنت
أجد فيها عادل إمام واحد .. والله يرحمه الشيخ لم تكتب له
الحياة حتى يرى القصر الشامخ وهو يتهاوى.

تمتّع الشيخ كشك بنوع من الحماس منقطع النظير
وهي يلقي عظاته .. يشعر المستمعين له بأنه بالفعل مهموم
بقضايا بلاده وما يحدث فيها .. لم يكن يدخل في أحاديثة شيئاً
عن العلم أو الطب أو الهندسة أو الفلسفة .. كان يركّز على
الموضوعات التي تستحوذ على إعجاب جمهوره .. يخطف
أسماعهم .. ويجعل أبصارهم تفتح على آخرها انبهاراً
ودهشة .. يتحدث عن الموت، عن وفاة الرسول ، عن معارك
المسلمين، وعن أبطالهم، عن الفاسدين والمفسدين،
عن الرؤساء والوزراء والمسئولين ويسبب ويلعن ويشتم ..
وذلك يجذب الناس فهم يشعرون أنهم هم الذين يشتمون

ويسبون المسؤولين الظلمة.. فهو لسانهم الذي به يتحدثون
والناس دائماً تحتاج إلى لسان..

كل هذا جعل شرائط الشيخ كشك وخطبه وكأنها فاصل
مسرحي ممتع لا مكان فيه للملل ولا للموعظة الجافة.. ولذا
لم يقتصر جمهور الشيخ على فئة معينة فشرائطه تسمع في
البيوت ومحلات العصير والورش.. وأخيراً في سيارات
الميكروباص. المذهل أن موت الشيخ لم يحل دون انتشاره..
شيء آخر غير الموت أثر على انتشار الشيخ وصوته
وشرائطه وهو ظهور تلاميذ آخرين للشيخ.. ظهوروا بقوة
واحتلوا مكانتهم بقوة أيضاً عند سائقي الميكروباص.

إنه الشيخ محمد حسان.. ابن الدقهلية وخريج كلية
الإعلام قسم العلاقات العامة حتى الآن له أكثر من ٤٠٠
شريط تسيطر على أرصفة شوارع مصر.. وفي مكاتب
المساجد والجمعيات الشرعية وتعار لمن يغرب أن يسمع..
ولا تخرج موضوعاتها أيضاً عن الجنة والنار والحوار العين
والموت ووفاء الرسول.. وإن كان يتحدث عن ظواهر الحياة
الحديثة مثل الدش والإنترنت ومسابقة كأس العالم لكرة
القدم.. وهذه كلها تدخل في ساحة الحرام عند الرجل

ولا تخرج منها.. تحول إلى نجم يتداول الناس أخباره ومواقفه.. يرونها وكأنها أحاديث نبوية شريفة لا ترد.. ومن أطرف ما روي عنه.. أنه سئل ذات مرة عن رغبته في الزواج مرة ثانية مع أنه سعيد في زواجه.. فقال لا فض فوه.. ما دمت قادراً وعندي طاقة تكفي وتقضي فلماذا لا أتزوج يا جماعة؟ وضحك.. وضحك الحضور بلباقة وحيوية الشيخ .

نقطة نظام..

حدث هذا الموقف بيني وبين الشيخ محمد حسان مع أنه لا يعرفني ولا أعرفه شخصياً.. في يوليو ١٩٩٦ وفي سيارة ميكروباص صوت شيخ عالي النبرات يتحدث عن الجنة وعن نساء الجنة.. حديث مثير عن الخدود والشفافيف والنهود والأرداف.. كنت أستمع وكأنني أمام فيلم جنسي متقن الصنع.. سألت السائق عن اسم الشيخ قال: «الشيخ محمد حسان» على فكرة كان الشريط للشيخ إسماعيل حميد - وعندما توجهت إلى أحد تابعي الشيخ بإحسان إلى يوم الدين.. وحدثته عن الشريط قال لي فعلاً الشيخ حسان له شريط بهذه المواصفات.. حصلت على الشريط وفرغته

وخرج موضوع صحفي بعنوان "جنة الشيخ حسان" .. قلت فقط إن الكلام عن نساء الجنة لا يليق بهذا الشكل أبدًا.. نُشر الموضوع في جريدة الدستور التي أغلقت في فبراير ١٩٩٨.. وتوالى الرسائل تستنكر هذا الهجوم على الشيخ الكبير.. أمل الإسلام ومستقبل الدعوة الإسلامية.. كنت قد علمت أن الشريط ليس شريط الشيخ حسان.. وظننت أن الواقعة قد وقعت وأنى قد نزلت إلى مستنقع خطأ لا يغتفر أبدًا.

لكن حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد أرسل صحفي اسمه مجدي الداغر للجريدة حوارًا كبيرًا ضخماً مع الشيخ محمد حسان يؤكد كل سطر فيه أنه صاحب الشريط وأن هذه الكلمات كلماته.. والأفكار أفكاره.. وسكت.. لم ينشر الحوار على أساس أنه ليس من العقل أن نضع من الشيخ نجمًا ونساهم في صنعه بالحوار والجدال حوله فهو أقل من ذلك.. بعدها بشهور تحدثت مصادفة مع مجدي الداغر وأخبرته أن الشريط الذي نشرته لم يكن للشيخ محمد حسان فكيف أجريت معه حوارًا يؤكد أنه صاحبه فقال الشيخ مجدي - هيئته شيخ - إنه بعد أن نشر الموضوع جلس مع الشيخ

حسان. وظلا يبحثان عن هذا الشريط من بين شرائط الشيخ.. لأنه الشيخ وعلى حد كلامه لم يكن متيقناً من أن هذا الشريط شريطه ولما عجز عن أن يجده.. قال على كل أنا مقتنع بكل الكلام والأفكار التي وردت في الشريط.. وقلت ساعتها الحمد لله لا غلطنا في مسلم ولا في البخاري.

الشيخ محمد حسان لم يتجاوز الأربعين من عمره، وبالقياس إلى الشيخ كشك يعتبر تلميذاً صغيراً في مدرسة الإلقاء والخطابة، حيث إن إلقاءه ليس قوياً بالدرجة التي تجذب إليه المستمعين ، لكنه يضع ذكاه في الموضوعات التي يختارها الرجل حيث يركن إلى الجانب العاطفي في عقيدة الناس.. فالرجل لا يكف عن ترديد الحوادث.. والناس مغرمة بالفعل بالحواديت والحكايات.

ثم تأتي شرائط محمد جبريل القارئ الشهير للقرآن، الذي أصبح نجماً من نجوم شيوخ الميكروباص، خاصة بعد أن أصبحت هناك إعلانات كثيرة عن أسرطة القرآن بصوته، ودعائه الذي ذهب فيه إلى ابتكار طريقة جديدة تماماً غير مسبوقة، وكما تعلم فنحن شعب يحب الجديد ويحب الطلعة الحلوة، ولا فرق عنده في ذلك بين شريط دعاء لشيخ يملأ

الخشوع والخضوع صوته، وبين شريط يحمل أغنية مطلعها الموسيقي جديد وجذاب وخاطف. راجع غرام الناس بمطلع أغنية لطفى بوشناق "لاموني اللي غاروا مني" الطريف أن محمد جبريل وطريقته في الدعاء صارت موضة يقلدها شباب صغار في مساجد مصر نفس الأدعية ونفس الكلمات وبنفس النبرات لا لشيء إلا ليقلدوا نجم الأدعية الجديد.

محمد جبريل ابتكر شكلاً جديداً فقط.. لكن دعاءه وكلماته لا تخرج عن موضوعات كشك ومحمد حسان.. تلك الموضوعات التي تجعل القلب يخفق والنفس تشهق والجسد يرتعد ويرتعش بشدة.. "اللهم استرنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك".. يقولها بنبرة كلها خشوع وتقوى.. يبكي على أثرها ويبكي من خلفه.. على أساس أن العين الباكية لا تمسها النار.. ثم إنه يخترع بعد ذلك طريقة للقضاء على اليهود.. طريقة أيضاً مبتكرة يختصرها في الآتي "اللهم أهلك اليهود باليهود.. وأخرجنا من بينهم سالمين غانمين.. يا رب العالمين" هل هناك تعليق.. طبعاً!!

من الضروري إذن أن يكون صاحب الشريط الذي ينتشر من خلال سيارات الميكروباص صاحب شيء جديد

يقدمه للناس سواءً من ناحية الشكل أو من ناحية المضمون،
ولذا لم يكن غريباً أن يحظى كثير من الشيوخ بنصيب كبير
من الشهرة، لكنهم لم يصبحوا من شيوخ الميكروباص حيث
الشهرة الشعبية.

وعندك مثلاً الشيخ عمر عبد الكافي.. الذي حصل
على بكالوريوس الزراعة من جامعة الأزهر عام ١٩٧٢،
وكان ترتيبه الثاني على الدفعة ثم حصل على الماجستير
عام ١٩٧٤، وكان موضوع رسالته "دودة اللوز القرنفلية" ثم
حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٧ وكان موضوعها
"مبيدات الآفات".

انتسب إلى كلية الدراسات العربية والإسلامية ،
وحصل منها على الليسانس عام ١٩٧٦ ثم على درجة
الماجستير وموضوعها "الخلاف بين أبي حنيفة وصاحبيه في
المسائل الفقهية"، امتدت مسيرته في الدعوة لمدة تمتد لأكثر
من عشرين عاماً⁽⁴⁾... ووقف خطيباً في عدة مساجد منها
مسجد الصحابة بالدقي.. ومسجد محمود.. ومسجد رشدي

(4) هذه المعلومات المسئول الوحيد عنها عمر عبد الكافي.. لأنها جاءت
على لسانه.

بالعجوزة، ومسجد بولاق الدكرور.. وأخيراً مسجد أسد بن الفرات الذي خرج منه وإلى الآن لم يعد أحد يسمع صوته.

لم يكن د. عمر شيخاً عادياً ولكنه كان يعيش وسط دائرة الضوء كتبت عنه الصحف ووقف أحد أعضاء مجلس الشورى ممسكاً بأحد شرائطه معلناً.. كيف يترك مثل هذا الرجل يفعل ما يشاء بالإسلام والمسلمين؟! فرداً على عضو مجلس الشورى أحد زملائه قائلاً.. بأن وزير الداخلية وكان وقتها اللواء محمد عبد الحليم موسى يصلي خلفه، وقد أكد الوزير وقتها وكان حاضراً كلام هذا العضو.

ظهر د. عمر واختفى.. ولا أحد يعرف لماذا ظهر أو لماذا اختفى؟ كان له مستمعون ومريدون.. وشهد منبر أسد بن الفرات أياماً زاهرة عندما كان يقصده آلاف المصلين وخاصة من طلبة المدينة الجامعية التابعة لجامعة القاهرة التي كانت تقع على بعد خطوات من المسجد، وبعد الخطبة يصبح الشيخ عمر هو السيرة الوحيدة التي تتردد على ألسنة الناس.. للشيخ عمر شرائط كثيرة كان في معظمها ينتقد أوضاع المسيحيين وينكر على المسلمين أن يعاملوهم

بالحسنى!! وعندما سُئِلَ الشيخ عن ذلك لم ينكر ولم يثبت..
ولكنه راوغ.

والحوار من كتاب محمود فوزي «عمر عبد الكافي وفتاوى ساخنة».

- د. عمر.. اسمح لي أقول لك أنت مشعل الفتنة الطائفية في مصر من وجهة نظر البعض.. هل حقيقة ما يتردد أنك حرّمت على الإنسان المسلم أن يلقي السلام على المسيحي وأن يقول له... السلام عليكم؟ هل السلام عليكم حرام؟ وهل يستطيع المسلم أن يهنئ المسيحي في الأعياد؟!
- أولاً النبي ﷺ هو الذي نأخذ منه حدود الإسلام وقواعده.. وكان الرسول الكريم إذا أرسل خطاباً لأحد الملوك أو رؤساء القبائل أو الزعماء - إذا جازت هذه التسمية - وكان هذا الزعيم أو هذا الملك غير مسلم فكان يقول له : السلام على من اتبع الهدى.. وهناك نص في البخاري يقول:
لا تبدعوا لليهود أو النصارى بالسلام.. هذا هو نص البخاري وتفسير هذا الكلام أولاً أننا لم أقل لا تسلم

على النصراني.. والبعض يغضب من كلمة نصراني ولكن القرآن الكريم هو الذي أطلق عليهم ذلك، وفي رأيي أن تسمية نصارى أفضل مما يسمون مسيحيين حتى لا يصبحوا عبدة المسيح، فهناك دين النصرانية دين سيدنا عيسى، أمّا المسيحية فلا يعرف أحد ما هي المسيحية... فنحن لا نقول نحن على دين المحمدية.. ولكن نقول نحن على دين الإسلام فأنا قلت للأسف هذا الكلام.

• هذا الكلام مسجل في شرائط فهو قيل في ظروف معينة منذ ثلاث أو أربع سنوات!؟

- تمام.. هي مسجلة تقريبًا في ذلك الوقت.. بالضبط كده.. وأقول لحضرتك إن الدين حلال وحرام وليس فيه لون رمادي يعني واضح.. أنا قلت بالنص.. أنت بتسلم على المسيحي النصراني.. تقول له صباح الخير وتقول له مساء الخير وتعوده في مرضه.. وإذا كان جارك فله حق الجوار ولا تظلمه وقد قال ذلك أبو حنيفة وهذا

الكلام موجود في شرائط ولكنهم للأسف يهبطوا
ياخذوا الكلام اللي على كيفهم.

الرجل قال ولم يقل..

موضوعات خطبه أيضاً كانت تتطرق إلى موضوعات
الجنة والنار والثواب والعقاب ونساء الجنة. فكلمهم في الهم
شرق وغرب وشمال وجنوب، وهي موضوعات تمثل
المفتاح السري الذي يفتح مغاليق قلوب الناس وعقولهم لكن
الشيخ عمر لم يكن ساحر الحديث.. كان يسترسل في حديثه
بدون توقف.. لم يمتلك براعة الخطيب الذي يلهب جمهوره..
عندما يفعل وتحمّر عينه ويصرخ بجمل محفوظة ونمطية
ومكررة.. فاكتفى الناس أيضاً بالسماع عنه، وكان من النادر
أن تجد سيارة ميكروباص يستمع سائقها والذين معه إلى
خطبة من خطب الشيخ عمر عبد الكافي.

الشيخ عبد الصبور شاهين - الذي يفتقد مستمعه
صوته الذي كان يتردد من على مسجد عمرو بن العاص،
ورغم أهمية ما كان يقوله - من وجهه نظره - على الأقل -
لم يجذب جمهور الميكروباص لأنه حراق المزاج فالرجل في
كثير مما كان يقوله، كان يبدو بثوب المتفلسف على الناس

المتعالى عليهم.. ثم إن الحس الشعبى عرف مبكرًا أن هذا الرجل ليس مخلصًا.

والدليل الشريط الوثيقة الذى لم ينكره الشيخ والذى اعتبر فيه الريان أحد أولياء الله الصالحين.. وأن أموال الناس التى ضاعت هى الآن استقرت فى يد الله، هذا غير العنجهية والتعالى الذى يتحدث به فى لقاءاته التليفزيونية، وهذا لا ينفع مع أولاد البلد سائقي الميكروباص الذين لا يهتمون بأحد ولا بشيء إلا بقدر ما يوفر لهم من متعة وراحة ومزاج عالٍ؛ ولذا تجدهم مرة يستمعون للشيخ الفلانى ومرة للمطرب العلانى، وإذا لم تصدق فضع أذنك بالقرب من أى ميكروباص فى بر مصر ستجدهم يسمعون آخر شريط كاسيت لشيخ أو مطرب.. بشرط أن يكون مجددًا ومبتكرًا وصاحب طلعة حلوة..!!

٨

شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

مواظب شيوخ التطرف

القصة الكاملة لشرائط الكاسيت التي تحمل أفكار وخطب ومواعظ ودروس شيوخ التطرف قصة مفزعة ومزعجة ، بعد أن تعرفها يمكن أن تقول ما الذي يحدث في هذا البلد بالضبط، لكنك لن تتدهش عندما تعرف أن هذه الشرائط التي من المفروض أن تكون مهمتها الأولى الدعوة إلى الإسلام- كما يقولون - تخضع لسوق تجاري كبير.. به فترات ازدهار وبه فترات ركود.. فالحكاية كلها تجارة في تجارة.. والتفاصيل تفضح بعض ما خفي..

في السبعينيات تحديداً عندما ظهر الشيخ عبد الحميد كشك أصبح الناس في مصر - الذين يسمعون أكثر مما يقرأون - يلتفتون إلى شرائط الكاسيت التي تقدم لهم خطب الشيخ الضرير الذي لا يترك شيئاً إلا وانتقده، ولم يصدر الشيخ كشك كل إعجاب الناس لنفسه بسبب قدراته الخطابية فقط، ولكنه وجد نفسه فجأة في مواجهة رأس الدولة الرئيس

السادات، فبعد أن انتقد الشيخ كشك قانون الأحوال الشخصية الذي كان وراءه السيدة جيهان السادات تصدى الرئيس السادات بنفسه لكشك؛ مما زاد نجومية الأخير وجعل الناس يتهافتون على شرائطه، وكان من النادر أن تمر أمام بيت أو تركب سيارة دون أن تسمع فيها شريطاً للشيخ كشك.

وعندما استقرت سفارة إسرائيل في العام ١٩٨٠ على نيل القاهرة تصدى الشيخ حسن شحاتة للتطبيع مع إسرائيل واعتبر انتقال السفارة الإسرائيلية من إحدى الفيلات بالدقي إلى المقر الجديد المواجه لمسجد كوبري الجامعة تحدياً لمشاعر المسلمين، لم تسكت الحكومة على انتقادات الشيخ حسن والتي لم يكف عنها بعد أن علم أن سكان العمارة التي انتقلت إليها السفارة متذمرين من هذا الوضع، أحاطت الحكومة المسجد بقوات الأمن.. وعرف الناس أن الشيخ حسن يواجه الحكومة فالتقوا حوله وزاد عدد جمهوره، وعندما وجد الشيخ هذا الإقبال الشديد على خطبه كلف أحد أصدقائه بتسجيل هذه الخطب والدروس على شرائط كاسيت ونسخها ثم بيعها، كان سعر الشريط ثلاثة جنيهات ونصف

وكانت تباع أمام المسجد الذي يخطب فيه الشيخ والطريف
أن الرجل كان يروج لها ويحض المصلين على شرائها.
انتقل الشيخ حسن بعد ذلك إلى شاشة التلفزيون
وأصبح ضيفاً لكثير من البرامج الدينية وكان ذلك عاملاً
مساعدًا في ترويح شرائطه، لكن الدنيا لم تبتسم كثيرًا للشيخ
الذي اتهم في بداية التسعينيات بأنه يدعو إلى الكفر الشيعي
ويطعن في الصحابة من على منبر مسجده.. ورغم أنه أعلن
توبته مما قاله بالفعل.. لكنه أبعد تمامًا عن المسجد وعن
الخطب وعن الشرائط.

وفي الفترة التي بدأ يلعب فيها الشيخ حسن شحاتة كانت
هناك أصوات أخرى بدأت تشق طريقها في مشوار نجومية
الخطابة وشرائط الكاسيت منهم د. عبد الصبور شاهين
وكانت بدايته مع عالم الكاسيت مع بداية تفسيره القرآن
الكريم والذي بدأه من على منبر جامع عمرو بن العاص،
وفعل د. شاهين كما فعل شحاتة من قبل فقد كلف أحد
المتخصصين بتسجيل خطبه لبيعها في الأسبوع التالي مباشرة
للتسجيل وكان يضمن بذلك رواجًا للشريط الذي يباع بثلاثة

أو أربعة جنيهات ، خاصة إذا كان الشيخ يوصي المصلين
ويعلمهم بأن شريط الخطبة الماضية يباع أمام المسجد .
يأتي بعد ذلك محمد حسان - خريج كلية الإعلام -
والذي احترف الدعوة والخطابة في أحد المساجد الكبيرة بحي
الأربعين بمدينة السويس، الخطوة الثانية - التي لا تخيب مع
أحد - كانت مع شرائط الكاسيت وبالفعل ذاع صيت الرجل
الذي كان يعتمد لإبكاء مستمعيه وإن لم ييکوا تطوَّع هو
بالبكاء، الخطوة الثالثة كانت رحلته في عدد كبير من
محافظة مصر، وكانت الإعلانات تسبق صورته.
وشرائطه التي سجلها من قبل تتبعه يحملها أتباعه ومريده
والعاملون معه، وكنت ترى بعد خروج المصلين من صلاة
الجمعة من يبيعون هذه الشرائط يروجون لهذه الشرائط
قائلين.. آخر شريط للشيخ محمد حسان خطبة وفاة الرسول،
يفعلون تمامًا مثل باعة الطماطم والخيار الذي يحيطون
بالمساجد أثناء صلاة الجمعة، وبعد أن ينتهي المصلون من
صلاتهم تجدهم ينادون الطماطم بجنيه.. الخيار بجنيه.. فكل
شيء أصبح قابلاً للبيع.

النجم الثالث والذي ظهر إلى جوار حسان وشاهين كان عمر عبد الكافي - الذي لا نستطيع أن نقول عنه الآن شيخاً أو دكتوراً - بعد أن تأكد عدم حصوله على أية شهادات من الأزهر (!!). ورغم أن عمر عبد الكافي بدأ تسجيل خطبه ومواظبه على شرائط كاسيت، لكنه لم ينتشر إلا بعد أن استضافته المذيعه كريمان حمزة في ثلاثين حلقة تحدّث فيها عن أنبياء الله وبهر الرجل النساء قبل الرجال بحسن مظهره وحسن حديثه وانتهت الحلقات ولم ينته اهتمام الناس به.. فزاد مريدوه وزاد توزيع شرائطه التي كانت سبباً في فتن ومشاكل أدت لإيقافه في النهاية عن الخطابة.

الشيخ عبد الرشيد صقر هو الآخر لحق بركب شيوخ الكاسيت وإن كان قد سبق شاهين وحسان وعبد الكافي، فقد بدأ التسجيل مع نهاية السبعينيات واهتم بطلبة الجامعة فمثلوا معظم جمهوره ومستمعيه، ويختلف الشيخ صقر عن سابقيه في أن شرائطه لم تنتشر الانتشار الواسع الذي يمكننا أن نجد له جمهوراً ومستمعين وهو الأمر الذي تكرر مع الشيخ عبد الله السماوي الذي خرجت من معطفه معظم أفكار الجماعات المتطرفة حيث وجد الرجل أن الإقبال على شرائط خطبه

ومواعظه ليس كما يريد، ففضل أن ينشر دعوته وأفكاره عن طريق جولاته في القرى والكفور يخطب في الناس ويجذبهم إلى أفكاره وجماعته.

ورغم أن معظم هؤلاء الشيوخ ظهرُوا في منتصف الثمانينيات، لكنهم ظلوا محتفظين بالقمة حتى أواخر التسعينيات التي شهدت زلزال عروشهم وزاوال دولتهم السمعية على أيدي شيخ خفيف الظل - وهو الشيء الوحيد الخفيف فيه- فمواظمة وأفكاره وأراؤه وخطبه كلها من الوزن الثقيل الذي يكفر المجتمع ويدخل الجميع النار، الشيخ هو محمد حسين يعقوب الذي يعتبر الآن فارس عصره وأوانه في مجال شرائط الكاسيت.. وقد سيطر الرجل على عقول مجموعة كبيرة من شباب الجماعات الإسلامية للدرجة التي اعتبر أحدهم أن السماع إلى شريط الشيخ يعقوب تقريباً من الله، حاجة كده تفكر بك بفيلم "ظهور الإسلام" الذي اعتبروا مشاهدته وقت ظهوره تعدل حجة إلى بيت الله الحرام.

الشيخ يعقوب لا يختلف عن سابقه فهو يسجل خطبه على كاسيت مثلهم - وإن كان الرجل زاد أن خطبه تسجل على (C.D) شيخ عصري طبعاً - وهو يتناول نفس

الموضوعات التي سبق وتعرضوا لها، قد تكون الطريقة التي يلقي بها خطبته طريقة الفلاح الفطري الذي يتحدث على سجيته عنده معلومات نعم، لكنه يعرضها بغشم وهو الشيء الذي يجعلك تنفر من الرجل بعد شريط أو شريطين..
فالحكاية مش ناقصة!!

أفكار.. ومشانق!!

شرائط شيوخ التطرف - الكلام الآتي سيثبت أنهم شيوخ تطرف - في حد ذاتها لا تقلقنا.. فيمكن أن يعتبرها البعض مثل شرائط مطربي الأغاني الشعبية خاصة أن الشيوخ يروجون لشرائطهم بنفس الطريقة التي يتم بها الترويج لشرائط الأغاني الشعبية.. ويمكن أن يعتبرها البعض موضة أو هوجة سرعان ما تنتهي ويختفي كل أثر يمكن أن يترتب عليها.

لا يمكن أن نتعامل بهذا المنطق مع هذه الشرائط لسبب واحد أنها ليست هوجة ولكنها مستمرة ويتوالي عليها الأجيال، ومن شتائم كشك إلى غشم حسين يعقوب يا قلبي لا تحزن، يؤكدون ويعيدون معالجة نفس الموضوعات وكأنه تنظيم

يعرف جيدًا ماذا يفعل؟! يحدد هدفه جيدًا ويعمل من أجل تحقيقه بكل الطرق، لن نبالغ ونترك الكلام على عواهنه وقبل مناقشة أفكارهم ما رأيك لو تسمع مقاطع من بعض شرائطهم ..

يقول الشيخ كشك..

"ما كل هذا الفسق والتحلل والفساد، يجب أن نعود إلى الله ، لا خلاص للأمة إلا بالدعوة إلى الإسلام، لقد سدنا العالم عندما تمسكنا بالدين، ولكننا الآن نبول لأمریکا والغرب، ألف مليون مسلم ولكننا غثاء كغثاء السيل.. أسمعوني لا إله إلا الله . كاثوليكي يتبنى ثلاثين ألف طفل مسلم في الصومال، إن جزءاً من المال العربي الضائع على موائد القمار كان كفيلاً بحفظ هؤلاء..".

ويقول الشيخ..

«لابد من تطبيق الشريعة الإسلامية، لا بد من تطبيق حكم الله، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون، المفسدون يجعلون

من رعوس الفسق أمثالاً تحتذى، امرأة في الستين من عمرها تقف وتقول وهي تتمايل، خذني لحنانك خذني، وعبد الحليم صاحب المعجزات الباهرة.. أمسك الهواء بيديه وتتفس تحت الماء".

ويهاجم كشك السادات قائلاً: "اعتبر أيها السادات من سلفك انظر إلى جبروته، ثم كيف بات الآن عظاماً بالية، بسم الله الرحمن الرحيم ذهب من لا يقولها وجاء الآن من يقولها مبتورة بسم الله أكملها يا ناقص".

النصوص من شريط المناظرات

ومن الشريط ٣٦ يقول عمرو عبد الكافي:

"هناك سؤال يقول: جيراننا وزمائلنا في الشغل مسحيين ونصارى تجيلهم أعياد نروح نهنيهم كل سنة وأنت طيب يا بطرس يا إسحاق يا أوليم.. ينفع الكلام ده؟! الإسلام يقولك ما ينفعش.. ليه؟ عندهم عيد اسمه عيد القيامة اللي قام فيه المسيح، المسيح نام ثلاثة أيام وقام ولما قام بأه عشان يحكم العالم تاني.. أمال العالم كان ماشي إزاي في الثلاثة أيام اللي فاتوا؟ ما علينا مش عايزين نخش في نقاش مش وقته، لما تروح تقول في عيد القيامة كل سنة وأنت طيب

ضمني من جواك إن فيه للمسيح قيامة وإنه قام وإنه مات وصحي، وإنه بعث ليحكم العالم لأنه الرب أو ابن الله وهذا الكلام كله حرام مينفعش إنك تروح للمسيحي وتقول له كل سنة وأنت طيب ، لكن لو شفته في السكه قل له إزيك.. يقولك كده أنا زعلان منك ليه.. خير يا بطرس زعلان مني ليه؟ مجتشي تعيد عليّ.. هو أنتو كان عندكم عيد؟ يعني توهه متقولوش كل سنة وأنت طيب لعب معاه.. المهم متقرش إنه عنده عيد!!!

لن نذكر مزيداً من الأمثلة - ولم نذكر هذا المسمع من شريط عبد الكافي لأنه ما زال يصر حتى الآن أنه لم يقل هذا الكلام مطلقاً بل هو صديق للمسيحيين - وقام بزيارة البابا حتى لا تكون هناك أية شبهة، وأن من ألصق به هذا الاتهام إنما هم العلمانيون الذين يحاربون دين الله آناء الليل وأطراف النهار.

وبعد الأمثلة تأتي الأفكار.. فتحليل بسيط لمضمون هذه الشرائط يضع أيدينا على حقيقة نوايا هؤلاء التي ليس من حقنا أن نشكك فيها وإن كان من حقنا ألا نطمئن إليها.. وهذه هي الأسباب:

• يتفق أصحاب هذه الشرائط على أن الحكومة مقصرة ولا تقوم بدورها ولذا يظهر كل هذا الكم من الفساد والفسق والفجور وتراهم يركزون على الفساد في وسائل الإعلام وأفلام السينما والمسرحيات والمهرجانات، ثم لا يوجد حل عندهم للخلاص من هذه المفاصد سوى تطبيق الشريعة الإسلامية ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون والكافرون والفاسقون.

• والغريب أن هؤلاء الشيوخ يقدمون شعار "الإسلام هو الحل" للتغلب على كل المشكلات دون وضع منهج أو طريقة لكيف يتخلص المجتمع من أوجاعه عن طريق تطبيق الإسلام، وهم في ذلك يفعلون مثل الجماعات الإسلامية التي تغرق في الشعارات حتى أذنيها دون أن تقدم ما يدل على وعيهم أو إدراكهم لكيفية تطبيق هذه الشعارات.

• وفي كل الحالات تنتهم هذه الشرائط الحاكم بأنه هو المسئول الأول والأخير عن كل ما يحدث من فساد، وبينما نجد الشيخ كشك يسب الحاكم باسمه صراحة

عندما عايره الرئيس السادات بأنه أعمى.. ردَّ كشك قائلاً: تقول عني أعمى يا أقرع، لكن الشيوخ المعاصرين أكثر تقيّة من كشك وعندما يتحدثون عن الحاكم يكتفون بالإشارة إليه الحاكم ظالم أو فاسد أو غافل دون أسماء!!.

● المرأة عند هؤلاء الشيوخ أيضاً سبب آخر من أسباب فساد الأمة.. بل لا يتحرج أحدهم في وصف المرأة بأنها رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه؛ ولذا تجدهم رغم كل ما حققته المرأة من مكاسب يطالبون بعودتها للبيت مرة أخرى فله خلقت ولا يجب أن تخرج منه ضاربين بكل دعوات التحرر عُرضَ الحائط.

● الفن والموسيقى والغناء والتمثيل والمسرح والسينما محاور لا يتردد شيوخ التطرف في شرائطهم في الدخول إليها واقتحامهما وبنفس الجرأة يحرمونها جميعاً وإن كان بعضهم يرى أن الفن يمكن أن يكون حلالاً إذا كانت له رسالة. فإن البعض الآخر يرفض الفن بكل أشكاله بل ويرفض اجتهادات العلماء الذين

رأوا في الفنون حلالاً ويصفون هذه الاجتهادات بأنها كلام فارغ!!.

- هذه الموضوعات في النهاية رغم أهميتها عند شيوخ التطرف لكنها لا تمثل سوى ٣٠% فقط من خطبهم، فهناك موضوعات أخرى يعتبرونها أكثر أهمية - هم يعتبرونها كذلك - وستعجب عندما تعرف أن موضوعاتهم الأخرى كلها تتعلق بالغيبيات. فهم يسهبون في الحديث عن الموت وسكراته والقبر وعذابه ومع أن في القبر نعيم لكنهم لا يتحدثون عنه كثيراً، يتحدثون عن الجنة ثمارها ونسائها ومتعها، هذا غير ربط كل شيء بالعذاب في الآخرة حيث النار التي يخلد فيها الناس ولن يخرجوا منها أبداً، فالتى لا ترتدي الحجاب مصيرها النار.. والذي لا يصلي مصيره النار والذي لا يفكر في إخوانه بالشيشان مصيره النار.

أكثر ما يلفت الانتباه رغم أن عدد شيوخ التطرف في زيادة مستمرة ولا يختفي أحدهم حتى يظهر آخر، لكنهم جميعاً محلك سر لا يتطورون أبداً ولا يعطون لأنفسهم

فرصة ليدرسوا ما يستجد حولهم في حياة الناس فيجتهدوا على أساسه.. لكنهم يحرّمون كل شيء بنفس الحدة والقسوة والغلظة على المجتمع الذي لا يرغب ناسه سوى أن يعيشوا في سلام؛ ولذا عندما تستشعر الحكومة خطرهم وأن مريديهم يتزايدون ويجعلون منهم زعماء وقديسين تتدخل لإيقافهم تماماً عن الخطابة، لكنهم لا يستسلمون في الغالب لقرارات الحكومة، فيعضون الناس في البيوت والنوادي، الشيخ كشك مثلاً بعد سنوات طويلة من إيقافه استمع الناس له شريطاً يتحدث فيه عن زلزال أكتوبر ١٩٩٢ واعتبره الشيخ طبعاً غضباً من عند الله.. فمن أعمالنا سلط علينا (!!)

هكذا قال الشيخ (!!)

وعلامات التعجب في المرتين من عندنا.

تجارة.. وشطارة

ليست الأفكار وحدها تحدد معالم هذا العالم الخرافي من الشرائط والخطب والمواعظ، ولكن طرق إنتاجها وبيعها أيضاً، فهناك إجماع قد يكون كاملاً من شيوخ هذه الشرائط أنهم يعملون لوجه الله فقط.. ويؤكد الشيخ محمد حسان أنه لا يتقاضى عن الشرائط التي يسجلها أي نقود فهو يتبرع بها

لوجه الله، أكثر من ذلك فهو لا يسأل عن العائد ، بيع هذه الشرائط كم يبلغ ومن يأخذها وكيف يتصرف فيه.. سنسلم مؤقتاً بهذا الكلام.. ونسجل فقط أن إحدى شركات التسجيلات الإسلامية والتي تتولى توزيع شرائط معظم الشيوخ، تعرضت لهجوم شديد من إحدى الصحف، كان الهجوم بالأساس على مضمون الشرائط التي تنتجها الشركة وتوزعها، وكيف أنها تساهم في نشر الفكر المتطرف.

ولمّا كانت كلمة التطرف قد أصبحت سيئة السمعة ولا يطيق صاحب الشركة أن تلتصق به هذه الكلمة سارع ونشر إعلاناً في الصحيفة طمعاً في أن تتراجع عن هجومها عليه.. وكان صاحب الشركة صريحاً عندما قال ردّاً على سؤال لماذا تفعل ذلك وأنت معك الحق!! "أي حق يتحدثون عنه لا أدري".. قال والله أنا باحافظ على تجارتي.. وهذا لا يعيب أحد عليّ فيه.

وصاحب الشركة كان واضحاً مع نفسه لأن شرائط شيوخ التطرف بالنسبة له في النهاية تجارة لا أكثر ولا أقل.. كل ما يفعله أنه يحاول أن يحصّن نفسه بحصوله على موافقة الأزهر، يرسل نسخة من الشريط إلى لجنة البحوث والتأليف

والترجمة التابعة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر للحصول على موافقتها وإجازتها للشريط، وبالطبع لن يجد أي شيخ أزهرى أي مانع في الموافقة على شريط ينتقد السفق والفساد ويدعو الناس إلى العودة إلى الله.. حتى لو كان ما في الشريط مثل السم الذي يُدسُّ في العسل!!

ولأن المسألة تجارة.. والتجارة شطارة فقد قام صاحب شركة تسجيلات إسلامية منذ فترة بعمل مونتاج لشرائط الخطب وجمع كل القفشات والنكات التي قالها الشيوخ في خطبهم وأصدر من هذه القفشات سبعة شرائط تحت عنوان "ابتسم مع" شهدت هذه المجموعة رواجاً كبيراً، لكنها أغضبت الشيوخ الذين اعتبروا ما حدث امتهاناً لعلمهم، وقام محامي أحد الشيوخ برفع قضية على صاحب الشركة الذي تاب وأناب وأعلن أنه أخطأ في حق الشيوخ ولن يعملها مرة ثانية وبالفعل سحب جميع نسخ المجموعة من السوق وإن لم يمتنع عن بيعها فيمكن لمن يريد أن يحصل عليها من مقر الشركة فهو لم يعدمها كما وعد لأن الخسارة وقتها ستكون كبيرة للغاية.

تصرّف أصحاب الشركات ليس غريبًا بالطبع.
فالشيوخ أنفسهم سبقوهم بجعلهم هذه الشرائط تجارة يربحون
منها مع احترامنا الشديد لكل ما يقولونه عن أنها عمل لوجه
الله وحده.

أزهر.. ورقابة

الخطاب الرسمي للأزهر الشريف والذي يتمثل في
أحاديث شيخ الأزهر د. سيد طنطاوي وأحاديث وحوارات
شيوخ الأزهر الذين لا تخلو منهم صحيفة أو محطة
تليفزيونية أرضية أو فضائية، هذا الخطاب لا يبرح إصراره
على أن الأزهر لا يصادر أي فكر ولكنه في الوقت نفسه
يحبذ حرية الرأي والفكر والإبداع، وأصبح كل من يتحدث
باسم الأزهر يؤكد أنه لا توجد محاكم تفتيش في الأزهر..
وكانهم يدفعون عن أنفسهم اتهامًا يوجهه إليهم الجميع.

شيء من هذا تفعله الرقابة عندنا فهي تنفي أيضًا أنها
تقف ضد الفكر والإبداع للدرجة التي وصل فيها رئيسها
الحالي. د. مذكور ثابت لقناعة بإلغاء الرقابة وهذا نص
كلامه "أرى أن مهمة الرقابة الأساسية ليست فقط مراقبة
المبدعين.. خاصة وأن الأشكال التي تحمل الإبداع حاليًا

أصبحت كثيرة منها السينما والمسرح وشرائط الكاسيت وشرائط الفيديو وأسطوانات الليزر المسموعة والمرئية ثم أسطوانات الكمبيوتر، وكل هذه المصنفات لا تحتاج لمراقبة فقط بقدر ما تحتاج لأي نحمة مؤلفيها والملكية الفكرية لأصحابها، وإذا لم نفعل ذلك ستتحول المسألة كلها إلى نوع من الفوضى، ثم إن الرقابة يجب أن تكون عنصرًا مساعدًا للمبدع بدلاً من أن تكون -كما كانت طوال تاريخها- سوطًا مسلطًا على حرية الإبداع".

هذه القناعة تصبح جديرة بالاحترام لو كان الإنتاج الفكري والأدبي والفني يعمل من أجل استمرار مسيرة الحياة، وليس لهدمها وتحويلها إلى ثقب إبرة لا يستطيع الناس أن يتنفسوا من خلاله إلا بصعوبة، هذا إذا استطاعوا أن يتنفسوا، ولأن لكل جهة وجهة نظرها فإن الأزهر أحيانًا ما يتخلى عن قناعاته وجميعًا ويصدر بمنتهى القوة والبطش كتابات لمفكرين يحاولون أن يجتهدوا، وكذلك تفعل الرقابة عندما تحذف مشهدًا من فيلم أو كلمة من أغنية.. وقائع المصادرة والحذف كثيرة إن دلت على شيء فإنما تدل على

أنه لا توجد قواعد ثابتة أو معايير محددة تعمل على أساسها الرقابة أو مجمع البحوث الإسلامية بإدارته المختلفة.

هذه العشوائية في العمل أدت إلى حدوث أكثر من صدام بين المجتمع والرقابة أولها كان في عهد حمدي سرور الذي أعلن أن الشرائط التي تحمل الخطب والمواعظ يجب أن تمر على الرقابة أولاً لتقول فيها كلمتها، مبادرة سرور كانت بسبب أن هذه الشرائط كانت تقدم فيما تقدم أفكاراً من شأنها أن تغيب المجتمع وتفصل الناس عن حياتهم وتصرفهم للتفكير في أمور عينية ليس مطلوباً منهم أن يفكروا فيها من الأساس.

هذا الكلام لم يعجب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ونشر بياناً في مجلة "الأزهر" الناطقة الرسمية بلسان الأزهر الشريف وكل رجاله، نفى البيان أن يكون للرقابة شأن بهذه الشرائط لسبب بسيط هو أن ما يقدم فيها هو مادة دينية، وعليه فالأزهر وحده هو صاحب الاختصاص والفصل في شأنها، وما إذا كانت صالحة للعرض على الناس أم لا، هذا المنطق الذي حمله بيان مجمع البحوث يؤكد ما يعتقدّه علماء الأزهر وهو ضرورة التخصص فعالم الدين هو وحده

المؤهل للحديث عن الدين.. ومن لم يدرس في الأزهر فليس له الحق في ذلك، هذا الخلاف لم يسفر عن شيء فقد استمر أصحاب شركات الكاسيت يرسلون لإدارة التأليف والترجمة والنشر ولجنة المشاهدة بمجمع البحوث الإسلامية بشرائط الكاسيت التي يرغبون في إصدارها وينتظرون موافقتها دون النظر للرقابة على أساس أن موافقة الأزهر على أي مادة دينية تجب ما قبلها، وإذا كان الأزهر معنا فمن علينا.. ليس لنا تعليق سوى أن نقول إن مجمع البحوث والذي وقف كعقبة كئود في وجه كثير من الكتب لم يصادر حتى الآن شريطاً واحداً من الشرائط التي وصلت إليه حتى لو تحمل أفكاراً غير منطقية بالمرّة وكل ما تفعله لجنة المشاهدة هو كتابة تقرير يحمل عبارة متكررة هي "قامت لجنة المشاهدة بإدارة البحوث والتأليف والترجمة بمشاهدة ومراجعة الشريط الفلاني ومحتواه كذا.. ولا مانع لدى الإدارة من عرض هذا العمل على الجماهير لمشاهدته والانتفاع بما فيه من عظات غالية وثقافة إسلامية واعية". يحمل التقرير بعد ذلك توقيع مدير عام التأليف والترجمة فلان الفلاني!!..

الملاحظة الطريفة أن كل الشرائط التي صرّح بها مجمع البحوث بالإزهر عظاتها غالية وثقافتها الإسلامية واعية، مع أن بعضها يحمل أفكارًا تعود بالمجتمع إلى ظلمات لا خلاص منها!!.

الصدّام الثاني كان بطله الناقد الكبير علي أبو شادي والسبب شريط التائبات الذي أنتج في إحدى الدول الخليجية وتولى توزيعه الفنان حسن يوسف من خلال شركته للإنتاج الفني.. المفاجأة غير السارة لحسن أن أبو شادي رفض تمامًا التصريح للشريط بالنزول للسوق المصرية وكانت قناعته أن الشريط يحمل قصصًا تتنافى مع الواقع والعقل فليس معقولاً أن كل الفنانات اللواتي تبين إلى الله جاءت توبتهن بعد زيارة الرسول لهن في المنام، لم تكن هذه القناعة فقط هي التي تحرّك علي أبو شادي ولكنه قال أيضًا إن عرض هذه الشريط بهذه الصورة يشكل خطرًا على الحياة الفنية في مصر.. فكل الفنانات يعلن أنهن تركن حياة الضلال إلى حياة النور والهداية.. فهن يقلن بشكل غير مباشر أن الفن حرام.

حسن يوسف بدوره لم يقف صامتًا فعلاوة على أنه مقتنع بما جاء في الشريط فهو أيضًا يرغب في توزيع

الشريط حيث الأرباح الطائلة التي تنتظره من ورائه، وتدخل كثير من الشيوخ وظهرت الحوارات مع حسن يوسف يصرخ فيها بأن الرقابة تحارب حرية الرأي والفكر وتصادر حرية الآخرين في أن يقولوا ما يريدون، هذا الرأي وآراء بعض الشيوخ الآخرين لم ترهب رئيس الرقابة بل جعلته يزداد إصرارًا على رأيه فهو لم يصادر حرية الفنان التائب في الإعلان عن أسباب توبتهن ولكنه يحافظ على حرية الآخرين في العمل والحياة، فحريتك تتوقف عند حدود حرية الآخرين، هذه المرة فازت الرقابة ولم تخضع لأي ضغط ولم يتم توزيع الشريط.

الصدام الثالث كان أبطاله علي أبو شادي من ناحية ود. مصطفى محمود وشيخ الأزهر د. سيد طنطاوي من ناحية أخرى والسبب هذه المرة كان مسرحية كتبها د. مصطفى محمود وروغب المخرج جلال الشرقاوي في إخراجها للمسرح، المسرحية التي كان عنوانها "زيارة للجنة والنار" رفض علي أبو شادي أن تمثل على المسرح لأنها تتعرض لغيبات لا يعلم أحد كيف تكون سوى الله، ثم أن د. مصطفى أدخل من شاء الجنة ومن شاء النار وهذا أمر

لا ينبغي إلا لله، قامت قيامة د. مصطفى محمود إذ كيف
تعرض الرقابة على عمل إسلامي له وهو الكاتب الإسلامي
الذي لا يشق له غبار، ويحركة غير مسبوقه كان قد حصل
د. مصطفى على موافقة وإشادة من شيخ الأزهر بالمسرحية
واعتبر أن موافقة الرقابة تحصيل حاصل لكن الرقابة صدمته
فأخرج الخلاف إلى الصحف وأكد أنه ليس من المعقول أن
ترفض الرقابة نصًا وافق عليه الأزهر.

ويصل الصدام إلى ذروته عندما يصرح علي أبو
شادي بأن موافقة شيخ الأزهر على نص معين لا يعني أن
رئيس الرقابة يبصم عليه دون أن يبدي وجهة نظره، وردًا
على هذه الإهانة اجتمع مجمع البحوث الإسلامية وأشاد مرة
أخرى بالمسرحية ليؤكد ما سبق وقاله شيخ الأزهر بل
وزادوا على ذلك بأن المسرحية تدعو إلى تقوى الله وتساعد
على تثبيت الإيمان عند الناس، رغم هذا الإصرار من
الأزهر على أن تخرج المسرحية للنور لكن ذلك لم يحدث..
وانتصرت وجهة نظر الرقابة مرة ثانية.

قد نقول إن هذه المواقف لا علاقة لها بالشرائط نقول
لك نعم فنحن فقط نسجل شكل العلاقة بين الأزهر والرقابة

وليس الهدف بالطبع أن نزيد شعلة الخلاف بينهما فالهدف فقط أن تكون هناك صبغة واحدة يعرفها الناس وعلى أساسها يتم تقييم شرائط خطب ومواعظ شيوخ التطرف، ويتم بالتالي الوقوف أمامها بقوة ليس بهدف مصادرتها طبعاً - فلسنا دعاة مصادرة - ولكن لغربلتها حتى لا يتسرب أي فكر هدام يغيب الناس ويكفر المجتمع إلى السوق، وهذه الشرائط في الغالب في متناول الجميع فأسعارها لا تتجاوز الثلاثة جنيهاً، فالأزهر ليس دوره أن يكون خصماً للرقابة- أو هكذا المفروض - ولكنه يجب أن يكون عاملاً مساعداً في أن تقوم بدوره.. نرى ذلك مهمّاً للغاية خاصة بعدما قاله رئيس الرقابة الحالي. د. مدكور ثابت مؤخراً عن الضغوط التي تتعرض لها الرقابة من جهات بعينها قال "هناك ضغوط طوال الوقت على الرقابة.. ففي الستينيات كان هناك رقابة على الرقابة من قوى معينة، في التسعينات أيضاً هذه الرقابة موجودة لكن بشكل آخر إلى الدرجة التي أنكر معاناتي منها كمسئول عن الرقابة".

الرجل لا يعاني وحده، ولكن العاملين معه في الرقابة يعانون أيضاً ويتأثرون بالعديد من الضغوط وهم معذرون،

فالرقيب عندما يشعر أنه مطارّد بكرجاج قد يقسو عليه فمن المؤكّد أنه سيبادر بالمصادرة والحذف تجنّباً لما قد يحدث من مشاكل، بما يعنى أن الرقيب قد يكون مقتنعاً بإباحة فيلم أو أغنية يبادر بالمصادرة حتى يتجنّب الهجوم عليه.

مالم يقله رئيس الرقابة أن هذه الضغوط قد تطالبه أحياناً بعدم المصادرة وبالإباحة على الآخر، إذا كانت الأفكار أفكارهم والشرائط شرائطهم، ويضطر أيضاً للموافقة خوفاً من الهجوم وربما التكفير وجرائم أخرى من قبيل المؤامرة على الإسلام، فهل يعي الأزهر ذلك فيتدخل لصالح أن تقوم الرقابة بعملها في محاربة الأفكار الهدّامة.. نسأل الله أن يعي الأزهر ومجمعه ذلك.

٩

شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

الغلابة

هل يمكن أن ترسم صورة حتى ولو مبسطة لحياة الموظف المصري.. هذا الكائن القديم الأزلي.. الذي تقابله كل مشاكل الدنيا - حياته نفسها مشكلة - لكنه يعيش الحياة ببساطة.. ينسى همومه.. يستقبل يومه وكأنه ولد لتوه.. اهتماماته محصورة في كيفية إنفاقه لمرتبه طوال الشهر، خاصة إذا كان المرتب لا يكفي لآخر الشهر.. فالموظف المصري يتحول إلى حاوٍ.. ساحر يأتي بأعاجيب كي يكمل الشهر بجنيهاته القليلة.. يضرب به المثل في الصبر والتحمل.. فهو طوال حياته الوظيفية يتحمل رذالات رؤسائه.. الذين يتفننون في إيذائه لوجه الله.. يخرج من عمله وكأنه خارج من الجحيم.. يحشر نفسه في أول أتوبيس يصل به إلى بيته.. هذا إذا كان موظفًا قاهريًا. أمّا إذا كان موظفًا من أبناء الأقاليم فهو يحشر نفسه في سيارة ميكروباص من مقر عمله إلى بيته.. وفي الأتوبيس أو الميكروباص يعاني

الموظف من زحام رهيب تخنقه رائحة العرق وأنفاس من حوله الذين يبحث كل منهم عن فرصة حياة كريمة.

وعندما يعود إلى بيته لا يجد سوى المشاكل، مشاكل مع زوجته ، مشاكل مع أولاده.. مصاريف مدارس.. ونتائج امتحانات.. ومصاريف ملابس.. ومصاريف في أشياء غير مهمة على الإطلاق، لكنها مصاريف والسلام.. خاصة والتليفزيون لا يرحم يقذف في وجوه غلابة هذا الوطن بسلع لا يحتاج إليها في الواقع، لكنه يحاصر بمن يلح عليه بأن يشتري وبأن يدفع، راجع فقط الإعلانات عن شنت المدارس.. وتخيّل موظف عنده أربعة أو خمسة أولاد.. كم يدفع كي يشتري لهم شنتاً..!! وهذا مثال فقط.

وشيخ المساجد عندنا في النهاية موظفون في الحكومة ينتظرون رواتبهم بلهفة من يوم ٢٠ في الشهر، كل واحد منهم له قصة.. أحلام وطموحات.. وكلها تتضاءل أمام الدخل الزهيد.. وضغوط الوظيفة.. كل ذلك يؤثر على أداء الشيوخ.. فأبي موظف ينتهي عمله الساعة الثانية.. لكن أي شيخ جامع لا ينتهي عمله أبداً.. فهو مع الناس طوال اليوم.. مع الناس في صلاتهم.. والصلاة خمس مرات في

اليوم وإذا قال إنه في إجازة.. قالوا يا شيخ هو فيه إجازة من الصلاة..!! لا نريد أن نسترسل كثيرًا في واقع شيوخ المساجد كموظفين.. فقط نستعرض دراسة قام بها د. عبد الفتاح عبد النبي.. الدراسة نال بها درجة الدكتوراه من كلية الآداب جامعة الزقازيق.. عنوانها دال للغاية "المؤثرون.. دراسة نماذج أئمة المساجد في بناء الاتصال".. ومع دلالة العنوان العميقة.. لكننا لا نستطيع أن نسلم بصحته.. نستعرض تفاصيل الدراسة.. أمّا العنوان فنؤجل مناقشته قليلاً.

فالضغوط المهنية والمشكلات التي يواجهها الأئمة في ممارستهم لمهامهم كثيرة، وهي في الوقت نفسه تحدد لنا قدرة هؤلاء الشيوخ على أداء عملهم على النحو المطلوب أو بشكل فيه بعض القصور⁽⁵⁾.. فبعض الدعاة يرون أن مهمة الإمامة مهمة شاقة تمتد لتشمل جميع مناحي الحياة، كل أمور الدين والدنيا، وهذا جعل وزارة الأوقاف تلزم الإمام أن يظل موجودًا في مسجده من العصر حتى صلاة العشاء

(5) نحتفظ بنسب الدراسة بعيدًا عن أعين القراء، فنحن نبحث عن المعاني لا الأرقام.

ولا يترك مسجده خاليًا مهما حدث.. وعلى ذلك فهذه هي الحدود الزمنية لوظيفة شيخ المسجد والذي لا يستطيع أن يفعل أي شيء غير بقائه في المسجد خلال هذه الفترة وإلا يكون بذلك مخالفًا للقانون.. والقانون في الغالب لا يرحم.

هذا يجرنا إلى الحديث عن العلاقة بين وزارة الأوقاف كجهة حكومية وبين الشيوخ وهم الموظفون التابعون لها.. والصلة في كلمة واحدة هي "المفتش".

يرى الجانب الأكبر من الدعاة أن العلاقة بين المفتش وشيخ المسجد علاقة متوترة غير سوية، فالمفتش لا يقدر عادة مجهود الإمام، ويتعمد إحراجه أمام الناس، يغفل رأي الإمام ويأخذ برأي الأهالي الذين لهم في الغالب رأي سلبي في سيدنا الإمام، الأكثر من ذلك هو إحساس الشيوخ أن الأمام لا يأتي إلى المسجد في المقام الأول إلا لاصطياد الأخطاء التي سيضمنها في تقرير يرفع إلى أصحاب القرار.

وللتحديد فهناك ثلاثة مصادر للتوتر وسوء العلاقة بين الإمام والمفتش: أولاً.. قضية ارتداء الزي الرسمي، حيث يرى بعض الأئمة وبالذات غير المقيمين بالمنطقة التي يوجد بها المسجد أن ارتداء الزي الرسمي باستمرار مسألة

صعبة فيما يتعلق بالتنقل، وغسيل الملابس وما يلاقونه من بهذلة في المواصلات.

ثانياً.. الوجود في المسجد في الفترة الزمنية المحددة من صلاة العصر وحتى صلاة العشاء، وما قد يتصادف خلال هذه الفترة من قيام الإمام بواجب عزاء أو مجاملة أو تلبية أمر طارئ يتطلب وجوده بعيداً عن المسجد.

ثالثاً.. الشكاوي التي ترد من الأهالي ضد الإمام، وحضور المفتش وتبنيه لرأي الأهالي وليس الإمام. فضلاً عن الالتزام بما يرد من تعليمات بشأن طبيعة الدروس وخطبة الجمعة.

والمواقف الدالة على ذلك كثيرة منها:

- حدث بإحدى قرى مركز بني مزار حيث حضر الباحث بسيارة البحث المكتوب عليها حكومة وعندما سأل الأهالي عن الإمام.. قالوا إنه ليس موجوداً، وهرع عامل المسجد للبحث عنه، وجاء بعد حوالي نصف ساعة وهو يلهث وازداد رعباً من مشهد السيارة والغرباء ولم يتمكن من تمالك نفسه أو استعادة توازنه إلا بعد فترة طويلة وبعد

تأكيدات أن هؤلاء الغرباء ليسوا تابعين لوزارة الأوقاف.. كان تعليق الشيخ دالاً وموجعاً.. حنعمل إيه المعيشة غالية..

● وفي مدينة الزقازيق حضرت لجنة تفتيش ديني ولم يكن إمام المسجد مرتدياً لزيه وبحضور الإمام تمت أحد الاعضاء اللجنة "برضه مش لابس الزي.. مفيش مكافأة" وانصرفت اللجنة وردد الإمام بعد انصرافها معلقاً "والله نعمل إيه.. يخلصوا زي ما هم عاوزين".

● والمؤسف أن هذه العلاقة تكون جيدة أحياناً.. لكن لأسباب شخصية بعيدة كل البعد عن الموضوعية ومراعاة ربنا.. فإذا كان الإمام صديقاً للمفتش أو بلدياته مثلاً فإن التقارير كلها تكون ممتازة.. ولن نذهب بعيداً . في دمياط تأخر إمام المسجد عن موعد صلاة الجمعة وبعد أن أذن المؤذن جلس الناس ينتظرون وبعد عشرة دقائق صعد أحد أبناء البلدة وأدى خطبة الجمعة حتى لا يصلي الناس ظهراً، لكنه أثناء خطبته حضر الإمام ويبدو أنه تأخر

مضطرباً، وبعد دقائق من وصول الإمام حضر المفتش.. وظن المصلون والحاضرون في المسجد أن المفتش سيقابها على رأس الأمام لتقصيره الشديد.. ولكن فوجئ الناس أن المفتش بعد نهاية الصلاة يعانق شيخ المسجد ويأخذه للحجرة الملحقة بالمسجد.. يتسامران.. ويديه كتب المفتش في دفتر المتابعة أنه حضر للمسجد ووجد الإمام يؤدي خطبة الجمعة وكان يتحدث في موضوع كذا.. ثم توقيع المفتش الكريم.

فلا ذكر لتقصير.. ما دام المفتش صديقاً للإمام الذي من المؤكد أنه معجب بالأغنية الشهيرة - وناسبنا الحكومة!!.. شيء آخر مهم وحساس يمثل ضغطاً على الأئمة.. تمارسه وزارة الأوقاف وكأنه حق سماوي من حقوقها، فهناك قيود مفروضة على نشاط الأئمة وخطباء المساجد في مجال الإعداد للدروس وخطبة الجمعة وهذه القيود تتمثل في تحديد موضوعات هذه الدروس والخطب، والمحاور الأساسية التي ينبغي على الأئمة تناولها.

الوزارة تمارس هذا الحق بمنتهى الحدة والقسوة ولا تسامح من لا يلتزم به.. والأئمة بدورهم يعتبرون هذه التعليمات قيودًا تحد من نشاطهم وتضعف من مصداقيتهم لدى الناس. وقد يسبب معرفة الناس لهذه الحقيقة حرجًا بالغًا لهم.. فهم بذلك يتعرضون لسخرية الناس على هؤلاء الدعاة الذين يتلقون موضوعاتهم من فوق.. خاصة إذا كان هناك موضوع مهم يجب أن يتحدث عنه الإمام ويكون ماسًا بحياة الناس الذين يصلون مع الإمام.. ويعد نفسه للحديث في هذا الموضوع الحيوي.. تجد تعليمات الوزارة قد طلبت منه أن يتحدث عن الانتماء عند الشباب، أو المشاركة في الاستفتاء على الرئيس أو التمسك بالأخلاق الحميدة وضرورة التمسك بقيم المجتمع الذي نعيش فيه.

وحسب ما جاء في الدراسة فقد يكون هناك جريمة قتل وقعت أمام المسجد أو حادث اغتصاب أو سرقة في المنطقة أو نزاع بين بلدين والمفروض في الإمام أن يتفاعل مع هذه الأحداث، لكنه لا يستطيع بفعل الرقابة الصارمة المفروضة على الإمام ليس فقط من قبل وزارة الأوقاف ولكن من قبل جهاز المباحث، وأدنى تجاوز أو خروج عما ورد من

تعليمات على المنبر يعني توقيع الجزاءات التي قد تشمل
الخصم من المرتب أو الحرمان من المكافآت المحدودة
أصلاً، أو منعه من الخطابة نهائياً أو نقله من جامع كبير
يؤمه الناس من كل صوب وحذب إلى مسجد صغير مهجور
وهذا الأمر لا يقتصر فقط على الشيوخ الصغار الذين يمكن
أن تقول إنهم لا حول لهم ولا قوة.. ولكنه حدث مع الشيوخ
الكبار أمثال الشيخ عمر عبد الكافي الذي رأته الدولة
أن أفكاره تمثل خطراً على مصالحها وحُرِّمَ من الخطابة
نهائياً وتحولَ مسجد أسد بن الفرات في شارع الدقي من
ميدان يقصده المصلون من كل مكان إلى مسجد عادي للغاية،
حدث ذلك أيضاً للشيخ عبد الصبور شاهين الذي حُرِّمَ من
صعود منبر جامع عمرو بن العاص بقرار من وزارة
الأوقاف والتبرير أنه ليس حاصلاً على ترخيص من الوزارة
بالخطابة.

وتخيل أن الإمام إذا خرج عن الخط المرسوم له يمكن
وبمنتهى البساطة أن يقوم المخبرون السريون بضربه ضرباً
مبرحاً وهو يسير في الطريق لا له ولا عليه وهذه المعلومة
تحديداً ذكرها أحد خطباء المساجد.

تعالوا نقرب من الصورة أكثر..

فعندما سأل الباحث الشيوخ عن همومهم ومشكلاتهم..
توالى الإجابات.. فعلى المستوى الشخصي يشكو الأئمة من
غلاء المعيشة وقلة الدخل، وعدم قدرة بعضهم على الزواج
وبعد المسجد عن محل إقامة بعضهم؛ ومن ثم انشغالهم في
تدبير قوت الحياة اليومية للأسرة التي هو في النهاية مسئول
عنها، وعدم حفظ القرآن الكريم كاملاً، والخوف والرهبة
الشديدة من الجمهور خلال خطبة الجمعة، وعدم الثقة
بالنفس، والشعور بالعجز والقهر النفسي وضعف الحصيلة
العلمية.

وعندما تضع هذه الهموم أمام عينيك فإنها تمثل في
الوقت نفسه سمات لقطاع كبير للغاية من شيوخ المساجد
هؤلاء الذين وجدوا أنفسهم وبدون مقدمات يقفون على المنابر
وهم وجهًا لوجه مع جمهور متحفز معظمه كي يتصيد
الأخطاء لهذا الشيخ الإمام الذي يقف على المنبر يعمل فيها
أبو العريف...!!

وعلى المستوى الوظيفي - وهم في ذلك مثل معظم
موظفي الدولة - يعانون من الروتين والتعليمات القاسية

الصارمة من الوزارة، والمعاملة السيئة من جانب الرؤساء ونظرة الاحتقار والتفاهة التي يوجهونها إلى بعض الأئمة، وعدم توافر الكتب أو اكتمالها، والصراع بين العالمين في مجال الدعوة، والتمييز بين الأئمة وعدم أخذ المستحقات من حوافز ومكافأة بسهولة والتأخير فيها وانحصار الدعوة في المساجد، وعدم القدرة على شراء الجرائد والمجلات والكتب. أمّا ما يعانیه الشيوخ من الناس والذين هم المصلون فهو كثير، خاصة من أعضاء مجالس إدارات المساجد.. فهم مثل العقبة الكئود لا يرحمون الأئمة من الشكاوى والقذح في حقهم، ثم إن أي شيخ مسجد في مصر حالياً يعاني من انعدام ثقة الناس فيه؛ فهم يعتبرونه مجرد عميل للحكومة، وبالتالي فهو غير أمين عليهم.. فالناس من الأساس يفقدون الثقة في كل من يرتبط بالحكومة بصلة.

ثم نصل إلى نتائج هذه الدراسة المهمة التي أثبتت..

- تدهور المكانة الاجتماعية والأحوال الاقتصادية للأئمة، أظهرت بيانات السن أن الجانب الأكبر من أئمة المساجد يتميز بصفة عامة بالحدائثة وصغر السن وبالتالي محدودية الخبرة.

وكان ذلك بفعل انتقال الأئمة من كبار السن للعمل الإشرافي أو التوجيهي طبقاً للتدرج الإداري أو الوظيفي بوزارة الأوقاف، وسياسة التوسع في التعيينات الجديدة بغية تغطية العدد الأكبر من المساجد بالأئمة التابعين للوزارة، وعدم ترك ساحات هذه المساجد للجماعات الدينية المناهضة للحكومة.

- عدم التأهيل الجيد للأئمة للعمل في مجال الدعوة فمعظمهم حاصلون على مؤهل دراسي ليسانس أصول الدين (عام) أي من غير قسم الدعوة المختص بإعداد وتأهيل الدعاة، ومنهم حاصلون على ليسانس دراسات إسلامية، وكان لذلك انعكاساته السلبية على الكفاءة الاتصالية أو القدرات التأثيرية للأئمة.
- أظهرت بيانات مهنة الأب أن غالبية آباء الأئمة يمتهن أو كان يمتهن أعمال الفلاحة (مزارع) ثم بعض الآباء يعمل في أعمال حرفية مثل الجزارة أو البناء ثم تأتي الوظائف الحكومية العادية (كاتب صحة - مدرس..) والوظائف الخدمية مثل الحراسة، خدمة المساجد، ولم يظهر من بين آباء

الشيوخ من يحتل أو كان والده يحتل مركزًا إداريًا أو وظيفيًا مرموقًا، أو حيازة زراعية أو عقارية أو مشروعات تجارية أو صناعية لافتة للنظر أو توحى بغنى اجتماعي أو اقتصادي فالأئمة ينحدرون في النهاية من أصول اجتماعية عادية أو متواضعة، وعلى خلاف العادة وحيث يؤدي تواضع المكانة الاجتماعية الاقتصادية إلى ضعف الهيئة أو النفوذ، فإن تواضع المكانة الاجتماعية للأئمة لا يسبب على ما يبدو في الواقع أية حساسيات أو مشاكل نفسية حيث يسود لدى الأئمة الاقتناع بأن مكانتهم لدى الآخرين مستمدة أساسًا من مكانتهم الدينية ووقار مظهرهم العام وحملهم للقرآن قبل أي شيء آخر.

- نسبة كبيرة من الأئمة غير قادرة على الزواج، ويشكل لهم ذلك ضغطًا نفسيًا شديدًا لما يمثله من تناقض بين ما يؤمنون به من أهمية الزواج المبكر، والنظر إليه باعتباره نصف الدين وبين عجزهم التام

أمام الآخرين عن تحقيق هذا الشرط، وينعكس ذلك فيما بعد على سلوك هؤلاء الأفراد.

• أظهرت بيانات الإعاقة الارتقاع النسبي الكبير في حجم الإعاقة للشيوخ سواءً المتزوجين أو غير المتزوجين، وهو الأمر الذي يجعلهم من أكثر الناس شكوى أو إحساسًا بالغبن، وضغوط الحياة المادية وخصوصًا مع انخفاض المرتبات التي يتقاضونها.. ولذا فهم مضطرون في النهاية إلى ممارسة أنشطة أخرى بخلاف مهنة الإمامة لتحسين دخولهم ولمواجهة ضغوط الحياة.. ومع ذلك فهناك أعداد كبيرة من الدعاة لا نستطيع أن نتكرر للمعيشة المتردية التي يلاقها بعضهم، ويظهر ذلك واضحًا في انخفاض حيازتهم للعديد من الأجهزة والأدوات الكهربائية، باستثناء الراديو والغسالة الكهربائية العادية.

العديد من الدعاة إمّا ليس لديه تصور ومعرفة بوجود مشاكل أو خلافات بين الأفراد "ما فيش خلافات والحمد لله" أو أن وعيه ودرجة إدراكه لهذه الخلافات تبدو سطحية

ومحدودة إلى حد كبير.. مشاكل بسيطة وخلافات عادية زي اللي بتحصل في كل مكان، وحتى الذين يدركون خلافات الناس فهي لا تخرج عندهم من إطار الانحلال الخلقي والديني والفراغ لدى الشباب والبطالة وعقوق الأبناء، وأن الأطفال والنساء وراء كل المصاعب، وأن الحل يكفي لدى غالبية الأئمة في العودة إلى المنبع الأصلي وهو الإسلام ومن خلال حفظ القرآن والأحاديث النبوية، وهي أحاديث وتصورات لا تفرق بين السبب والنتيجة أو بين الشكلي والجوهري، وانحصار الاهتمام بالجانب الخلقي بحيث أصبح هو الأساس لديهم، وإن كان هذا المفهوم ليس كافيًا لفهم وتفسير ما تعانيه البيئة من مشكلات جوهرية وبالذات مع تزايد الضغوط المادية وتعدد مشكلات الحياة اليومية التي يلاقيها الأفراد في تدبير قوت يومهم.

• يرى البعض أن مكانة رجل الدين في المجتمع أصبحت مكانة ضعيفة للغاية لأن الناس بالفعل فقدت الثقة برجل الدين حيث لا يلتزم في كل أعماله بمنهج الله، فهو يلتزم أكثر بما يأتي إليه من الوزارة، وهي في الغالب موضوعات لا تمت للدين بصلة؛

لأن الإمام أصبح مرتبطاً بالمسجد ولا يعرف سوى حفظ القرآن والصلاة وبعض الأحاديث، ثم يأتي دور الإعلام الذي يشوه صورة رجل الدين.. وكلها أسباب تشير إلى تراجع مكانة رجل الدين في المجتمع المصري في الوقت الراهن.

قدمت الدراسة بعض الجوانب النظرية التي لا استغناء عنها وهي موجودة بالفعل.. وحتى نثبت ذلك فليس أمامنا سوى أن نتأمل واقع الشيوخ، تأملاً موضوعياً، وليس كما ردّ أحد مديري مديرية أوقاف ذات مرة لشيوخته عندما شكوا له سوء حالهم وأنهم في حاجة ماسة لرفع مرتباتهم.. فردّ عليهم الرجل بمنتهى البساطة.. يا جماعة احمدا ربنا على الصحة.. زيادة مرتبات إيه.. احمدا ربنا إن مفيش واحد فيكم معوق من غير رجل أو ايد.. صلوا على النبي في قلوبكم.. صلوا!!!..

١٠

شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

ثقافة السادة الدعاء

وهذا جانب آخر تمدنا هذه الدراسة القيمة بمعلومات دقيقة عنه.. نتحدث يا سادة عن ثقافة الدعاة حيث لا يستطيع أي واعظ أو داعية أن يكتفي بما درسه في الأزهر الشيف من معلومات في القرآن والحديث والفقہ والسيرة ليخرج بها على الناس يعظهم ويعالج مشاكل حياتهم لسبب بسيط أن ما يحصله الطلبة في الأزهر هو شيء هزيل للغاية لا يمكن أي داعية أن يلم بقضايا الناس المعاصرة، من خلاله وهو ما يجعل الدعاة في حاجة لأن يقرأوا ويطلعوا ويلموا بمعارف شتى، وزارة الأوقاف لا تترك دعواتها فهي تصرف لهم بدل قراءة يصل إلى ١٨ جنيهاً فقط!! وتصرف لهم أحياناً أخرى بعض الكتب التي تساعد على أداء عملهم، بعد البحث والمتابعة تصدر منا ملاحظة مهمة للغاية وهي أن الدعاة عندنا لا يقرأون إلا في التراث سواء كتبهم القديمة أو الكتب التي تصدر على ضوءها ويكتبها بعض شيوخ الأزهر أيضاً مصممين على أن حلول كل مشاكلنا في تراثنا الذي لن ننكر

أهميته لكن بعد التطوير والتحديث والتعديل!!
وكان السؤال.. هل يتابع الدعاة الصحف؟.. هل يشاهدون
التلفزيون؟ هل قرأوا مثلاً الكتب التي ثارت بسببها معارك
وخلافات وصلت للمحاكم مثل كتب نصر حامد أبو زيد وسيد
القمني وحسن حنفي وخليل عبد الكريم؟!

لن نتطوع ونجيب بشيء يظلم الدعاة أو يكون في
صنهم. الإجابة نحصل عليها من سطور الدراسة العملية
الجادة السابقة.. أجرى الباحث مقابلات مع مائة وثمانية دعاة
ووعاظ وجه لهم الأسئلة وحصل منهم على الإجابات التي
تعكس ثقافتهم وطرق حصولهم عليها.. المسألة إذن ليست
ذمًا أو خطأ من شأن الدعاة ولكنها محاولة لمعرفة ماذا
يقرأون.. هذا إذا كان يقرأون.. لن نهتم كثيرًا بالأرقام
والإحصائيات والجدول التي امتلأت بها الدراسة.. يهمننا فقط
ما قاله الدعاة.. ويهمننا أكثر ما وراء الكلمات.

نبدأ بالكتب حيث وصل الباحث إلى أن الدعاة يقرأون
الكتب وذلك ربما تحت ضغط الحاجة إلى ممارسة مهامهم
في مجال الدعوة، حيث تعد الكتب المصدر الوحيد الأساسي
الذي يستعان به لتزويدهم بالمعلومات والمعارف عن

الموضوعات التي يتناولونها سواء خلال الدروس اليومية أو خطب الجمعة أو حتى المناقشات مع الناس، ٨٠% من الدعاة يقرأون الكتب دائماً و بانتظام كأحد أهم واجباتهم اليومية.

واللافت للنظر هو اقتصار قراءة الدعاة على الكتب الدينية فقط، ويندر قراءتهم للكتب الأخرى في مجالات العلوم الإنسانية المختلفة، ربما بفعل عجزهم التام عن الحصول على هذه الكتب، أو بفعل - وهذا لم تقله الدراسة - عدم اقتناع بعض الأئمة بأهمية هذه الكتب وعدم اتصالها المباشر بالموضوعات التي يقدمونها للناس، ومن أهم الكتب التي تتوافر عند الدعاة وتعتبر دعائم مكتباتهم الفتاوى ومعجزة القرآن للشيخ الشعراوي، تفسير ابن كثير، كتب فقه السنة والعقائد للسيد سابق، أدب الدين والدنيا لحسن البصري، التيارات المعادية للإسلام ومفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، قصص السنة لأحمد عمر هاشم، إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، والروح لابن القيم، وأصول الفقه لمحمد الغزالي، وتربية الأولاد في الإسلام ووصايا الرسول للشيخ طه العفيفي، وورثة الفردوس للشيخ كشك،

ونور اليقين لسنة سيد المرسلين، ونظام الحكم في الإسلام والإعلام في القرآن لعبد القادر حاتم.

وكما ترى سيادتكم فاستعراض هذه الكتب يؤكد انحسار اطلاع الأئمة على الكتب العامة وشدة ارتباط التثقيف بالكتب والمؤلفات الدينية التي يستعان بها في ممارسة مهام الدعوة.

ننتقل إلى الجرائد لنرى عجباً فقد أكدت الدراسة أن الجانب الأكبر من الدعاة يرى أن الجرائد إمّا وسيلة هدامة لا تخدم الدعوة أو غير صادقة وأمينية، الأخطر من ذلك أن الدعاة يرون أن الجرائد في مجملها تابعة للحكومة وللسياسيين والعلمانيين ولا تخدم شخصية الداعية، قد يكون الأمر أكثر وقعاً إذ نقلنا لك ما قاله الدعاة عن الجرائد نصّاً فقد قالوا إنها مضللة وتزيف الحقائق ولا تعبر عن رأي الشعب وتروج لأخبار كاذبة تعمل على محو الدين وبيث العلمانية، ثم هي في النهاية مضيعة للوقت ولا تفيد.

وحتى من قالوا إن الصحف يمكن أن تكون ممتازة وصنعوا لذلك شروطاً منها أن تكون الصحف صادقة وتخصص مساحة أكبر للصفحات الدينية مع انتظامها

وأن النهج الإسلامي في معالجة موضوعاتها وهي شروط
تشير إلى أن الذين يقرأون الصحف من الدعاة لا يرضون
عن الممارسات الحالية لها!!

هذا الموقف العدائي من الصحف انعكس على درجة
تعود الدعاة على قراءة الصحف والأرقام هنا مهمة، وقرأ
يا سيدي: ٦١% من الدعاة يقرأون الصحف أحياناً
وبالمصادفة، ١١% لا يقرأونها على الإطلاق،
٢٨% يقرأون الصحف بانتظام.. مع احتفاظهم بكافة
التحفظات التي يأخذونها على الصحف فهي غير صادقة
وغير آمنة.

المؤسف أن بعض الدعاة اشتكو من عدم قدراتهم على
شراء الجرائد والمطبوعات عامة بسبب غلاء أسعارها
ومحدودية دخولهم، ولعل ذلك بالإضافة لموقف الدعاة
العدائي من الصحف هو ما يؤكد ضعف الارتباط الفعلي
لجماعة الأئمة بالجرائد؛ ولذا فالصحف الدينية هي التي
تصدر اهتمامات الدعاة فهم يقرأون اللواء الإسلامي
والنور وعقيدتي ولواء الإسلام والتوحيد ومنبر الإسلام وهي
على فكرة مجلة وزارة الأوقاف، وحتى عندما يقرأ الدعاة

الصحف العامة فهم يتوجهون إلى مقالات بعينها فهم يقرأون مقالات مصطفى محمود وأحمد بهجت وثروت أباظة وجمال بدوي.

رأي الدعاة في الصحف كان قاسياً، والرأي في التليفزيون كان أكثر قسوة و ٧٠% من الدعاة عينة الدراسة ينظرون إلى جهاز التليفزيون باعتباره وسيلة هدم وفساد في المجتمع ومرة ثانية هذه بعض تعليقات الدعاة على التليفزيون فقد قالوا.. هو جهاز فاشل وخطر اسمه المفسديون، وسيلة لتدمير عقول الشباب، نحن نعطي الجرعة الطيبة والتليفزيون يعرض الرقصات الخليعة، هو وسيلة لإفساد الأخلاق وإغصاب الرب، القائمون عليه شيوعيون وعملاء، وهو كذلك رأس الفساد والبلاء بملء الفم، هو أيضاً غير الناس تغييراً جذرياً وأفسد أخلاقهم وطباعهم، ثم هو في النهاية وسيلة شيطانية.

حتى الآن أصدقاؤنا الدعاة حددوا موقفهم من التليفزيون كجهاز، موقفهم مما يقدمه التليفزيون كان أقطع، فهم يرون فيما يقدمه التليفزيون من أفلام ومسلسلات

وإعلانات تليفزيونية مخالفة لتعاليم الإسلام الصحيح وإفساد
لما يسعى الدعاة لإصلاحه، لا نستطيع بالطبع أن نغفل
كراهية الدعاة للتلفزيون بسبب تشويه صورة رجل الدين في
المجتمع وأنه كذلك أحد العوامل الرئيسية وراء تراجع مكانة
الأئمة لدى الناس.. فالحكاية تار بايت إذن!!

هذا الرأي من الدعاة في التلفزيون فسّر لنا ما يفعلونه
في خطبهم حيث إن ممارسات التلفزيون كثيرًا ما تكون مادة
للتندر والسخرية والاستشهاد على تفشي الفساد، يتم ذلك فوق
المنابر وخلال الدروس اليومية، وضع هذا الموقف العدائي
للتلفزيون أيدنا على سر تشكك وتشكيك الدعاة في جميع
الحملات التي يسعى التلفزيون إلى ترويجها وبالذات حملاته
في مجال تنظيم الأسرة.

تعالوا نكون أكثر تحديدًا ونرصد إيجابيات وسلبيات
التلفزيون كوسيلة إعلامية من وجهة نظر الدعاة
- وكما رصدت الدراسة - فهم يرون إيجابياته في برنامج
الشيخ الشعراوي، ونشرة الأخبار وعالم الحيوان وبرنامج
مصطفى محمود، أمّا المساوئ فعديدة وتتعلق بالأفلام الهابطة
والبرامج السخيفة فالخلاعة في الإعلانات وشرب الخمر

ومعانقة النساء، بعد ذلك من الطبيعي أن تعرف أن نسبة ٢,٧% فقط من الدعاة يشاهدون التلفزيون باستمرار، الباقون أجابوا على سؤال الدراسة الذي يقول هل أنتم متعودون على مشاهدة التلفزيون؟ بأحياناً واختفت تماماً الإجابة بدائماً!!

كشف الحوار مع الدعاة الذين قالوا إنهم يشاهدون التلفزيون عن برامجهم المفضلة زيادة الميل العام لإنكار مشاهدتهم للأفلام والمسلسلات والإعلانات وحديثهم عن مشاهدة البرامج الدينية والثقافية فقط وهو أمر غير منطقي على ضوء انتقاداتهم واتهاماتهم الشديدة لهذه البرامج إذ كيف ينتقد الإنسان شيئاً لم يشاهده؟ والمؤكد أنهم يشاهدون هذه البرامج ولكنهم لا يعبرون عن ذلك على المستوى اللفظي، الأمر الذي يشير إلى ازدواجية واضحة عند الدعاة.

موقف الراديو يختلف قليلاً، فوجهة نظر الدعاة فيه أفضل من وجهة نظرهم في التلفزيون فهم يرونه مهمماً ومفيداً وطيباً ووسيلة حسنة ووسيلة ناجحة جداً لا بأس به، فهو وسيلة تربط بين الشعب والمجتمع، وكذلك وسيلة فيها برامج شيقة، لكن لم يمنع هذا أن ٢٠% من الدعاة محل الدراسة يؤكدون أن الراديو ليس به سوى محطة القرآن

الكريم وماعداها من محطات أو برامج فجميعها عبث لا فائدة منه، هذا لا يمنع بالطبع أن نعرض لنسب استماع الدعاة للراديو: ٧٠% منهم لا يسمعون سوى إذاعة القرآن الكريم فقط وإن كان الملاحظ أن الدعاة عجزوا عن تحديد أسماء برامج بعينها حتى في إذاعة القرآن الكريم، الـ ٣٠% الباقية أكدت ميلها بالإضافة إلى سماع البرامج الدينية استماعها لنشرات الأخبار والبرامج السياسية وهي كما وردت في إجابات الدعوة برامج "زيارة لمكتبة فلان، وهمسة عتاب، ولقاء الشيخ الشعراوي، وشاهد على العصر، وأقوال الصحف، ولغتنا الجميلة، وعلى الناصية، وربات البيوت" هي كما ترى برامج تذاع إمّا في الصباح الباكر أو في ساعات متأخرة من الليل، وهي على ما يبدو الفترات التي تتزايد احتمالات تعرض الدعاة خلالها للراديو أمّا بقية الفترات فتكاد تكون معدومة بالنسبة للغالبية العظمى منهم.

لم تتعرض الدراسة طبعًا لموقف الدعاة من السينما والمسرح لأنهما في نظر الدعاة جميعًا رجس من عمل الشيطان، ومن المستحيلات مثلاً أن ترى شيخاً يرتدي الزي

الأزهري يقف أمام شباك تذاكر سينما أو مسرح يقطع تذكرة
ليشاهد فيلمًا سينمائيًا، لكن لو حدث وتكرر فسيصبح الأمر
عاديًا للغاية، ليست هذه دعوة لأن يدخل الشيوخ السينما
والمسرح فهم في النهاية أحرار فيما يفعلونه.

ولأنه لا بد من نتيجة لهذا الجزء من الدراسة التي
أعدّها د. عبد الفتاح عبد النبي فقد بحثنا عنها ولم نفاجأ من
أثر عدم تعرض الدعاة لوسائل الإعلام المختلفة.. فهناك
فجوة ومسافة بين القضايا والموضوعات التي تعرضها هذه
الوسائل وبين الدعاة، وعليه فهم يفعلون ويقولون عكس ما
تطالب به هذه الوسائل وخذ عندك تنظيم الأسرة التي بُحَّ فيه
صوت التليفزيون ليل نهار، فالدعاة في خطبهم يؤكدون على
أن الأرزاق بيد الله وأن تنظيم الأسرة هو مخطط غربي هدام
موجّه لضرب المسلمين وحتى الذين لا يروجون لزيادة النسل
يلتزمون الصمت والامتناع عن الحديث كموقف رافض
للموضوع برمته!!

كما أن عددًا كبيرًا من الدعاة يميلون إلى تبرير
التطرف واختلاق الأعداء للمتطرفين وباستثناء الحديث عن

سماحة الإسلام ومعارضته لترويع الأمنين والحاجة إلى الحوار مع المتطرفين بالحسنى فإن الاتجاه الغالب في تفسير الدعاة للتطرف أنه يعود إلى أعداء الإسلام واستشراء الفساد وإلى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية، ثم إن الكثيرين ممن يطلق عليهم متطرفون - وهذا كلام الدعاة بالمناسبة - مخلصون للدعوة وأنه لا يوجد في الواقع تطرف وأن ذلك شائعات وافدة لأن الإسلام ليس فيه تطرف، ثم إن سلوك المجتمع المصري كله في الوقت الراهن سلوك متطرف بسبب عدم الالتزام بالقيم الإسلامية الأصيلة!!

وعن الفساد في المجتمع فقد أرجعه الدعاة لبعث الناس عن الدين وعدم تمثل قيم الإسلام الصحيحة، كذلك يرجع الفساد لتدهور الأحوال المادية وغلاء المعيشة وانتشار البطالة، ولم ينسّ الدعاة أيضاً فساد المسؤولين وسيطرة النزعة المادية وانعدام الضمير.. ولا بد من وصم وسائل الإعلام بجزء من المسؤولية عما يحدث فهي تشجع على الفساد!!

آراء الدعاة ليست مطروحة للنقاش بالطبع لسبب بسيط أنها تعكس ضحالة مستواهم الثقافي وعدم متابعتهم لما يحدث

في المجتمع، فمجل ما قالوه لا يخرج عما يمكن أن يقوله رجل الشارع العادي الذي ليس مطلوباً منه أن يكون صاحب رسالة أو بيده هداية الناس وتتوير الطريق لهم، هذه الدراسة التي نشرت في أواخر التسعينيات وشملت دعاة من محافظات بحري ومحافظات الصعيد تضع الحقائق كاملة أمام وزارة الأوقاف التي تمسك الدعاة في يديها، فهم لا يقرأون وحتى وسائل الإعلام التي يمكن أن يتابعوها بمجهود أقل ينفرون منها ولا ندري السبب في ذلك فربما - وهذا أرجح - أن مناهج الدراسة في الأزهر تتعامل مع وسائل الإعلام تعاملاً عنيفاً فتحرم ما ينشر فيها ولذا يكون رأي الدعاة عنها رأياً سلبياً، وربما يكون تكاسلاً عن المتابعة ويكتفون ببعض ما درسوه في الأزهر فيحشون به أدمغة الناس، وربما - وهذا وارد - كما قال بعض الدعاة فهم لا يشتركون الكتب والصحف والمجلات لضيق ذات اليد، لن نتعرض بالطبع للأخطاء الفادحة التي يقع فيها الدعاة أو الموضوعات التي يركزون عليها ومعظمها يدور حول الجنة والنار، وعذاب القبر، واليوم الآخر، والطهارة، وعقوبة تارك الصلاة فهذا موضوع آخر، نحن فقط نريد أن يرد

علينا أحد من وزارة الأوقاف ويقول لنا.. لماذا لا يقرأ الدعاة
ولا يهتمون بما ينشر في الصحف...؟!
فالجالسون في الوزارة من المؤكد أنهم لا يعملون..!!

١١

شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

ويسألونك عن الدين!!

في زحام ميدان الجيزة الذي لا يكف عن ابتلاع البشر والغبار.. أمسك رجل أربعيني العمر بيد ابنته.. كان يجرها خلفه فتسرع الخطى.. وفجأة تمهل الرجل في سيره لتتساب كلمات قليلة من فمه إلى آذان ابنته ومن حولهما من المارة قال الرجل.. "أنا قلت ألف مرة لبس البنطلون حرام.. ولم يثبت أن واحدة من نساء النبي لبست بنطلوناً". تابع الرجل خطواته.. وواصلت البنت تتدحرج خلفه.. لم ترد على تعليقه الذي جاء على ما يبدو ردًا على رغبتها في لبس بنطلون.. اكتفت فقط بأن ابتاعت ريقها وشردت بنظراتها بعيدًا عن كلماته التي يبدو أنه كان مقتنعًا بها للغاية..

أمًا لماذا ميدان الجيزة.. بالذات؟

فلأن الواقعة حقيقية.. وحدثت كما وصفتها وكتبتها..!

وأمًا لماذا هذا الموقف.. بالذات...؟

فلأنه ينطبق تمامًا على خطبة منبرية طويلة عريضة وقف خطيب مسجد قريتنا النائمة في سبات عميق على نيل

مصر.. اسم القرية لا يهمننا في قليل ولا كثير.. فلو عرفت أن القرية اسمها الزعاترة هل سيغير ذلك عندك شيئاً.. بالطبع لا.. فهي قرية من آلاف القرى المصرية التي يتشابه فيها كل شيء الناس والشوارع وأيضاً الشيوخ.. اسم الشيخ أيضاً لن يهمننا في كثير أو قليل.. فلا فرق لو كان اسمه إبراهيم أو فريد أو عوض أو عز أو الشحات.. على كل وحتى نكون محددين كان الشيخ اسمه سمير - الاسم بالطبع لا يعني شيئاً...

وقف الشيخ سمير في تحفز وحماس يحسد عليهما.. فقد كان في كثير من خطبه بارداً فاتراً ينصرف عنه المصلون ويتمنون أن ينهي موعظته الساذجة التي يخطئ كثيراً في آياتها وأحاديثها وإعراب كلماتها وهو في ذلك مثل أغلبية شيوخ المنابر الذين وجدوا أنفسهم فجأة وبدون ترتيب يحملون على عاتقهم وظيفة خطيب مسجد دون معرفة أو إدراك أو وعي بأهمية وخطورة هذه الوظيفة، فهي بالنسبة لهم وظيفة مصدر أكل عيش.. لا يفترقون إذن عن المدرسين أو موظفي الوحدات المحلية أو التموين أو الصحة أو الزراعة.. توقيعات بحضور وانصراف وأيام إجازة إلى

الآن لا أعرف كيف لا يحضر إمام مسجد مع قرب بيته من المسجد لأداء صلاة معينة بحجة أنه في يوم إجازته.. وعدم الفهم أرميه بالطبع على أعتاب وزارة الأوقاف التي ينتمي إليها هؤلاء الموظفون.

المهم.. وقف شيخنا في يوم شديد الحرارة لا يطيق الناس رطوبته ولا غزارة عرقه لي طرح سؤالاً من نبرات حماسه وضح أنه مهم وخطير وقد يكون مصيرياً أيضاً..
كان السؤال.. هل لو كان عند النبي صلى الله عليه وسلم مثل جبل أحد ذهباً هل كان سيشتري دساً؟
وأجاب بسرعة خاطفة.. بالطبع لا، وحتى لا تتعجب من منطق السؤال والربط فيه بين النبي وبين الدش.. كانت مناسبة السؤال...

إن القرية المصرية الصغيرة التي لا تختلف في شيء عن مثيلاتها من القرى قد استقر على سطوح بيوتها أكثر من ١٦ دساً مرة واحدة.. منها اثنان ينقلان مشاهد الجنس الصريح الواضح إلى مرتادي مقهيين في البلد، بما كان له أثر كبير في إقبال الناس على هذه المقاهي.. شيوخ وشباب وأطفال.. وتخيل لهفة رجل ريفي بسيط لا يعرف من فنون

الجنس سوى أن تستلقي زوجته على ظهرها.. ويأتيها لا يسكن في رأسه سوى أن ينفذ عن كاهله عبء تعبته وقهره.. لا متعة ولا تذوق ولا حب ولا قرب.. لكنه يرى بأم عينيه كيف يمارس خلق الله الجنس... وكيف يعيشون فيه.. (نتوقف لنقول إن ذلك حرام طبعاً.. لكننا يا سيدي نقرر واقعاً فقط).. جذبت هذه الوقائع الشيخ على وجهه ليحذر وينذر ويصب جام غضبه على رعوس أبناء القرية التي فسقت وخرجت عن كل حدود وضعها الله لعباده، من حقه - والأدق - من وظيفته أن يقول ذلك دون نقاش أو اعتراض لكن الخطأ - حيث لا بد أن يوجد خطأ دائماً - كان في الطريقة التي صبَّ بها الشيخ سخطه على مرتادي مقاهي الدش وعلى هؤلاء المحترمين الذين أسكنوا على سطوح منازلهم وهم في كامل قواهم العقلية جهاز دش يعرض كل ما يغضب الله ويجلب سخطه ولعنته وفي الآخرة ناره التي لا تبقي ولا تذر، صرخاته أدخلت أهل القرية جميعاً وبلا استثناء في زمرة الفاسدين المفسدين.. فهم أهل فسق وفجور.. لا يرعون لله حرمة.. ولا يعرفون له حدوداً..

ولا يعملون لآخرتهم.. فكل ما يهمهم متعة دنيوية.. هي في الواقع زائلة..

ولا أعرف- وأنا أردد هذا السؤال - لماذا يعتبر شيوخ المساجد وخاصة في الريف أن الناس دائماً على خطأ.. وأن الموعظة يجب أن تكون دائماً عن المعاصي والذنوب.. وبالطبع - على أساس قاعدة شيء لزوم الشيء - حديثاً طويلاً عن النار التي تحاصر داخلها من مكان حتى يحسب أن الموت يأتيه من كل حدب وصوب.. لكنه أبداً لا يموت!!..

لا يتقدم شيخ ويناقش مع الناس لماذا يقبلون على مشاهدة الأفلام الجنسية سواء كانت من خلال الفيديو - وهي ظاهرة منتشرة حالياً في كل قرى مصر ومدنها يتبادلها الشباب والبنات.. وكله من باب المعرفة بالشيء ليس إلا - أو من خلال قنوات الدش؟ لا يتقدم شيخ ليتعرف هل هذا الجهاز الشيطاني كما يطلقون عليه فيه خير أم أن كل ما فيه شر وفساد وفسق وانحلال ثم جهنم وبئس المصير.. هل يمكن أن يؤدي وظيفة ودوراً في بناء المجتمع.. أم أنه فقط معول هدم يقضي على همم الناس...!؟

سيقول أي شيخ وبدون أدنى تفكير إن هذا الكلام فارغ معنى ومبني.. فالناس لا تشاهد سوى المشاهد الجنسية الماجنة.. بل إنهم يبحثون عنها عمدًا ويترصدها ويتعهدون مواعيدها.. ثم يدللون - الشيوخ - على ذلك بأن ابن آدم بطبعه يميل إلى اللعب والمرح والفرح، فلا يعقل أن ينصرف الناس عن الأفلام الجنسية إلى الأفلام الجادة والبرامج الهادفة وهي كثيرة أيضًا في قنوات الدش الكثيرة للغاية..

نحن لا نعيب على الشيوخ حماسهم في محاربة دش القرى والمقاهي.. نعتب فقط على الطريقة التي ينظرون من خلالها لكل الأجهزة الإلكترونية ووسائل الاتصال الحديثة على أنها آلات معطلة وتبعد عباد الله عن خالقهم.. وتنتب في قلوبهم بذور الفسق، وما زلت أذكر كلمة الشيخ كشك التي توارثها كثيرون من خطباء شرائط الكاسيت وخطباء المنابر عندما قال - ووسائل الاعلام التي لا يعلم بنواياها إلا الله تعمل ليل نهار على محاربة دين الله - هذه العقدة ما زلت متمكنة من فكر الشيوخ لدينا.. فكل ما يقدمه التلفزيون والسينما والمسرح حرام.. ولا نقاش بعد ذلك في هذا الحكم الإلهي..

لكننا نستأنف الحكم أولاً لأنه ليس حكماً إلهياً.. فهو حكم بشر خاضع لتوجهات معينة.. فوسائل الاعلام - بما تقدمه- ليست شراً كلها ففيها خير كثير لكن الشيوخ لا يرون سوى المسالب.. لأن السلبيات هي التي سيبنون عليها مواضعهم وسيدفعون من خلالها في وجوه الناس بعذاب الله وعقابه.

مع أن الشيوخ يمكن أن يختصروا حيرتهم وتعذيبهم للناس ويخرجوا برأي يقول الكثيرون من علماء الدين المستتيرين ويعزز ذلك العقل.. الذي ألقاه كثيرون من الشيوخ في أقرب صندوق قابلهم بعد أن صعدوا المنابر.. فالتلفزيون أو الدش أو السينما أو السرح كلها أدوات تقدم ما يرضي الله وتقدم أيضاً ما يغضبه.. والإنسان العاقل يمكن أن يختار.. وتنتهي المسألة ببساطة.. لأنها بسيطة بالفعل ولا تحتاج إلى تعقيد.. ويمكن أن تنتهي القضية بدون فلسفة أو تهويمات على هوامشها، وبدون الدخول إلى معترك التخطيط للقضاء على الإسلام وطعنه في مقتل، وكأن الدنيا كلها لا هم لها ليل نهار إلا مهمة الإجهاز على الإسلام وقصه من جنوره وإلقائه في أعماق المحيط حتى يغرق

تمامًا ولا يبقى له أي أثر، ولا هم لشيوخ المساجد سوى تأكيد ذلك والتدليل عليه والبكاء على أبوابه.. وعليه لا يكون الحديث إلا عن استنهاض المسلمين من أجل المواجهة الكبرى التي ولا بد أنها ستأتي..

ولا أدري من أين يقتحمني هذا الإحساس القوي بأن هؤلاء الشيوخ بمنطقهم ومعالجتهم للأمور من أخطر الكوارث التي منيت بها الدعوة الإسلامية وحتى نخفف من حدة تشاؤمنا من واقع الدعاة.. نعرض رأي الشيخ محمد الغزالي في المستوى والشكل المطلوب للداعية..

قال الرجل...

لا يستطيع أن يدعو إلى الإسلام رجل ضيق الأفق أو ضحل الثقافة.. لأن طبيعة الإسلام أنه كتاب.. القرآن الكريم الوثيقة البلاغية الأولى في التراث العربي كله.. ومعرفة هذا الكتاب تحتاج إلى أديب ذواق للفن وتحتاج إلى فقيه له قدرة في فهم القانون وإدراك التشريع وأسراره وحكمه.. لا بد أن يكون محيطاً بالعلوم الإنسانية من علم النفس.. علم الاجتماع.. علم الأخلاق.. علم الاقتصاد.. علم التاريخ والجغرافيا.. بل لا بد أن يكون محيطاً بعلوم الفيزياء

والنبات والحيوان والفلك.. القرآن وهو أساس الرسالة الإسلامية والشريعة الإسلامية كتاب كون متكامل فلا يصلح أبداً في ميدان الدعوة رجل مستواه هابط في المجال الأدبي أو في المجال العلمي أو في المجال الإنساني، وأنا أرى لاختيار الدعاة أنه يجب أولاً أن يكونوا من معادن إنسانية نفيسة، كما أرى أن يزودوا بأشتات من المعرفة لا حصر لها حتى يستطيعوا أن يعرفوا كيف يخدمون دينهم وكيف يبلغون رسالتهم خصوصاً في عصر وصفته أنا بأنه تبرجت فيه المبادئ والفلسفات، وعرضت نفسها بطريقة فتانة ومغرية، فإذا كان من يعرض الحق عاجزاً أو قاصراً بينما من يعرض الباطل فيه قوة وزلافة لسان ولباقة فإن الباطل سينتصر.. وقد قلت مرة إن الإسلام قضية عادلة وقعت بين أيدي محامين فاشلين، فلذلك ضاعت بسبب هذا التفاوت بين طبيعة الرسالة ووزنها وبين الذين تصدوا لحملها.

صدق الرجل في كلماته.. وفي توصيفه الدقيق للدعاة كما يجب أن يكونوا...!! لكن وللحسرة لو مرَّ شيخنا الغزالي على مساجد مصر الآن واستمع لخطبة واحدة من خطب الشيخ سمير (وهو هنا مثال فقط) لفرَّ هارباً من سذاجة

الموعظة وسطحية الواعظ، فليس من هذه الصفات شيء يتوفر في شيوخ المنابر.. فهم يفكون الخط بصعوبة بالغة.. ولم يتخلصوا من أغلال قصص كتب التراث بما فيها من ابتعاد عن روح الإسلام..

الأكثر أسفاً أن شيوخنا الأفاضل يحتكرون كل الشعور بالخوف على الدعوة الإسلامية ويتبعون في ذلك كل الأساليب التي يحسبون أنها تمكنهم من الحفاظ عليها.. وإن كانوا في الوقت نفسه لا يشعرون بجسامة ما يفعلونه بالناس والأثر نتبعه من هذا الموقف الذي تعرض له الكاتب والمفكر الكبير محمد عودة.. فقد اعتاد الرجل على أداء صلاة الجمعة في مسجد جمال عبد الناصر الكائن بحداثق القبة.. لكنه أصيب بالدهشة من إصرار خطيب المسجد على إتحاق الناس بقصص عذاب القبر وهول النار.. زبانية جهنم الذين لا يكفون ليل نهار عن تحطيم عظام عباد الله.. الجلود التي تذوب وكلما ذابت نضجت غيرها لتذوب مرة أخرى.. ويقول الخطيب هذه الكلمات بحماس يشعر الحضور بصهد جهنم ولهيها.. أصرّ الخطيب على مواعظه الجهنمية نسبة إلى جهنم وأصرّ محمد عودة على الانسحاب بأمان الله..

يجلس كل جمعة يستمع إلى خطبة الجمعة من التليفزيون..
يصبر على مللها خيراً عنده من التعذيب الذي يمارسه عليه
خطيب مسجد جمال عبد الناصر كل جمعة.

هذا الموقف ليس خاصاً.. ولكنه يتكرر لأن أسلوب
الدعوة خاطئ فحماس الشيخ سمير ودفاعه المستميت عن
قلعة الإسلام التي يهاجمها المواطنون الدشيون.. وإنذاره
وتحذيره من عاقبة مشاهدة الإفلام الجنسية لم تمنع الناس من
مواصلة مشاهدة الدش على الفاضي والمليان.. فالرجل كانت
كلماته فارغة.. لذا لم يلتفت إليها أحد ولم يهتم به فلاح بسيط
جلس ليشاهد بحسن نية يؤرقه إحساس بالذنب.. لكن هذا
الإحساس لا يقوده مطلقاً إلى أبواب جهنم التي يأكل بعضها
بعضاً وترفع صوتها لخالقها في استمتاع غريب.. هل من
مزيد؟!

قرأت قصة لمحمد عبد القدوس بعنوان سيدنا الشيخ في
المقهى.. فكرتها أن شيخ المسجد عندما وجد انصراف الناس
عنه وعن موعظته وعن المسجد كله.. ذهب إليهم في المقهى
وحدثهم في مشاكلهم وهمومهم.. تقاسمها معهم، استمع إليهم
في إنصات.. وجعل نفسه واحداً منهم.. لم يتعال عليهم..

فاستمعوا إليه في إخلاص.. وما هي إلا أيام حتى انتقلت
جلسة المقهى إلى المسجد الذي جاعوه راغبين وليسوا
مرغمين بسياط كلمات الشيخ وسهام زبانية جهنم.

بمثل هذا الأسلوب يمكن أن ينصلح الحال بعض
الشيء.. لكن أن يدعي بعض الدعاة أنهم حريصون على
الدعوة وحدهم.. فهذا ليس مقبولاً.. وعفواً يا شيخ سمير
فأست وحدك حبيبها.

١٢

شيوخ مصر

من نفاق الحاكم إلى نفاق الله

وجوه ملامح من حياة شيوخ مصر في التسعينيات

كأس د. عبد الصبور

كان المشهد داميًا للغاية، باحث جامعي جاد تحكم المحكمة بتفريقه عن زوجته يهدر دمه ويباح ويضطر في النهاية أن يترك البلاد كلها.. يحمل همومه وأحلامه ويرحل ولا ينسى كتبه وأبحاثه.. بل يحمل فيضًا ضخماً من الغضب والحزن على حال هذا الوطن الذي يصمت وصغاره الطيبون يرمون بالحجارة، خرج نصر أبو زيد وبقي د. عبد الصبور شاهين ضخماً وشامخاً بكلمات جوفاء وشعارات لا تكلفه سوى ثمن الحبر الذي يكتبها به، رفض الموافقة على ترقية د. نصر أبو زيد إلى درجة أستاذ، وجرجه إلى الطرقات خارج الجامعة ينصب له المشانق على صفحات الصحف التي لا يعرف قراؤها شيئاً عن الخلاف الضارب بجذوره بين شاهين ونصر، وكل ما عرفوه أن نصر كافر وزنديق وخارج عن الملة والدين، سب القرآن وسب الرسول واعتدى على الصحابة ولذا عندما عرف الناس أن نصر هجر البلد بعد حكم التفريق بيه وبين زوجته

لم يغضب أحد ولم يعترض ولم يقل أحد.. والله حرام
يا جماعة.. فالأمور لا تعالج هكذا.

وبعد أن اختفى كل أثر لنصر أبو زيد وانقطعت
أخباره إلا عن بعض أصدقائه. جاء د. عبد الصبور ليحتل
نفس المكان الذي يقف فيه نصر أبو زيد منذ أقل من أربع
سنوات.. المكان الذي تُصوّب نحوه كل الاتهامات بالتكفير
والخروج عن الملة وأخيراً المطالبة بالتفريق بينه وبين
زوجته، الاتهامات هذه المرة صوّبها شيخ مشايخ الحسبة
وحامل راية التكفير والمفكرين في مصر الشيخ
يوسف البدرى الذي خاض معركة طاحنة إلى جوار
د. عبد الصبور لإخراج نصر أبو زيد من مصر.

قائمة الاتهامات التي حملها البدرى في يده كانت
كالتالى.. الكفر، والارتداد عن الدين، وادعاء النبوة..
يا قوة الله كل هذه الاتهامات ضد شيخ وعالم أزهرى ينظر
له العامة في مصر بكل إعزاز وإكبار، وكان مقصد الكثيرين
من الشباب الذين كانوا يستمعون له باستسلام عندما كان
خطيباً لمسجد عمرو بن العاص.

نعم والسبب كان كتابه "أبي آدم" أحدث كتب الشيخ الدكتور الذي لا يكف عن التأليف والكلام، الكتاب يناقش قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة ويمكننا أن نرصد أهم أفكار الكتاب التي زلزلت الأرض تحت أقدام الرجل.. بدون ثرثرة أو استعراض..

- يؤكد الشيخ عبد الصبور أن آدم لم يكن أول المخلوقات على الأرض ولكن كانت هناك مخلوقات قبله.

- ليس صحيحاً أن البشر هم بنو آدم.. فقد حدث خلط بينهم في حين أن الواقع يقول إن الإنسان بني آدم مخلوق جاء بعد البشر.

هناك عملية تسوية تمت لهذا الجنس وهو البشر حولته إلى إنسان وهذه العملية هي نفخة الروح التي تحول بها البشر إلى إنسان وتم تكليفه بالاستخلاف في الأرض والتكاليف المختلفة.

- لا أصل لما قيل عن العورة التي ظهرت لأدم وحواء بعد استجابتهما لغواية الشيطان ولكن المقصود بالسوءة في الآية الكريمة شيء آخر غير العورة.

• الجنة التي كان موجودًا بها آدم مع زوجته حواء ليست في السماء وإنما في الأرض، فجنة السماء هي جنة الخلد ومن يدخلها لا يخرج منها أبدًا.

هذه الأفكار ليست جديدة، ولكنها متناثرة في كتب التراث وكانت في أوقات كثيرة محل جدل وخلاف بين الفقهاء، وكل يقدم على ما يرى دليلاً، هذه المرة اختار د. عبد الصبور أن يصدر آراءه ويرفض بعد ذلك أي حديث عنها، فهي الصواب المطلق وقد قال إن كل الأفكار التي وردت في كتابه صحيحة وأنه مقتنع بها تمامًا. ولن يتراجع عن أي كلمة منها، فما يكتبه ليس شيئاً تافهاً ولا سطحياً، خاصة وهو يعزز كل رأي يقوله بعشرات الآيات القرآنية التي تؤكد صحة ما ذهب إليه.

لم يكتف د. عبد الصبور بذلك ولكنه فتح النافذة على آخرها ليواجه من خلالها منتقديه وعلى رأسهم الشيخ البدري فهو يؤكد أنه لا يعرفه ولم يقابله مرة واحدة في حياته، ولم يكونا زميلي دراسة ولا حتى زميلي عمل، وكل ما يعرفه د. شاهين أن المدعو يوسف البدري ما هو إلا شيخ يسعى وراء الشهرة والإعلام ولذا حشر نفسه في قضية

نصر أبو زيد بهدف التواجد إعلامياً وفسر د. شاهين ذلك معلقاً «ماذا تريدون من رجل ينعتونه بأنه محتسب مصر سخريّة وتقليلاً من شأنه واستهانة بكلامه».

كعادته دائماً يقف صلباً لا يرى سوى نفسه، ولا يؤمن إلا بها، يستهين بكل الاتهامات التي توجه إليه، ويقلل من وصول الأمر إلى القضاء الذي يمكن جداً أن يقتنع بوجهة نظر يوسف البدري ويحكم بالتفريق بين د. عبد الصبور وزوجته ويؤكد أنه لا يهتم بكل ما يقال عنه، فكل ما يشغله كتبه وأبحاثه.. لكن هل شعر د. عبد الصبور الآن بالمأساة التي سببها لنصر أبو زيد؟ هل عرف معنى أن يحبس أحد أنفاسه وإذا خرجت فهو يعدها عليه، هل علم خطورة هذه اللعبة التي كان لا يكف عنها بصبيانية شديدة وهي تكفير المثقفين آناء الليل ولعنهم أطراف النار.. نظن أن الكأس وصلت إلى فم الرجل متأخرة.. لكنها وصلت.. وعليه أن يتجرعها وحده.. وكاملة.

ولأنه من قلة الأدب أن نختم كلاماً عن د. عبد الصبور بسيرة الكأس، فإننا نثبت تقرير الأزهر الذي حسم الخلاف والمعركة لصالح د. عبد الصبور.. وهو على

فكرة نفس الأزهر بشيخه ومجمع بحوثه الذين أهالوا التراب على نصر أبو زيد والذين معه.. وهذه سطور التقرير..

"الكتاب في الحقيقة صورة من صور التأويل لبعض آيات القرآن والأحاديث، صحيح أنه أبعد في التأويل واستخدمه استخدامًا واسعًا لكنه للحقيقة لم ينكر عقيدة إسلامية ولم يخالف القرآن الكريم والسنة، والذين هاجموا الكتاب لم يتعمقوا في أغوار التأويل التي خاضها المؤلف، وفي بعض الكتاب بعض السلبيات التي تؤخذ على د. عبد الصبور.. لكنها لا تصل إلى حد التكفير والمصادرة ولكنها تحتاج إلى الردود والمناقشة".

وصلنا إلى - الرد والمناقشة - هكذا بمنتهى البساطة يعرض الأزهر المناقشة والحوار على د. عبد الصبور ويرفضها بالنسبة للآخرين.. وعندما تسأل عن ذلك تجد دائمًا ما يبررون به تصرفاتهم.. أليسوا الأوصياء على الدين.. أصحابه والقائمين على شئونه.. يدخلون من يشاءون الجنة.. ويقذفون بمن يريدون في النار.. وحسبي الله ونعم الوكيل..

صراخ مولانا المفتي

سطر واحد.. مجرد سطر واحد بسيط في صحيفة يومية لخصّ رأي دار الإفتاء التي يقف على رأسها د. نصر فريد واصل حيث يقول: "وقد قالت دار الإفتاء بأن مسابقات ملكة الجمال حرام" وطبعًا ستقابل هذه المعلومة بابتسامة ساخرة تعبّر عن المرارة التي تحتبس في داخلك فمسابقات ملكة الجمال والشكل الذي تتم به، كم العري الذي تتميز به، ذلك كله ليس في حاجة لأن تهز دار الإفتاء نفسها وتقلق راحتها وتصرح في غضب بأنها حرام.. لأن أبسط رجل حتى لو كان لا يمتلك أي نوع من الثقافة سيعرف أنها حرام وبالثلثة.

هذا مثال فقط لمسلك المفتي د. نصر فريد واصل في كل القضايا التي يتناولها.. كثير من الصراخ.. قليل من العقل، وفي النهاية لا يتعدى الأمر كونه بالونة هواء يضيع هواؤها هباءً منثورًا...!! لدرجة أننا وبمنتهى الاطمئنان يمكن أن نقول إن الرجل في - حلاله وحرامه - لا يتحدث إلا بمنطق مغلوط.. ففي الوقت الذي حرّم فيه مسابقات

ملكات الجمال - مع أنها تمت واستقرت كمسابقة سنوية في مصر - فإنه رفض وبقوة وعنف مشروع قانون ضريبة الملاهي أثناء مناقشته في لجنة الثقافة بمجلس الشعب، رفض المفتي جاء في رسالة أرسل بها إلى اللجنة.. قال في رسالته: "الملاهي الليلية حرام وعليه ففرض رسوم على سباق السيارات والقوارب وأماكن صيد الحمام وأماكن القمار وحفلات الديسكو والرقص حرام أيضًا.. وهذا على أساس قاعدة أن كل ما يلهي الإنسان عن عبادة الله حرام".

حتى محاولات وزير المالية بإقناع مستشار دار الإفتاء بأن إلغاء هذه الرسوم خسارة فادحة حيث إن الحكومة كانت ستستخدمها في إقامة مشروعات المياه والصرف الصحي ورصف الطرق في المناطق المحرومة، وحتى اعتراضات بعض أعضاء اللجنة الذين رأوا أنه من الممكن فرض هذه الرسوم على أساس قاعدة أن الضرورات تبيح المحظورات لكن دار الإفتاء تمسكت برأيها، وصدرت في وجه أعضاء اللجنة وكل من له رأي مخالف القاعدة الشرعية التي تقول "ما جاء من حرام فهو حرام" وعلى ذلك يجب أن يلتزم

الجميع الصمت، فالمسألة دخلت في الحرام.. والحرام لا يختلف أحد عليه.

من هذا العرض للنموذجين يبدو أن المفتي على حق تماماً فيما ذهب إليه، وهو يؤدي دوره تماماً يحل ويحرم على أساس ديني لا يقبل الشك، ولا مجال لمساءلة المفتي أو حتى فتح حوار طويل أو قصير معه، لكن هذا في الظاهر فقط، ما قاله المفتي يدفعنا إلى سؤال المفتي سؤالاً واحداً.. هل عندما يعترض المفتي على تحصيل ضريبة الملاهي هل ستغلق الملاهي أبوابها.. وهل ستتوقف مسابقات السيارات والقوارب وأماكن صيد الحمام وأماكن القمار وحفلات الديسكو والرقص؟!!

هل سيستجيب أصحاب هذه الأماكن فوراً ويلقون أعمالهم لأنها حرام ويذهبون لدار الإفتاء ليعلنوا توبتهم أمامه وبين يديه؟!!

شيء من هذا لن يحدث على الإطلاق فأصحاب هذه الأماكن لا يهمهم حلال أم حرام، لا يفكرون أصلاً في شرعية ما يفعلون، فما دام هناك مكسب وفلوس فكل شيء يهون، وإذا جاء من يحمل على رأسه عمامة وفتح لهم

محاضرة دينية سيجد عندهم إجابة وافية ودليلاً كافياً على أنهم بتّوع ربنا، فهم يخرجون زكاة أموالهم ويتصدقون بمبالغ طائلة ويدفعون الضرائب المفروضة عليهم ولا يتهربون إطلاقاً، ولا مانع أن يقولوا إنهم يقيمون موائد الرحمن في رمضان.. وعليه فهم أهل خير وبر ولا بد أن الله يرضى عنهم.

فهم يراعونه وإن كان على أعمالهم التي يرى المفتي أنها حرام.. فيا سيدي ربك رب قلوب.. وما دامت القلوب بيضاء.. فمفيش خوف!!

المفتي عليه إذن أن يتحدث بواقعية.. أن يتصدى لوجوه الخطأ بشكل إيجابي وفعال ونظن أن لديه القوة والنفوذ الذي يمكنه من الاستعانة بأجهزة الدولة.. فهي في النهاية دولة واحدة.. أن يحقق ما يريد، فليس كافياً أن يقول المفتي مثلاً إن مسابقة ملكة الجمال حرام، إحنا عارفين يا فضيلة الشيخ، لكن كان من المفروض والمفتي يعرف بموعد المسابقة قبلها بأيام لأنه بالتأكيد قرأ الصحف التي شنت حملة هائلة على إجراء هذه المسابقة في مصر أن يتدخل وكان سيقف الجميع بجواره.. لكنه اكتفى فقط بالكلمات.. بدلاً من

أن يعمل وبذلك تصبح فتاواه غير ذات فعالية وتأثير، لكن حرام أن يظل المفتي يتحدث ويفتي ويظهر في التلفزيون ويضيع كلامه في الهواء بلا أدنى فائدة.. وكأنك يا أبو زيد ما غزيت ولا انتصرت ولا أفتيت.

لا نتدخل نهائياً في عمل المفتي، ولا نفرض وصاية عليه لأننا نرفض الوصاية من الأساس لكن طريقة عمل الرجل لا تسر أحداً، فهو ومنذ هبط على دار الإفتاء من حيث لا يدري أحد وهو يدير أمر الإفتاء في مصر بشكل عصبي ومستفز، ولا أحد ينسى فتواه بإعدام الأولاد الصغار الذين اتهموهم بعبادة الشيطان، وفتواه بأن المرأة لا تصلح للمناصب القيادية التي بسببها جرحته النساء في الندوات والتحقيقات الصحفية ورفعوا في وجهه فتوى شيخ الأزهر التي تؤكد أن المرأة تصلح للمناصب القيادية، وظهر الأمر وكأن شيخ الأزهر يريد أن يقول للناس هذا حجم المفتي الذي جاء بعدي، فالكرسي كبير عليه، وسيظل ولفترة طويلة جداً يتعثر في خطواته وهو ما حدث فعلاً.

هل يعيد المفتي إذن حساباته، هل يصبح أكثر هدوءاً وزرانة، لماذا لا يقتنع بأن هناك آراء أخرى يمكن أن نأخذ

بها- ليس ذلك في معركته مع ضريبة الملاهي ومسابقة ملكات الجمال فهذا مثال فقط - ولكن في كل معاركه..

ففي معركته مع جمال البنا الذي يطالب بفقته جديد قال المفتي وبمنتهى راحة الضمير "إن ما يقوله هذا الرجل كلام فارغ" ولاحظ أنه يتحدث عن كلام عالم مجتهد وحتى لو أخطأ "قله عند الله أجر" .. وفي مسألة ضريبة الملاهي لماذا لم يسمع المفتي.. فهذه الأموال الطائلة التي ستأخذها الدولة ستفققها على الفقراء والمساكين، وستقيم بها مشروعات الناس تحتاجها بالفعل، المفتي رمى كل ذلك من عقله وضميره وتحدث إلى لجنة مجلس الشعب من فوق وكأنه يملي عليهم أوامره التي يجب أن ينفذوها، وعندما يقولون له إن "الضرورات تبيح المحظورات" يقول لهم عندكم "ما جاء من حرام فهو حرام" ويمضي المفتي يكمل حياته بشكل طبيعي، لا يلوي على شيء ولا يهتم بأحد، وهذا عيب خطير من عيوب فضيلة المفتي التي نتمنى أن يخلعها عن كاهله؛ لأننا نريد مفتيًا يفكر في الناس وما يحتاجون قبل أن يطلق عليهم الفتاوى القاسية التي تقلب حياتهم إلى جحيم.. ما قاله المفتي صحيح ولا نستطيع أن نحلل ما حرم الله.. ولا نطالبه أن

يفعل ذلك.. لكن تحرك يا فضيلة المفتي قبل أن ينصرف
عناك الناس وتصبح مفتيًا لديار مصرية لا يسكنها أحد.

صلاة وزير الأوقاف

بعد أن خرج الشيخ الدكتور عبد الصبور شاهين من جامع عمر بن العاص بقرار وزير الأوقاف د. حمدي زقزوق، وأصبح الرجل بعيداً عن منبره الذي كان من خلاله يصول ويجول، يكفر من يشاء، ويهب البركة من يشاء، أصبح كالأسد الجريح وبدلاً من محاولته العودة، بدأ في تشويه صورة خطباء المساجد المشوهة أصلاً قال في حوار معه "إنه يهدي حادثة مهمة لضمير وزير الأوقاف فقد ذهب لصلاة الجمعة في أحد المساجد القريبة من بيته، وفوجيء أن شيخ المسجد وهو يقرأ الفاتحة في الصلاة أخطأ في قراءتها مرتين!!" وزير الأوقاف بدوره لم يصمت.. ولكنه قال مخاطباً أيضاً ضمير د. عبد الصبور شاهين.. - فقد كان حديث ضمائر على ما يبدو - يا د. من الصواب أن تذكر لنا عنوان هذا المسجد واسم هذا الخطيب حتى نصل إليه ونصوّب الخطأ إذا كان هناك خطأ.

د. عبد الصبور لم يخطئ كثيراً.. ود. زقزوق لم يكن على صواب بدرجة كافية، ومن هذا الموقف نبدأ في تقرير

الواقع وطرح الأسئلة، فما ذهب إليه د. عبد الصبور قليل من كثير، فأوضاع خطباء مصر لا تسر عدواً ولا حبيباً وأي تلميذ في إعدادي يستطيع أن يضع يده وبمنتهى السهولة على عيوب وأخطاء أئمة المساجد، فهم لا يجيدون حفظ القرآن جيداً وبعضهم لا يحفظ سوى مجموعة صغيرة من السور التي يصلي بها في الصلاة الجهرية، بدليل أن أي إمام في أي مسجد في القاهرة أو الإسكندرية أو أسوان وقل ما شئت من بلاد الله يقرأ سوراً بعينها ولا يتعدها وعندما يسألون عن ذلك يقولون إنهم يحفظون هذه السور جيداً وهم يكررونها دون غيرها حتى لا تكثر أخطاؤهم.

لن نتحدث بالطبع عن إجادة اللغة العربية، حيث إننا نفضل أن يتحدثوا مع الناس بلغتهم بدون تقعر أو إصرار على الخطابة بلغة عربية مشكلة، لسبب بسيط أننا لم نجد أحداً يجيد اللغة العربية فلا مرفوع ولا منصوب ولا مكسور، لكن نتحدث عن الموضوعات التي يتعاطاها الخطباء، فهي لا تخرج عن كونها موضوعات تراثية خرجت من كتب مينة ترتكن إلى حكايات وقصص لا يصدقها عقل، ولو أراد وزير الأوقاف لسردنا مئات من القصص التي تخلو من العقل

أو المنطق والتي تلقي بالرعب في قلوب المسلمين الضعفاء الذين ذهبوا للصلاة طلباً لرضا الله وطمعاً في جنته، لكنهم يجدون خطيباً يحكي لهم أساطير عن أهوال وعذابات الكافر التي تكون ضروره الضرس الواحد منها يكون مثل جبل أحد، ويده تبلغ كذا ذراع، وقدمه تصل إلى كذا ذراع، الخطباء يتحدثون أيضاً عن الجنة، لكنها جنة على هواهم، -كما يتخيلونها هم - أكل وشرب وجنس ونساء، ثم هم في النهاية لا يتحدثون مطلقاً عن قضايا الناس ومشاكلهم، يتحدثون وهم في معزل تام عن هموم الناس؛ بما يشعر المسلمون أنهم محاصرون بكلام ناس عاشوا قبلهم بآلاف السنين.

وهنا نعيد ما طرح قبل ذلك آلاف المرات حيث ما حقيقة سيطرة وزارة الأوقاف على الموضوعات التي يعالجها خطباء المساجد؟ فإذا كانت الوزارة تقرض موضوعات بعينها على خطباء المساجد، ويكون هذا حال الخطب فإن المصيبة تكون كبيرة، وإذا كانت الوزارة بعيدة عن خطب الجمعة فإن المصيبة تكون أكبر، فالمفروض أن تكون خطب الجمعة بالذات معبرة عن منظومة واحدة،

تعبّر عن اهتمامات الناس في الشوارع والبيوت، فليس معقولاً أن الناس يتعرضون لغزو قنوات فضائية وصحف صفراء من عينة النبأ والمواجهة ووزير الأوقاف ذاق نار هذه الصحف، ويتعرضون كذلك لنظام عالمي قادم بسطوته وجبروته، ومع كل ذلك يظل خطباء المساجد يرددون قصصاً وحكايات عن الرزق الذي يأتي بلا عمل والجنة التي يدخلها الناس لمجرد نطقهم بالشهادة وحتى التاريخ الذي يسردونه من أجل العظة والعبرة لكنهم يسردونه بشكل بارد وفاتر وجالب للنعاس.

أين إذن وزير الأوقاف؟ الناس في بر مصر لا يعرفون من مهام وزير الأوقاف سوى أنه مسئول عن خطباء المساجد.. نحن لا ننكر مهامه الأخرى وإن كنا مثل الناس نرى أن هذه المهمة هي الأسمى والأهم والأبقى أيضاً، ولذا سنقترح على وزير الأوقاف اقتراحاً قد يكون مجنوناً بعض الشيء ليس مجنوناً بالنسبة لنا بالطبع، ولكنه سيكون مجنوناً بالنسبة لوزير الأوقاف والذين حوله، فلماذا لا يخرج وزير الأوقاف في جولة يطوف فيها كل مساجد مصر، يستمع خطبة الجمعة في كل منها، ويحكم بنفسه على

ما يحدث؟! يحضر بدون حاشيته ولا استعدادات خاصة ولا تمهيدات وبعدها يقرر وبنفسه أيضاً ما الذي يجب أن يفعله مع أئمة وشيوخ مساجدنا الطيبين.

قد يرفض وزير الأوقاف هذا الاقتراح على أساس أن هناك جيشاً من المفتشين التابعين لوزير الأوقاف يقومون بنفس المهمة، فهم يتابعون شيوخ المساجد ويسمعون خطبهم ويقدمون عنها تقارير توضح وتشرح واقع الخطب المنبرية، لكننا نرفض هذا التعليل؛ لأن مفتشي وزارة الأوقاف يقومون بعملهم هذا- كما يفعل خطباء المساجد أيضاً - بعناية الموظفين الذين لا يشغلهم في النهاية سوى الحصول على راتبهم مشفوعاً بالحوافز والبدلات وكل مفتش ينظر إلى خطيب المسجد في النهاية على أنه صاحب بيت وعيال ولو وجده مقصراً يكتفي بأن يلفت نظره فقط دون توقيع عقاب يردعه.. وحتى لو عاقبه.. فما العقاب سوى خصم بعض الأيام من راتبه.

لا نطالب بإغفال عين الرحمة.. لكن لا بد من وقفة، ولا بد أن يعرف خطباء المساجد ومفتشو الأوقاف أن الخطابة ليست عملاً وظيفياً ولكنها رسالة، ربما يسخر

وزير الأوقاف من هذا الاقتراح، ويمكن أن يراه ساذجًا حيث لديه مهام وأشغال أخرى والتزامات وزارية كثيرة، لكن ما رأي وزير الأوقاف لو يفعل ذلك على سبيل التجربة والتجديد، فلن يخسر شيئاً إذا صلى الجمعة كل أسبوع في مسجد مختلف؟ على الأقل يشعر به الناس ولا يقتصر شعورهم به على ظهوره في الصلوات الرسمية إلى جانب الرئيس وزملائه من الوزراء.. فعقيدة الناس مسئوليته.. ونعتقد أنه بذكائه ورجاحة عقله يدرك معنى ذلك جيداً..

ملاحظة مهمة جداً.. هذا الاقتراح لوزير الأوقاف د. حمدي زقزوق ولكل وزراء الأوقاف الذين سيأتون من بعده.

الغزالي.. وكل هذا الحب

من أروع الصور وأهمها على ما أظن في صفحات صحفنا المصرية والعربية.. تلك الصورة التي نشرتها مجلة عربية ضمن حوار طويل لها مع الشيخ محمد الغزالي كانت الصورة ببساطه هكذا.. الشيخ يجلس مسترخياً على كرسي في حجرة الصالون.. وبالقرب منه يجلس ابنه الأكبر إلى بيانو يعزف بعض المقطوعات الموسيقية.. ارتسمت على وجه الابن ملامح الاندماج الكامل في غرفة الموسيقى.. وعلى قسماط وجه الأب الشيخ علامات رضا وتفاعل كامل مع النغمات المناسبة.. أترك لك الصورة جانباً كي تتأملها على مهل وتستخرج منها كل المعاني والدلالات التي تريدها..

وأدخل إلى الشيخ محمد الغزالي من الباب الصحيح وأفتح ذلك الباب بالمفتاح الصحيح، فالشيخ محمد الغزالي في حياته.. مؤلفاته.. خطبه.. أسفاره.. حواراته الصحفية... آرائه.. أفكاره.. لقاءاته التلفزيونية.. ندواته.. مؤتمراته.. فتاواه.. مناقشاته.. في كل ذلك ينطبق توصيف واحد على

الشيخ وهو المحب الأعظم للحياة.. يُسخر كل من يعرف من أجل أن تكون حياة الإنسان أكثر راحة في ظل الإله الكبير.. لا تشدد.. لا تعنت.. لا جمود.. وعندما يدخل في معركة تجده منحاذاً دائماً للحياة.. ينتصر لها ويقذف خصومها بكلمات حادة لا يراعي معهم صحة ولا قرابة.. والآراء والمواقف وحدها تحكم..

يقول الشيخ.. نحن نخطئ لأننا بشر.. وقصة البشرية خطأ وتوبة.. فأنا لا أستبعد الخطأ على الفطرة البشرية.. ولا أستغرب أن يخطئ الناس ولذلك إذا عالجت الخطأ فيجب أن أعالجه كطبيب يعالج أمراضاً متوطنة والقسوة في معالجة الخطأ خطيئة.

ويقول.. أرفض أن تكون الفتوى قاصرة أو مأخوذة من بعض الذين لا يعرفون من الإسلام إلا مذهباً واحداً أو رأياً محدداً، فإن فقه الإسلام بحر متلاطم الأمواج ونستطيع أن نأخذ منه ما يناسب عصرنا الآن وما يكون فعلاً أرحم بالناس.

ويقول.. عندما يغني محمد عبد الوهاب "أخي جاوز الظالمون المدى" أهلاً به وسهلاً.. إنما أرفض أن يغني

"لينا خمر" وأم كلثوم عندما تغني "إذا زرت بعد البيت قبر محمد وقلت مثوى الأعظم العطرات" هذا غناء حسن.. ولكن أرفض أغنية "القبلة القبلة القبلة".

ويقول.. "الخلاف لا عيب فيه.. إنما العيب في أن أكون متعصبًا لوجهة نظري بحماس وأهاجم الآخرين لأن وجهة نظرهم تخالف وجهة نظري".

ويقول.. "أقاوم الباطل بالحق.. بالدليل.. وهذا هو ديني يقول هاتوا برهانكم.. والإسلام دين لا يعرف الإكراه ولا الجبروت، الإسلام يقول لا إكراه في الدين".

ويقول: "الإسلام وأنا أحد المتحدثين عنه دين مظلوم لأن عرضه اتخذ وسائل منفرة خسر منه بسببها عددًا من العقلاء وأصحاب الأمزجة المعتدلة وأصحاب الفكر الذي يُرجى خيره، وأنا أكره أن يعرض الإسلام بطريقة منفرة، فإن نبي الإسلام كان قمة في شمائله، وقد عرف العصر الحديث أن المعجزة الأولى له هي قدرته على التعبير وأن الأداة التي استعملها في هذا التعبير كانت تفجير الطاقة الإنسانية في الإنسان أو إنارة الإنسان من داخله واستكشاف

الخصائص والمواهب التي زوّده الله بها كي تؤدي عملها في هذا الكون".

ويقول...

ويقول...

ويقول...

ويمكن أن تحصر أقوالاً كثيرة للشيخ الغزالي عن المرأة ودورها في المجتمع.. والفن وأهميته في حياة الناس.. أحاديث الرسول التي يتعامل معها بمنتهى الجرأة وهو يرفض بعضها لأنها لا تتفق لا مع القرآن ولا مع العقل.. ويعلن ذلك في صراحة، لا يبالي بغضب الغاضبين إذا أنكروا عليه ما قاله.. فهو يقول كلمته ويمضي.. واضعاً أمام عينيه هدفاً واحداً وهو خدمة الإسلام والإعلاء من شأنه وعندما اتهمته بعض الجماعات الإسلامية بالكفر والخروج عن الدين لم يلتفت إليهم كثيراً، ولم يعلق على كلامهم بأكثر من ابتسامة ساخرة تهيل أكوام التراب على أفكارهم وآرائهم وكلماتهم.. التي كبرت تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذباً..

ورغم أننا - وباستمرار - نحتاج لأمثال الشيخ الغزالي العالم والخطيب، الكاتب والفقير، العالم المحب للحياة الذي يبحث عن وسائل إراحة المسلمين ويحاول أن يقدمها لهم، لكننا أهدرنا قيمته.. وعندما مات الشيخ الغزالي بدأت دور النشر تعيد طبع كتبه في طبعات فاخرة، وتتوه عنها بإعلانات من قبيل "آخر ما كتب الشيخ الغزالي، أو جمع أشعاره وإصدارها في كتاب لتخرج بعد ذلك عن هذا الشعر الدراسات والكتابات النقدية.. فالرجل - وإن لم يكن ذلك بشكل مفزع - تحول هو الآخر إلى سبوبة يتكسب منها البعض رزقه".

أولاد الشيخ الغزالي مسئولون عن ذلك بشكل أو بآخر، لكن المسئول الأكبر عن ذلك هو صهر الشيخ الغزالي ونسيبه الصحفي والكاتب الإسلامي محمد عبد القدوس ابن الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس الذي يعيش وبشكل كامل في معظم ما يكتبه على تراث الشيخ الغزالي، فهو يستند إلى آرائه وأفكاره، ويؤكد على قوة علاقته به مع أن هذا أمر طبيعي للغاية فهو في النهاية زوج ابنته، لكن المشكلة عند محمد عبد القدوس أنه كاتب لا يتمتع بخصوصية الأفكار،

فهو غير منتج إلا لمجموعة بسيطة من الأفكار يكتبها في كل مكان يعمل فيه.. يعيدها ويزيدها والمصيبة أنه يعتقد أنه يأتي بجديد.. هذه الندرة في الأفكار تجبره أحياناً أن يكتب أشياء غريبة.

وإليك نموذج واحد.

كتب محمد عبد القدوس:

قلت لصاحبي عندي لك دعوتان دعوة في صالون إحسان عبد القدوس بمؤسسة روز اليوسف لحضور الاحتفال بذكراه مساء اليوم الاثنين، وغداً الثلاثاء أنت مدعو إلى الأوبرا لحضور ندوة عن فكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله ردّاً قائلاً: أشكرك على هذا الكرم ندوة عن أستاذ الحب وأخرى عن معلم الدين، واحدة للعواطف وأخرى للروح. قلت له في هدوء: نتحدث وكأن هناك تناقضاً بينهما ندوة في الشرق وأخرى في الغرب.

فأجابني قائلاً: هل تريد الحق أم ابن عمه.. أخشى أن تغضب مني.. كانت إجابتي.. قل ما في قلبك أعرف أنك رجل صادق، قال صاحبي: والدك رحمه الله كان كاتب المرأة أحسن من وصفها وكتب عن مشاعرها، والشيخ

محمد الغزالي عليه رحمة الله داعية إسلامي فريد من نوعه، كل منهما عملاق في مجاله لكني أرى بينهما تناقضاً شديداً، إحسان عبد القدوس يدعو إلى تحرير المرأة والشيخ الغزالي يريد لها إنسانة محافظة.

لم أغضب من حديثه فهو يتكلم بأدب وله وجهة نظر معقولة، لكنني قلت له مالا يتوقعه، هناك العديد من نقاط الاتفاق التي تجمع بين أبي والشيخ الغزالي، أخذته الدهشة وهو يقول، مش ممكن.. مستحيل، كيف يجتمع كاتب العواطف مع رجل الدين، هذا كلام عاطفي؛ لأنني أعلم أنك تحب والدك وتدافع عنه باستمرار، وتحب الشيخ الغزالي لأنه والد زوجتك، فأنت متعصب لهما وتريد أن تجمع بينهما بأي ثمن.

قلت وأنا أحاول أن أضبط أعصابي بصعوبة: المناقشة بهذه الطريقة تحولت إلى محاكمة واستجواب من جانبك، لكني لن أهرب، بل سأجيب عن كل أسئلتك، لكن أرجوك كن لطيفاً وخف عني شوية.

أجاب ضاحكاً.. كنت متأكدًا أنك ستغضب مني، لقد

قلت لك من البداية هل تريد الحق أم ابن عمه!!

قلت له مبتسمًا بعد مداعبته لي: أريد أن نتكلم بصراحة بشرط أن تعرض وجهة نظرك بطريقة لطيفة ومناسبة، يا أخي ما يجمع بينهما في مجال المرأة واسع جدًا، إحسان عبد القدوس عندما كان يدعو إلى تحرير المرأة لم يقصد أبدًا أن تمشي على حل شعرها أو أن تقسدتكون بلا ضابط ولا رابط، وكذلك الشيخ الغزالي عندما أرادها محافظة لم يقصد أن تكون خادمة عند زوجها مهمتها الطبخ والكس وإيجاب الذرية من البنين والبنات".

يشارك أبي والشيخ الغزالي في أن المرأة خلقت على قدم المساواة مع الرجل، لها ذات الحقوق والواجبات، ووظيفتها الأولى رعاية منزلها كمسئولة عن شئونه وليست أجيرة عند زوجها، وأبي وشيخي الجليل كانا مقتنعين تمامًا بحرية المرأة، يعني تختار بنفسها حياتها وطريقها في الحياة دون ضغط عليها من أهلها، ومن حقها أن تعمل ولها دور مهم جدًا في المجتمع وقلت لصاحبي سأذكر لك مفاجأة لا تتوقعها.. هل تعلم أن هناك الكثير من الصفات المشتركة التي تجمع بين أمي وزوجة شيخنا الغزالي يرحم الله الجميع.

رد وقد استولت عليه الدهشة من جديد، إنها بالفعل مفاجأة مذهلة ما الذي يجمع بين زوجة إحسان عبد القدوس وزوجة الشيخ الغزالي؟ هذا موضوع مشوّق أحب أن أستمع إليه".

أطلت عليكم بعض الشيء لكن هذه كلمات محمد عن أبيه وصهره، ونظن - والظن هنا كله حق - أن هذا النوع من الكتابة عن الشيخ الغزالي يسطح قيمته، بل ويصرف الناس عنه، فمع احترامنا الشديد لرأي محمد عبد القدوس في أبيه لكن ذوق الناس في مصر، لن يقبل بأي حال من الأحوال أن يوضع الغزالي وإحسان عبد القدوس في قفة واحدة.. والأسباب معروفة.

لست متحيزاً للشيخ الغزالي - مع عدم إنكاري لإعجابي الشديد به - ولكني أقترح فقط أن تتم الكتابة عن الرجل كفقيه وعالم دين قدم مشروعاً متكاملًا في الدعوة إلى الله.. ومع وضوح المشروع الذي تأسس على أن الإسلام دين يستطيع أن يستوعب مستجدات العصر إذا ما واصل المسلمون الاجتهاد ولم يتوقفوا عند ما أنتجه السابقون، لكن هذا المشروع ذاته يحتاج إلى مجموعة باحثين يطيلون

التأمل والبحث في إنتاج الشيخ، عسى أن تمثل هذه الإجابات إضافات إلى مشروعه يستفيد المسلمون منها.. لكن الكتابة عن الشيخ بهذا الشكل.. شيء سخيّف.. وهذا رأيي على الأقل.

عمّة مصطفى محمود

يعرفه الناس على أنه الشيخ مصطفى محمود، رغم أنه لم يقف على منبر في حياته، ولم يرتدِ الزي الأزهري مطلقاً، ولم يتقن في شكل العمّة التي يضعها على رأسه.. لكن الناس صنعوا له عمّة من أفكارهم وأرائهم فيه ووضعوها على رأسه وأشاروا إليه بمنتهى الثقة على أنه واحد من شيوخ مصر الكبار، ليس عامة الناس وحدهم من يفعلون ذلك لكن المثقفين والكتّاب أيضاً فبعد موت الشيخ الشعراوي في ١٧ يونيو ١٩٩٨ ذهب الصحفيون والكتّاب إلى كل حذب وصوب يبحثون عن الخليفة.. فمن يا ترى من بين شيوخنا الكبار يستطيع أن يملأ هذا الفراغ الذي خلفه وراءه الشيخ الكبير.. وطرحت الأسماء على طاولات البحث.. د. سيد طنطاوي، د. فريد واصل، د. عمر هاشم، د. عبد الله شحاتة.. الشيخ ياسين رشدي، لكن المفاجأة الحقيقية كانت في ظهور اسم د. مصطفى محمود ضمن القائمة.. وكشف هذا الطرح عن الخلط الشديد في عقول الناس بين الشيوخ وعلماء الدين وبين المهتمين بالدين يكتبون فيه وعنه ولدينا

منهم كثيرون، وليس شرطاً بالمرّة أن تكون كتابتهم عن الإسلام دليلاً على تعمقهم وعلمهم وقدرتهم على الفتوى.. وهذا الخلط في اعتقادي تم لعدة أسباب.

أولها: هذا البرنامج الأشهر الذي يقدمه د. مصطفى محمود منذ سنوات طويلة في التلفزيون المصري - حلقاته الآن ومنذ فترة على شرائط كاسيت تستطيع أن تحصل عليها في أي وقت- ومع أن البرنامج بالأساس برنامج علمي يعرض لآخر التجارب العلمية، تحديداً آخر تجارب علماء الغرب في مختلف نواحي العلم، لكن د. مصطفى يحاول جاهداً أن يصبغ برنامجه بصبغة دينية، لا يكف عن تطعيم كلامه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، يقول هذه الآيات في إطار من النقد الشديد لمنجزات العلم الحديث وكأنه يقول لعلماء الغرب إن كل هذا المجهود العلمي لا يساوي شيئاً.. فنحن لدينا العلم الإلهي الذي يؤكد لنا أن الدنيا فانية ولا حاجة لنا إذن لكل وجع الدماغ هذا، فالحكمة دائماً إلهية.. والعبارة دائماً ناطقة بلسان الله ورسوله.

ثانيها.. كتب الرجل والتي يظل فيها باكيًا على حال المسلمين الذين هم في خندق يحاصرهم الأعداء من كل مكان، هذه الكتب رغم أنها عبارة عن مجرد آراء سطحية فيما يحيط بالمسلمين من أحداث، مجرد وجهات نظر فقط، لكن يُروَّج لها على أنها كتب لمفكر إسلامي كبير لا يتورع هو نفسه أن يضع صورته وهو يرتدي العباة وبيده مسبحة وعلى وجهه تظهر علامات الورع والتقوى.

هذه الصورة يسعى لتثبيتها ناشروه من أجل الحصول على تذكرة دخول لقلوب وعقول الناس باسم الدين والرجل في كل الحالات لا يرفض ذلك مطلقاً.

ثالثها... رغبة د. مصطفى في أن يزج بنفسه في مناقشات علماء الدين، يدلي بدلوه، ويعرض آراءه وبضاعته في زاويته بأهرام السبت، وإن لم يلتفت له أحد.. فيقوم بمنتهى راحة الضمير بأن يجر الشيوخ وعلماء الدين إلى ساحته، يلقي في ساحتهم بكرة النار ثم ينتظر ردود الأفعال، وكانت آخر شرارة أجهها هي إنكاره لشفاة النبي صلى الله عليه وسلم، استنكر الجميع قوله، البعض

عاب عليه والبعض كَفَرَه.. واستفاد هو في كل الحالات؛
فقد ظلت الأضواء مسلطة عليه وحده..

حقيقة الأمر بالنسبة لهذا الرجل أسجلها بكلمات
د. الطاهر أحمد مكي الذي كتب عن د. مصطفى في عدد
الهِلال أغسطس ١٩٩٦.

كتب.. "دخل مصطفى محمود عالم الأدب مبكراً مع
مجموعة من نوابغ كلية الطب في الأربعينات يوسف إدريس
وصلاح حافظ وآخرين ومنذ تخرجه عام ١٩٥٢ لم يمارس
الطب عملاً ولم يتوقف عن الكتابة حرفة.

أعرفه على غير لقاء منذ ذلك الزمن الباكر، فقد
تميزت قصصة يومها بمذاق خاص، وكنا في ميعة صابنا
نبحث عن الجديد في التعبير وفي السياسة، ويشدنا إلى
جانب تظاهرات المطالبة بالجملة والاستقلال والدستور
والسودان، مشكلة الوطن يكون للجميع، ويتساوى فيه الناس
حقوقاً وواجبات...

ومن غير معرفة وإدراك عفوي بأسلوب كتاب اليسار
في تلك الفترة وبعدها، لكثرة ما قرأت لهم وأعجبت بهم
حسبته واحداً منهم ولم يبعد بي ظني عن الحقيقة، لم أشهد

الفترة المتألفة من كتاباته روائياً وقصصاً، فقد كنت بعيداً عن أرض الوطن فلما عدت عام ١٩٧٤ أحسست أن شيئاً ما تغير في فكره، وفي حياته، فقد بدأ ينحرف عن الواقعية ويميل إلى الرمزية وأخذ يشغل نفسه بالكتابة في روز اليوسف وصباح الخير ، بما أراه لونا من إثبات الذات وإبراء الذمة، مقابل راتب هو في حاجة إليه، إذ كان يضطلع بحل مشكلات القراء الغرامية، وهي في معظمها توهّمات مرضى استبد بهم هوس الحرمان، وأطلق الكبت الجنسي العنان لأخيلتهم، فهم يصطنعون المشكلات ويتخيلونها ويطلبون لها حلاً.

كان تفسير هذا الاتجاه عندي أن وراءه الرقابة الخائفة، وغيبة حرية الفكر، وعدم قدرة الكاتب على أن يقول رأيه في الجاد من مشكلات الحياة حوله دون ضغط أو إكراه، فلم يبق أمامه إلا أن يفتي في قضايا العاشقين وجاءت مرحلة الانتقال إلى الكتابة الدينية، وكان في هذه نمطاً فريداً أضاف إليها فيما أذاع منها مصوراً ذخيرته العلمية ومعرفته الطبية بدقائق الجهاز الإنساني وأسرار علم الأحياء.. موضحاً بالصور فأبهر عامة المسلمين الطيبين، وإن كان للمتقنين منهم موقف

آخر، فهم يرون أن المفكر الكبير يستعين على إبراز قدرة الله - مثلاً - في مفهومها الإسلامي بمواد علمية كلها، من صنع واكتشاف علماء غير مسلمين، لم يَدُرْ بخاطرهم اللحظة وهم يصنعونها أو يصورونها أو يخترعونها بعض ما دار في فكر الكاتب المصري.

ويُحَمَّد له في هذه الفترة من اتجاهه الديني سلامة موقفة السياسي فقد اختار أن يُبَصِّرَ بالمخاطر في غير خوف، وأن يُنَبِّهَ إلى المحاذير في فطنة وأن يدعو إلى اليقظة لأن العدو غدار، وأن يكون صوتاً عالياً يذكرنا بالأخطار التي تهدد مستقبلنا القريب والبعيد".

معكم تماماً أن المقال طال واستطال لكن استعراضه كان مهماً للغاية؛ ليعرف القارئ مراحل هذا الرجل.. الذي بعد أن وصل إلى الكتابات الدينية استهوأها، ليتحول من مجرد كاتب إسلامي إلى شيخ وصاحب طريقة له مريدون وأتباع يقرأون له بشغف ويسمعون لكلامه بلهفة، لن تنتهم الرجل ونردد رأي بعض أبناء جيله فيه أنه ظل يسعى منذ البداية خلف الأضواء يذهب إليها أينما كانت.. فإذا كانت الأضواء مع اليسار أسرع إليهم، وإذا انتقلت

الأضواء إلى اليمين هرع إلى زمريهم، يرتدي زي الشيخ يتحدث بلسانهم ويردد أفكارهم.. وعندما يجد نفسه منزويًا في ركن قصي يشق عباءة الشيخ ويخرج عليهم بكتابات.. مثل زيارة إلى الجنة والنار.. وآراء مثل إنكاره شفاعة النبي، فيصب عليه الشيخ جام غضبهم ويخرجونه من صفوفهم لاعنين إياه.

لن نقول ذلك انطلاقاً من رغبتنا في إهالة التراب على رأس الرجل فهذا ليس هدفنا على الإطلاق، نهدف فقط إلى الوصول إلى الحقيقة.. فمصطفى محمود ليس من الشيخ - ولا يمت لهم بصلة - وإن كان صديقاً لمعظمهم.. يجلسون يتناقشون.. يتبادلون المجاملات.. يقضون السهرات الطويلة في حوارات ومناقشات.. لكنه في النهاية ليس شيخاً لا شكلاً ولا مضموناً حتى لو اعتقد هو نفسه ذلك.. وإن كنا على ثقة أنه لا يعتقد ذلك مطلقاً لأنه أعدل من كل أتباعه وهؤلاء الذين ينتظرون مجرد البركة من ذكر اسمه.

الوجه والقناع

في تفاصيل طفولة كل منا مفاتيح كثيرة قادرة على فك مغاليق النفس الإنسانية المعقدة، وفتح الطرق أمام بداية

الإجابة عن سؤال حائر ومهم في الوقت نفسه: لماذا نتغير؟
لماذا نؤمن بفكرة معينة ثم نكفر بها؟ لماذا نبني أصنامًا
نعبدها ونقدسها ونطوف حلوها ثم نجترأ على تحطيمها
وتحويلها لرماد تذروه الرياح.

ومن تفاصيل طفولة د. مصطفى محمود الذي ملأ
الدنيا وشغل الناس منذ عام ١٩٥٤ عندما نشر كتابه
"الله والإنسان" لأول مرة وحتى الآن برأيه الذي أعلنه بدون
مواربة وبلا تردد عن الشفاعة.. وهو الرأي الذي جعل
الاتهامات التي قذف به الرجل بعد "الله والإنسان" تعود لتحتل
الأحاديث والمقالات والتعليقات التي تتعرض له ولما يكتبه
ولما يقوله.. وقد تضحك حتى تستلقي على قفاك عندما تسمع
من يصف د. مصطفى بأنه شيوعي وعلماني لأنه أنكر
الشفاعة!! تفاصيل طفولته يمكن أن تفسر لنا كثيرًا من تقلباته
الفكرية وعناده وشراسته في التعامل مع خصومه، وتوجيه
أعنف الشتائم والسباب لهم لمجرد أنهم اختلفوا معه أو فكروا
مجرد تفكير في مناقشته في رأي قاله!!

البداية كانت هناك..

في محافظة المنوفية.. تحديداً في شبين الكوم.. وفي ٢٠ ديسمبر عام ١٩٢١ وُلِدَ الطفل مصطفى محمود، وكان القدر قد ربط إلى جواره توأماً آخر أسموه سعداً.. لكنه توفي بعد أيام قليلة من مولدهما.. الأسرة كانت متوسطة الحال الأب يعمل محضراً بمديرية الغربية بمرتب لا يتجاوز ٨٠ قرشاً ارتفع إلى ٢٠ جنيهاً مع نهاية خدمته حيث رُقِيَ إلى سكرتير في مديرية الغربية، والأم كانت سيدة منزل مدبرة ولا بد أن تكون كذلك فقد كان مطلوباً منها أن تتفق على عائلة كبيرة للغاية من ميزانية ضئيلة للغاية، مهم أن تعرف أن أم د. مصطفى كانت الزوجة الثالثة لأبيه كما كان أبوه الزوج الثالث لها بما يعني أن البيت كان مزدحمًا بأبناء الزوجين من زيجات سابقة.

ورغم رقة الحال التي كانت تعيشها أسرة صاحبنا، لكن د. مصطفى يخبرنا عن والده الحنون الذي كان يحتضنه ويحمله على كتفه فور عودته من عمله، ولأنه كان آخر العنقود ومريضاً في نفس الوقت فقد كان مدلاً بمعنى الكلمة فلو قال لوالده أحضر لي لبن العصفور لفعل!! فإذا قال لهم

"هاتو لي ملوخية - كما كان يفعل دائماً - أسرعوا إلي كل الجيران يبحثون عن الملوخية إذا لم تكن في قائمة طعامهم يومها".

تدليل الطفل مصطفى - أو كما تقول دلعه - لم يكن هو الملمح الرئيسي في طفولته فقد كانت طفولة ضاجة بالأحداث اسمعه يقول: "حين تفتحت عيناى على الحياة تفتح وعيى على ملاحظة هامة وهى أن كل زملائى يلعبون ويمرحون، يلعبون الكرة ويجرون وبارعون بينما كنت عاجزاً عن أن أفعل مثلهم.. كنت طفلاً مريضاً ضعيفاً، نزلة برد خفيفة يمكن أن تقعدنى في الفراش لمدة خمسة عشر يوماً، ولهذا لم يكن غريباً أن يكون لى عالمى الخاص.. عالم الأفكار والأحلام والكتب، كنت أحلم دائماً بالبطولات الانتصارات.. بطولات السندباد ورحلاته والمكتشفين والعلماء، كانت أحلامى كلها بطولات سواء أكانت بطولات عسكرية مثل خالد بن الوليد والإسكندر الأكبر أم بطولات علمية مثل ماركونى وأديسون. هذه العزلة التى فرضها العجز دفعت مصطفى محمود لأن يكون مختلفاً عن أقرانه، وكان يحاول أن يلفت النظر

إليه بكل الوسائل مهما كلفه ذلك من مشقة وربما خطر،
فحين أحب ابنة الجيران "عدلية" التي كانت باهرة الجمال،
وكانت عدلية تجلس مع مصطفى وأصدقائه عندما يجتمعون
في بير السلم أطفال أعمارهم ما بين الثامنة والتاسعة
لا يزيدون.. وحتى يلفت مصطفى نظر واهتمام الصغيرة
كان يغني وبعد أن يغني يقرأ بعض آيات القرآن مقلداً
لصوت الشيخ رفعت.. ولا يكتفي بذلك بل يبدأ في حكاية من
وحي الخيال والخطر حيث كان مطلوباً من كل طفل أن
يحكي قصة من بنات أفكاره وكانت حكاية الطفل مصطفى
هي التي تفوز دائماً.. ولحظتها كانت ترمي عدلية بنظرة
إعجاب وحب لمصطفى يظل على أثرها ساهراً الليل بطوله.
وعندما اكتشف زملاء شلته خطته في خطف إعجاب
عدلية لم يجدوا طريقة لكي يخلصوا منه سوى أن يضربوه
علقة ساخنة، ولم يتوقف الأمر على الضرب فقط بل أصدروا
فرماناً بعدم دخوله شارعهم ولأنه كان ضعيفاً لا حول له
ولا قوة فقد آثر السلامة!!

وعندما أصبح مصطفى محمود شابًا ظل الطفل العاجز المنزوي على نفسه يرقد داخله. فلم تكن له مغامرات ولا نزوات، كان ملتزمًا في دراسته للغاية حتى التحق بكلية الطب.. وهي الدراسة التي سطت على كل وقته ورسّخت عنده الفكر المادي وأكدت لديه صحة ما فعله قبل دخوله كلية الطب.. فقد كون جمعية للكفار وعمره اثنا عشر عامًا وقد رسم د. مصطفى ملامح صورة تحوّل.. كان طفلاً يصلي ويحفظ القرآن.. ثم فجأة وبرفقة صديقة جرجس سعد يدعو للكفر.. والقصة تبدأ من شيخ مسجد وضريح سيدي عز يقول الدكتور: "كنت أصلي وأستمع إلى وعظ شيخ الجامع وأدوّن ما يقول وأحضر المولد وحلقات الذكر إلى أن جاء يوم قال لنا فيه شيخ الجامع "شوفوا يا ولاد أنا سأقول لكم على طريقة تقضون بها على الصراصير والحشرات في البيت طريقة دينية عظيمة جدًا كل واحد يفتح الكراسية وسوف أملي عليكم هذه الطريقة العظيمة، وأخذ يملي علينا كلامًا غامضًا ورقة عبارة عن مزيج من الآيات والطلاسم، ثم قال الصقوا هذه الورقة على الحائط وسوف تكتشفون أن الصراصير سوف تموت صرعى على هدي هذه الطريقة الدينية العظيمة،

وبالطبع فرحت وكتبت كل ما قاله بالحرف الواحد ولصقته باهتمام شديد على الحائط منتظرًا النتيجة الناجحة لكن خاب ظني وأصبت بإحباط شديد فقد تزايدت الصراصير وأصبحت أضعاف ما كانت قبل طريقة الشيخ بل الأدهى من هذا أن الصراصير اتخذت من الورقة التي أمر بها الشيخ ملجأ لها". كانت هذه نقطة بداية الشك كما يقول د. مصطفى.. وإن كنا نشك في حقيقة أثر هذا الموقف في طفل لم يتجاوز الثانية عشر من عمره.

دخل الدكتور كليه الطب وبداخلة تلك البذرة التي ألقاها الشيخ في صدره وقد نمت وترعرعت - لكنه يعود مرة أخرى لحظيرة التيمن - فالوقفه أمام الموت في مشرحة كلية الطب أعادته للإيمان ، د مصطفى علل ذلك بأن المُفكر بطبيعته يعيد النظر دائمًا في الأشياء وهو يختلف بالطبع عن الذين ينظرون إلى الأشياء بنظرة قلبية بلا أي شك، وكلامه مقبول رغم أنه حتى هذه الفترة لم يكن قد أصبح مُفكرًا بعد. بل ضعف صديقنا الشاب عن إكمال أي نزوة أو مغامرة فلم يدخل ولم يصادق امرأة بل كان يرفض حتى العلاقات الجنسية العابرة وكان يبرر ذلك بقوله إن الجنس لا يكفي أبدًا

لان يقوي علاقة بين رجل وأمرأة وأن يضمن لها
الاستمرار .

أنهى الدكتور إذن وهو على شاطئ اليقين والإيمان
دراسته في كلية الطب.. وبدلاً من علاج المرضى اختار
الرجل كتابة الأدب ودخل عالم الأدب مبكراً مع مجموعة من
نوابغ كلية الطب في الأربعينيات مثل يوسف إدريس،
وصلاح حافظ كان ذلك تحديداً في العام ١٩٥٢ ، ونستطيع
من خلال كلماته التي تحيط بنا من كل مكان أن نرصد
تحوّله مرة أخرى، كتب د. مصطفى محمود والكلام نصاً من
كتابه "لماذا رفضت الماركسية": حينما بدأت أكتب في
الخمسينيات كانت الماركسية هي موضة الشباب الثائر في
ذلك الوقت وكنا نقرأ منشوراتها في نهم فتحرك مثالياتنا
بما تعد به من فردوس أرضي وعدالة ورخاء وغذاء وكساء
للعامل والفلاح ومحاربة للإقطاع والاستغلال وتحرير
للجماهير الكادحة وكانت موسكو تبدو لنا في ذلك الحين
الكعبة الأم لهذا الدين الجديد الذي يشع بالخير والرفاهية لكل
من يدور في فلكه.

لم يكن هذا وحده هو الذي حرك أقدام د. مصطفى من على شاطئ اليقين ليتجه إلى شاطئ الشك مرة أخرى، فقد رأى الدكتور محمود بعد صدور كتابه "الله والإنسان" ناقداً كبيراً بحجم محمود أمين العالم يكتب عنه ويُمجِّده ويشير إلى مصطفى محمود على أنه كاتب رائع للغاية.. والتقط الدكتور الخيط فهو مع الشيوعيين سيكون أكثر بريقاً، وتؤكد له ذلك عندما كتب قصة في مجلة "صباح الخير" عن رجل زبال فكتب عنه بعض النقاد يومها أنه أعظم كاتب وأنه تشيكوف عصره بل قالوا إن تشيكوف قد ظهر في التاريخ من جديد.

لكن مرة ثالثة يتراجع الدكتور عن شاطئ الشك ليعود مسرعاً إلى شاطئ الإيمان!!

ولا عجب ولا اندهاش ففي كل مرة عند الدكتور ما يقوله ويبرر به تراجعاً أو عودته، هذه المرة كان المبرر أو السبب الذي أعاده إلى طريق الإيمان أنه بعد كتابه "الله والإنسان" بدأ يعيد النظر في كل شيء من حوله وأولاه هذا الكتاب الذي وجدته مليئاً بالثغرات خاصة -والكلام هنا على لسان د. مصطفى- أن الفكر الاشتراكي يحاول استقطابي وتتويجي زعيماً وأنا بالطبع لم أنضم لأي تنظيم

لهم ولم أدخل أية كوادر يسارية معهم والحقيقة أنني بعد أن قرأت بإمعان ماركس لم أفتتح مطلقاً بما يقوله وأحسست أن هناك خطأ ما في كتاباته".

كان هذا التحول هو الأخير في حياة مصطفى محمود.. فقد قرأ واستقرَّ بعده على شاطئ الإيمان واليقين ووجد كل أحاديثه وكتاباته في طريقة الاعتراف به ككاتب إسلامي ومفكر إسلامي لدرجة أن البعض رشحه ليحتل مكان الشيخ الشعراوي بعد وفاته رغم أن الفارق بين الرجلين كبير فمصطفى محمود رغم إغراقه في الحديث عن الإسلام فهو ليس حافظاً جيداً للقرآن فقد فشلت محاولته الأولى لحفظه في كتاب الشيخ محمود الذي كان يضرب الطفل مصطفى لعدم قدرته على الحفظ فما كان من الطفل مصطفى إلا الهروب من الكتاب!!

ونحن نعتبر أن هذا التحول هو الأخير لأنه ما زال عليه حتى الآن.. ورغم أن البعض اتهم. د. مصطفى بالردة مرة أخرى والعودة إلى الشك من جديد.. بل اتهمته جريدة "الشعب" عدد ٢١ مايو ١٩٩٩ بأنه أصبح من الفرق الضالة لإنكاره السنة وأسدت له النصح بأن يعتزل الحياة ويعتكف

ليتعلم من جديد وليتصالح مع رسول الله قبل فوات الأوان
فلعل الله يرضى عنه ويصفح عما ارتكبه من ذنوب،
لكننا نرى عكس ذلك فالرجل رسم الإيمان واليقين وكل ما
يفعله أنه يسير عليه بأسلوبه الخاص فمرة يتبنى وجهة نظر
نقدية تغلق الذين يرونه فعلاً إسلامياً ومرة يتبنى وجهة نظر
تقليدية تكرر لإلغاء العقل وصب اللعنات على أعداء الدين
فيصبح بذلك نموذجاً جيداً للمفكر من وجهة نظر الذين يرونه
مفكراً إسلامياً أيضاً!!

ورغم أننا نعتزف بكل تقلبات وتحولات
د. مصطفى محمود وعبوره السريع بين علامتي الشك
والإيمان أكثر من مرة، لكننا نرى أن كل هذه التقلبات مجرد
حركات وإن كانت غير مكشوفة، مجرد محاولات زائفة
لمصادرة لكل ما يقدر عليه من الأضواء واهتمام الناس..
لن نرسل الكلام على عواهنه فلدينا ما نقوله.

يقول د. مصطفى: "أنا عمري ما شكيت في وجود الله
سبحانه وتعالى وأنه الواحد القهار، ولم ينتابني الشك مطلقاً
في القدرة الإلهية، وأنها تدير هذا الكون الكبير من حولنا

وأن هذا الكون باتساعه الكبير هو خير برهان ودليل على وجود الخالق الأعظم فهو يفصح ويثبت ويبرهن بل ويهتف لا إله إلا الله ، وإنما نوعية الشك في مسألة القضاء والقدر ، والجبر والاختيار ، والجنة والنار ، ونوع الخلود وشكله ومظهره وكان رجال الدين يعتبرون أن مجرد التكفير في مثل هذه المسائل الكفر بعينه".

"وأنا لم أكن كافرًا".

هذه الكلمات من د. مصطفى لا مكان فيها مطلقاً لأي لبس.. فالرجل لم يكفر مطلقاً وإنما شك كان من قبيل الأفكار العادية التي تراود ملايين البشر الذين لا يعجبهم أحياناً ما تقذفهم به الأقدار فتجدهم وقد تجردوا تماماً من إيمانهم وأخذوا يرددون بينهم وبين أنفسهم "ليه كده يا رب" ثم تراهم بعد لحظات يعودون لأنفسهم سريعاً مستغفرين تائبين.. وكثيرون هم من يجدون أنفسهم وقد شغلتهم أمور غيبية مثل: القضاء والقدر ، والجنة والنار والخلود فيها.. وقد ينتاب الإنسان فيها كثير من الشك.. لكنها لحظات عابرة تمر لا يلتفت إليها أحد!!

الاختلاف الوحيد أنه في حالة د. مصطفى محمود خرجت لحظات شكه هذه على الورق ونشرت على الناس وحاول هو أن يؤكدوا ويشير إليها على أنها مرحلة من حياته أرهقت أعصابه وأتلفتها لكنه استوعب الدرس سريعاً فعاد إلى حظيرة الإيمان.. وجعل من كتابه "رحلتي من الشك إلى الإيمان" وثيقة على ذلك، مع أن ما قاله في كتاباته الإسلامية مثل "القرآن كائن حي" و"القرآن محاولة لفهم عصري" و"رحلتي من الشك إلى الإيمان" هو نفسه ما قاله في كتابه "الله والإنسان" الذي يعرفه الجميع على أنه الكتاب الاتهام.

فالدكتور يقول في "الله والإنسان" والكلام نصاً من صفحة ١٠٠: "إن الله عند جدي يتمثل في شخص طيب رحيم غفور تواب، يداوي الروماتيزم ويقوي المفاصل، وهو عند أمي مأذون يجمع رعوس بناتها على رعوس عرسان أغنياء في الحلال، وهو عند الأطفال يشبه عروس المولد، وهو عند أينشتاين معادلة رياضية وقانون تخضع له الأشياء بالضرورة وهو عند عاشق مثلي حب وهو عند مشايخ الصوفية وزير أوقاف يوزع الكساء وهو عند الملحد

موضوع دراسة وعند المؤمن موضوع عبادة.. وهو دائماً شيء حتى عند الذي ينكره".

ويقول في صفحة ١٢٦ والكلام نصاً أيضاً: "قانون البيئة الذي يقول بترباط الحوادث في سلسلة من الأسباب والنتائج هو مجرد ملاحظة علمية مأخوذة من وقائع جزئية وهو ينطبق على حوادث مفككة في نطاق حواسنا، ولكنه لا ينطبق على حدث كلي لأن الكل غاية وسبب في ذاته ولا يحتاج إلى سبب من الخارج".

والكلام كما ترى لا مكان فيه لشك أو كفر أو إلحاد.. بل لن نتجاوز إذ قلنا إن كلامه الأول يتردد على السنة العجائز ويدور في أذهان البسطاء والكلام الثاني عاد. مصطفى وكرره في كتابه "حوار مع صديقي الملحد" والكلام نصاً من الصفحة ٨ يقول الدكتور: "السببية قانوننا نحن أبناء الزمان والمكان والله خلق الزمان والمكان وهو بالضرورة فوق الزمان والمكان ولا يصح لنا أن نتصوره مقيداً بالزمان والمكان ولا بقوانين الزمان والمكان، والله هو الذي خلق قانون البيئة فلا يجوز أن نتصور خاضعاً لقانون البيئة الذي خلقه".

ما يختلف فقط هو التناول.. ففي المرة الأولى عندما اتهم بالكفر كان يحاول أن يبدو متفلسفاً لا يسمي الأشياء بأسمائها، وفي المرة الثانية عندما عاد إلى حظيرة الإيمان يحاول أن يكون واضحاً ليستعين ببعض الآيات القرآنية معلقاً بها نفس آراءه السابقة، اعترافات مصطفى محمود الذي صدر عام ١٩٩١.

كان السؤال: لماذا رفضت طباعة كتابك "الله والإنسان" و "إيليس" طبعة ثانية؟
وكانت الإجابة: لم يكن لهما مكان في أعالي والحقيقة أنني ضمنت هذين الكتابين في كتابي "حوار مع صديقي الملحد".

والكلام لا يحتاج لتوضيح.. فالدكتور ما زال يؤكد أن الأفكار واحدة.. وإن كان هناك اختلاف فهو في أسلوب العرض.. وأسلوب الحياة ذاته الذي يسلكه في الوسط الفكري والثقافي فالرجل يهاجم ثم يخبو.. يكتب بحدة ثم يعود يغازل من كتب عنه.. يتبنى الرأي ثم يتبنى نقيضه.. يهاجم رجال الأزهر ويحرص على صداقتهم، يدعو إلى حرية الفكر والإبداع ثم يصب لعناته على المفكرين والمبدعين.

والإجمال يحتاج إلى تفصيل..

فبعد أن كتب في مجلة "صباح الخير" في الستينيات مقالاً عن النازية لم يعجب عبد الناصر صدر الأمر بإيقافه عن الكتابة نهائياً، وعندما سأل إحسان عبد القدوس الذي كان أيامها مسئولاً عن "روز اليوسف" و"صباح الخير".. ردَّ إحسان عليه ردّاً مقتضباً "دي أوامر".. وبعد سنة عاد للكتابة مرة أخرى بعد لقاء مع هيكل سأله فيه عن سبب منعه من الكتابة فرد عليه هيكل ألا تفكر في شيء ارجع اكتب وخلص.. المفاجأة أن د. مصطفى قال له أريد أن أعرف غلطتي حتى لا أعود إليها. ما هي الغلطة التي ارتكبتها..؟! لكن هيكل لم يرد عليه فقط قال له: ارجع واكتب تاني.

ورغبة الدكتور في معرفة غلطته حتى لا يعود إليها رغبة صادقة وإن كانت طبيعية من كاتب كل ما يفكر فيه هو أن يظل موجوداً في الصورة أطول فترة ممكنة، ولذا عندما عاد للكتابة اختار أن يكتب في مشكلات المراهقين العاطفية وله في ذلك كتابان هما "مشكلة حب" و"اعترافات عشاق" هذا رغم أنه عاش حياة عاطفية وزوجية مضطربة للغاية؛ فقد تزوج مرتين وفشل في المرتين، بيرر الدكتور هذا الفشل

قائلاً: "كانت لديّ مشكلتان وليست مشكلة واحدة فقط فجانِب مسألة الكاتب والمؤلف هناك مشكلة أنني صاحب رسالة، فكيف تتحمل زوجة أن تعيش مع إنسان مستغرق بكل كيانه في العمل".

وبعد أن مات عبد الناصر اسئل الدكتور سكينه وأشهره على عبد الناصر الذي منعه من الكتابة وكتب مقاله الشهير في "أخبار اليوم" يوم ٤ يوليو ١٩٨٧ بعنوان "سقوط اليسار".

يقول الدكتور في مقاله: "الفساد ما وُلِد إلا في حكم عبد الناصر الذي غابت فيه الحرية وقطعت الألسن وقصفت الأقلام وسادت مبادئ النفاق والانتهازية وحكمت مراكز القوى وانطلقت عصابة القتل تعيث في الأرض فسادًا. وما وُلِد الإرهاب الذي نعاني منه اليوم إلا في زنازين التعذيب في السجن الحربي بأمر وتوجيه وإشراف من عبد الناصر".

والمقال رغم حدته لكنه جاء مثل الماء البارد فهو شجاعة بأثر رجعي.. ومعركة في غير ميدان قتال وبحث عن القرش المفقود في الشارع المضيء بدلاً من إرهاب

البحث عنه في الشارع المظلم مع أنه ضاع أساسًا في هذا
الشارع المظلم.

وهو يهاجم رجال الدين وعلمائه ويسفه من آرائهم،
ويأتي ذلك ردًا على رفضهم لاجتهاداته في التفسير والكلام
في الدين وقد بلغ هذا الهجوم بعد كتاب الدكتور
"القرآن محاولة لفهم عصري" ذلك الذي تعامل خلاله مع
القرآن على أنه كتاب طب وعلم وهندسة وفنون..
كتبت د. عائشة عبد الرحمن: "لا يجب أن نتورط إلى
المنزلق الخطير الذي يمكن أن يتسلل إلى عقول أبناء هذا
الزمن وضمايرهم فيرسخ فيها أن القرآن إذا لم يقدم لهم علوم
الطب والتشريح والرياضيات والذرة فليس صالحًا لزماننا
ولا جديرًا بأن تسيغه عقليتنا العلمية ويقبله منطلقنا
العصري!!"

وتواصل د. بنت الشاطئ نقدها لتفسير د. مصطفى
العصري تقول: "هكذا باسم العصرية تغري شبابنا بأن
يرفضوا فهم القرآن كما فهمه الصحابة في عصر البعث
ومدرسة النبوة ليفهموه في تفسير عصري من بدع هذا
الزمان.. ثم إن هذا التفسير العصري نموذج لمن يتكلمون في

القرآن بغير علم وما يتعرض له الفهم الإسلامي من بدع التأويل بالرأي والهوى".

د. مصطفى لا يتعامل مع هجوم علماء الدين عليه بموضوعية.. فهو يرد باستخفاف ويفسر هجومهم عليه بأنهم غاضبون من دخوله ساحاتهم.. فهو بالنسبة لهم مجرد طبيب وكاتب بدون عمامة ولهذا فهم يرفضونه.. والغريب أن الرجل تعامل بنفس المنطق في كل خلافاته مع رجال الأزهر بداية من تفسيره العصري للقرآن إلى إنكاره الأخير للشفاعة الذي كان سبباً في إعادة اتهامه بالردة والإلحاد والانتظام مرة أخرى في صفوف العلمانية والشيوعيين!!

والدكتور يدافع باستماتة عن حرية الرأي والتعبير يقول: "التفتيش في الضمائر من عمل الله وحده ولا يجوز أن نتهم بالكفر من يقول لا إله إلا الله، والذين أخذوا الإسلام بالوراثة وبدون اختيار وإعمال فكر لا يصح أن يُتهموا بالردة إذا طرحوا موروثاتهم الإسلامية ومسلّماتها، وبدأوا في إعادة النظر وإعمال الفكر فهذا حق كفه الله للمسلم إنه من شاء ويفكر ويقبل أو لا يقبل دون أن يخرج عليه واحد ليقنته باسم حد الردة.

ومرة ثانية يقول: "ليس في سنة الإسلام تكبيل العقول ولا سجن الأفكار" ومرة ثالثة يقول: "الفكر يرد عليه بفكر، والرأي الزائف يرد عليه برأي يقومه والضلال يرد عليه بهدى، والعلم الناقص يرد عليه بعلم أكمل منه، أمّا العودة إلى اعتقال المفكرين وتطويقهم من زوجاتهم بتهمة الزيف والشطح فهو تخلف وتعصب لا يليق بمسلم".

ومع ذلك وبعد حصول الدكتور على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٩٦ قال عن نصر أبو زيد: "نصر ده راجل هجاص.. إيه نصر أبو زيد ده.. ده واحد بيقول عن النبي إنه مؤلف القرآن هذا لا يجوز الحوار معه، مفيش داعي خلاص فكرته مرفوضة من الأساس" وعن سلمان رشدي قال: "قرأت تلخيصات لمؤلفاته وهو كاتب سفيه ولا عنده فكر ولا غيره وشتام وليس له وزن ولا قيمة ولكنها الهوجة على الإسلام".. ويصل الهجوم مداه عندما يصل كلام الدكتور عن تسليمه نسرين قال عنها: "دي مرة مهتكرة وكتابها - يقصد راوية لاجا - سافل وابن كلب ولا يرد عليها هي ولا أدبية ولا روائية دي مجرد حاقدة على الإسلام".

هذا التناقض في كلام ومواقف الرجل لا يمكن تفسيره إلا بأن الرجل عاشق للظهور.. يبحث عن المناطق الحساسة ليفجّر فيها كلماته وآراءه.. فياتف حولها الناس.. يتناقشون حولها يختلفون أو يتفقون.. ويظل الرجل دائماً في منطقة الضوء..

قد تكون هذه الرؤية قد رسمت بعض الخطوط لشخصية د. مصطفى محمود وهناك كذلك عدد آخر من الرؤى يمكن أن تضيف إلى وجه الرجل خطوطاً أخرى لعلها تزيد وضوحاً.. د. فؤاد زكريا وفي مجلة "روز اليوسف" عدد ٢٧ سبتمبر ١٩٧٦ كتب يقول: "من المؤكد أن د. مصطفى محمود إنسان سعيد الحظ فهو بوصفه كاتباً ومفكراً، قد اكتسب شعبية واسعة أتاحت لكتبه أن تكون من أوسع الكتب انتشاراً على مستوى العالم العربي كله، وإذا كانت تذاكر السينما توزع في الشباك والكتب الشعبية توزع على الرصيف فإن الدكتور مصطفى محمود بفضل نجاحه الساحق جدير بلقب نجم الشباك".

ويزيد د. زكريا الدكتور وضوحاً عندما يقول:
"و د. مصطفى في شعبيته يتخذ أمام الجماهير الواسعة مظهر
المفسر الديني والحكيم الفيلسوف والعالم المطلع، صحيح أنه
في مجال التفسير لا يرضي معظم رجال الدين المتخصصين
سواءً منهم أصحاب وجهة النظر المحافظة أو المتحررة
وأنه في مجال الفلسفة هاوٍ يسهل على أي مشتغل في هذا
الميدان أن يكتشف نقص معلوماته وضعف منطقه،
وأنه في ميدان العلم قد توقّف على ما يبدو عند السنوات
الأولى من فترة دراسته الطبية مضافاً إليها قراءات سريعة
لكتب مفرطة في التبسيط".

وفي «أكتوبر» ١٩٩٦ يكتب د. سيد القمني بجريدة
"أخبار الأدب" مواصلاً التوصيف لما يقوله . د. مصطفى
محمود: "قالدكتور عندما يبحث عن كل ما يلتقي من العلم مع
تفسيره للآيات القرآنية ليقص لها النظرية العلمية ويفصلها
على قدها ومقاسها، قد تأتي مرة ففضاضة ومرة شديدة
الضيق، لكنه وهو يفعل ذلك يرتكب جرماً ثم يقع في إثم
عظيم، الجرم يأتي في حق العلم نفسه حيث يقدمه مجزؤاً
منقوصاً مشوهاً، يهد ما بذل فيه من عناء وجهد بالعقل

البشري خاصة مع تعقيباته وابتسامته الساخرة المعهودة، والإثم يأتي في حق الشباب المخدوع بزيف منطق الرجل وعذوبة كلماته فهو يدمر عقل الأمة متمثلاً في شبابها ليتحولوا إلى صناع قنابل محترفين وقتلة متمرسين ثم يهاجمهم بعد ذلك معلقاً ما يفعلونه على شماعة البعد عن الدين".

إلى جانب هذه الرؤى السلبية تقابنانا رؤية د. الطاهر أحمد مكي الذي كتب عن د. مصطفى في "الهلال" عدد أغسطس ١٩٩٦: "د. مصطفى محمود تتفق معه أو تختلف فهو أحد المعالم الهادية في هذا العصر الذي نعيشه وأبرز المخلصين من المهتمين بمشكلات أمتهم"، هذا الرأي يجعلنا نؤكد ما نذهب إليه من د. مصطفى منذ بداياته وهو يعتنق أفكاراً بعينها هي وجهه الحقيقي، لكن مع ذلك لا يستغني عن قناع يضعه على وجهه من خلاله يتناقض مع بعض أفكاره أحياناً.. يختلف مع من اتفق معهم قبل ذلك، أو يختلف مع من سبق الاتفاق معهم.. والغرض في النهاية يلخصه الكاتب الصحفي حلمي النمنم بقوله عن مصطفى محمود: "ما أهد.. ولا تاب ولم يشك ولكنها النجومية".

يلخص حلمي رحلة د. مصطفى ويبدأ منذ الخمسينيات يقول: "لقد استوعب د. مصطفى محمود جيداً درس المصادرة في منتصف الخمسينيات، وكان لا يزال شاباً طموحاً يريد أن يشق لنفسه طريقاً في الحياة الثقافية كطبيب أراد أن يحترف الأدب والكتابة وتعجّل في تسويد صفحات كتابه الأول، فاستقبل أبشع استقبال.. الاتهام والمصادرة".

"وبدلاً من الدفاع عن الموقف والرأي قرر الدكتور أن يخوض الحياة بمنطق الذين اتهموه فأعلن أنه كان مخطئاً وتاب، ثم جاءت الظروف السياسية في بداية السبعينيات لتتلقف توبته وكان الرئيس السادات يدعو إلى دولة العلم والإيمان ووجد د. مصطفى أن لديه العلم وعاد إلى الإيمان فصار نجم المرحلة، وتصادف ذلك مع مرحلة خلت فيها مصر من كثير من أبنائها مفكرين وعلماء فقد هاجر بعضهم إلى بلاد النفط والبعض الآخر إلى الآخرة وأصبحت الساحة خالية إلا من د. مصطفى... وبالفعل دانته للرجل الأسباب وصار النجم الأوحده في تقديم العلم مغلفاً ببعض المظاهر الدينية".

ورغم فرص النشر والانتشار الواسعة التي أتاحت له
خلال العشرين عامًا الماضية كنموذج للأديب مرة وللداعية
مرة وللمفكر مرة، لكنه لم يتمكن من إرضاء العلماء أو رجل
الدين، وحظي بهجوم الطرفين معًا.

الاقتراب من وجه. د. مصطفى محمود يريحك كثيرًا؛
فهو رجل هادئ للغاية يأخذ من المفكرين.. يلقي كلماته
وآراءه ثم يمضي بعد أن تشتعل النيران في كل مكان
ولا يسأل بعد ذلك عن أحرقتهم ناره.. فهو كما قال عن
نفسه صاحب رسالة.. وأصحاب الرسائل لا يهتمون بمن
يموت بسببهم طالما أنهم في طريقهم لتحقيق أهدافهم...!!

لكن هل حقق د. مصطفى محمود هدفه؟!

هذا بالفعل هو السؤال الذي يستحق أن نبحث له عن

إجابة!!

وهو السؤال الذي جعلنا نستقيض في ذكر تفاصيل
حياة رجل يحسبه الناس على شيوخ مصر المعاصرين..
ولا نحسبه نحن عليهم!!.

طيبة الشيخ صقر

نكتة لم تضحك أحدًا على الإطلاق.. يقال إن الشيخ عطية صقر وهو يقدم برنامجه الشهير على القناة الثانية بالتلفزيون "فتاوى وأحكام" قرأ من ورقة أمامه.. جاءنا سؤال من الأخ ألف باء تاء جيم " والسخرية واضحة حيث إن الرجل يرمز دائماً لأي سائل يرسل له سؤالاً بحروف اسمه الأولى حتى لو كان السؤال لا يؤدي أحداً والاجابة لا تجرح أحدًا.

يخرج صوته عاليًا بعض الشيء مع أنه يتحدث من خلال التلفزيون، لا يلتفت أحد كثيرًا لإجاباته وفتاواه لسبب بسيط للغاية أن كل الأسئلة التي ترد للرجل أسئلة عادية عن العبادات من طهارة وصلاة وصوم وزكاة وعن أحكام الزواج والطلاق والميراث وهي أمور في الغالب لا يهتم به إلا من يريدون معرفتها فقط، لكنها ليست موضوعات تخطف الأبصار وتجبر الأذان على أن تسمع، حتى عندما صدر كتاب يحمل فتاوى الشيخ عطية صقر تحت عنوان "فتاوى للشباب" وبه عدد كبير من الفتاوى التي تركز على

مناطق حساسة في العلاقات بين الرجل والمرأة في كل مراحل حياتهما.. كانت إجاباته باردة يحاول أن يريح الناس، لا يذكر رأياً حاداً فاصلاً، لكن لا مانع عنده من أن يعيش الناس حياة سعيدة هانئة بعيدة عن القلق والتوتر.

يحتفظ الشيخ عطية صقر بلامح هادئة تعكس كم الطيبة الكبير الذي تتمتع به شخصية هذا الرجل؛ لذا تجده بعيداً عن معارك الشيوخ، ليس له شأن بهم، ورغم ضراوة المناقشات والحوارات وحدة الجدل بين الشيوخ حول قضايا حساسة من قبيل إعادة كتابة السنة النبوية الشريفة بعد عرضها على القرآن الكريم، وإنكار الشفاعة، لكن الرجل ظل بعيداً محتفظاً بهدوئه وطيبته، عاش حياته بالطول والعرض بعيداً عن الخلافات والمشاكل، حتى تطلّعه للمناصب العليا في الأزهر الشريف كان تطلّعاً مكتوماً.. ظل لفترة طويلة رئيس لجنة الفتوى بالإزهر.. وبهذه الصفة عرفه الناس واستمعوا له، تعجب كثيراً بعد موت شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق وخرجت بعض الترشيحات تضعه ضمن قائمة المرشحين لمنصب شيخ الأزهر، وتشفّعوا للرجل بعلاقاته الجيدة بالحكومة وتاريخه الطويل معها،

قد يكون الحلم راود الرجل بعض لحظات لكنه كان يعلم أن
سنه - فوق الثمانين - يقف حاجزاً بينه وبين تولي أي
منصب..

الشيء الوحيد الذي يمكن أن يلفت انتباهنا في الشيخ
عطية صقر، هو أن الرجل يمثل نمطاً يدخل تحته عدد كبير
جداً من الشيوخ في مصر، هؤلاء الذين بلا لون ولا طعم
ولا رائحة.. اجتهادهم محدود يرددون فقط ما توصل إليه
الآخرون، وتشاء ظروفهم أن يكونوا من نجوم التلفزيون،
فهم ينزلون ضيوفاً على التلفزيون لا لشيء إلا لأنهم
أصحاب مناصب كبيرة في الأزهر أو في وزارة الأوقاف،
أو لأن علاقاتهم جيدة للغاية مع المسؤولين في التلفزيون،
ويصبحون بذلك مثل هؤلاء الذين رقصوا على السلم..
والمعنى على ما أظن واضح.

هدوء د. عبد الله

في نهاية الثمانينات كان برنامج "ندوة للرأي" من بين البرامج المهمة للغاية على خريطة برامج التلفزيون، البرنامج كان يعده ويقدمه، المذيع المثقف حلمي البلك، كان يستضيف فيه كبار علماء الإسلام من رجالات الأزهر ولا داعي لذكر الأسماء فقد كانوا كثيرين.. وكان من بين هؤلاء العلماء رجل هادئ للغاية يتحدث للناس لا يتعالى عليهم ولا يتقاسف.. يصل لعمق الموضوع ولا يظل يلف ويدور حوله دون الوصول إلى حل.. يستخدم يديه ورأسه وملامح وجهه في توصيل الرسالة التي يريد.. لا تقارق وجهه الابتسامة ولا تختفي الكلمات المتفائلة من حديثه.. كان هذا الرجل نجماً كبيراً من نجوم هذا البرنامج وكان الناس أمام التلفزيون ينتظرونه، وإذا أذيعت الحلقة وكانت خالية منه غضب الناس وانصرفوا خاصة إذا كان بالحلقة د. عبد الصبور شاهين الذي فضح بشدة في إحدى حلقات البرنامج عندما وقف رجلاً يقرأ سؤاله من ورقة أمامه وكلما توقف الراجل عن القراءة صحح له د. عبد الصبور، فيعتذر

الرجل قائلاً .. أصل الخط مش واضح.. فالسؤال أرسله
د. عبد الصبور وجاء الحظ التعس بهذا الرجل ليقرأه فأخطأ.
رجلنا الذي نتحدث عنه هو عبد الله شحاتة.. دكتور
جامعي.. وعند الناس شيخ دين.. عالم من علماء الإسلام
يرتدي البدلة وفي بعض الأوقات يرتدي فوقها العباءة.. وكما
ظهر بغزارة في برنامج "ندوة للرأي" فجأة اختفى الرجل
تماماً ليس من ندوة للراي فقط، ولكن من برامج التلفزيون
كلها، وبدأ الناس يسألون عن اختفاء الرجل الطيب الهادئ
للغاية الذي لا يفعل أبداً.. ولم يجد الناس جواباً..

كانت الحقيقة أن الشيخ الدكتور عبد الله شحاتة سأله
أحدهم في البرنامج عن رأي الإسلام في تنظيم الأسرة؟
وأجاب الرجل بمنتهى البساطة والهدوء أيضاً وقال إن تنظيم
الأسرة ليس حراماً ولكن ليس من حق الحكومة أن تتدخل في
هذا الشأن، فهو أمر خاص للغاية بين الرجل وزوجته،
لهما وحدهما حرية اتخاذ القرار في التنظيم أو عدمه لكن
تدخل الدولة وإصرارها الشديد على أن ينظم الناس أسرهم
فهذا ليس من الإسلام وليس من العقل في شيء.

بالطبع لم يعجب هذا الكلام أباطره تنظيم الأسرة
والمنتفعين من هذه السبوبة الضخمة. ومُنِع الرجل من
الظهور نهائيًا في التلفزيون وفي الراديو وفي الصحف...
وفجأة عاد د. عبد الله - لا أحد يعرف من أين عاد
والناس بطبيعة الحال اعتادوا على عدم السؤال - أستاذًا
للشريعة بكلية دار العلوم ومتحدثًا في التلفزيون في أكثر من
برنامج وفي الفضائية المصرية له برنامج خاص به اسمه
"دنيا ودين" وفي القناة الأولى برنامج "اللهم اشرح لي
صدري" ويجيب فيهما على أسئلة المغتربين من المسلمين..
وهو في إجابته ما زال هادئًا رقيقًا مبتسمًا متفائلًا..
أشد ما يزعج في عودة د. عبد الله أن دار أخبار اليوم
تسلمته وأخذت تصدر له الكتب بمناسبة وبدون مناسبة..
فابتعدت كتبه الأخيرة عن رصانة البحث ودقة الباحث..
أصبحت كتب والسلام تحمل اسم وصورة الدكتور.. أخشى
فقط أن يتحوّل د. عبد الله وهو من القلائل إلى مجرد
مشروع استثماري يربح من خلفه البعض...!!

المحتسب

هو كما وصفه الكاتب الكبير سليمان فياض "ججاج مصر الكبير" وهو كما وصفه د. عبد الصبور شاهين بعد أن انقلب عليه "راجل غاوي شهرة وإعلام".
هو كما يعرفه المثقفون في مصر "المُكفّر الكبير"
هو كما يقول عن نفسه "محتسب مصر الوحيد"
وهو في كل الحالات الشيخ "يوسف البدرى" ..

هذا الرجل الذي لا بد أن تجده وراء كل ضجة كبيرة في مصر، يتقدم صفوف المهاجمين ويمسك بيده أطول حربة، لسانه طويل في الاتهامات والاعتداء على خلق الله الطيبين في قضية نصر حامد أبو زيد كان الأعلى صوتاً رغم أن صاحب القضية من الألف إلى الياء كان د. عبد الصبور شاهين الذي قال بعد ذلك: "إن هذا الرجل يعبد الأضواء ودرس أنفه في موضوع نصر أبو زيد دون أن يكون له فيه ناقة أو جمل". وكان الرجل ضمن الفئة التي وقفت بالمرصاد لفيلم "المهاجر" الذي مُنع عرضه نهائياً من مصر رغم أن الفضائيات العربية ما زالت تعرضه حتى

الآن، أخذته الجلالة كذلك ووقف بقوة وبعنف أمام فيلم "طيور الظلام" ورفع قضية بتكفير يسرا بسبب صورة رأى فيها بعض الخلاعة والخروج عن عاداتنا وتقاليدينا الإسلامية، ورغم أن يسرا كانت تقوم بدور عاهرة في الفيلم وما فعلته لم يخرج بدوره عن كونه دور عاهرة لكن الرجل اعتبر ذلك اعتداء على كل المقدسات واقتحاماً لعالم المحرمات من أوسع أبوابه، ولا تمضي السنوات الطوال حتى يتحول حليف الأمس إلى عدو اليوم عندما يقوم الشيخ يوسف البدري برفع قضية على د. عبد الصبور شاهين يطالب بتكفيره وتقريبه عن زوجته بسبب كتابه "أبي آدم" .. وعلق على هذا الكتاب بقوله: "هذا الرجل تخطى السبعين فهل أبى الله إلا أن يختم له بسوء الخاتمة وهو يذكرني هنا بتوفيق الحكيم حين قال عنه الشيخ الشعراوي ذلك عندما كتب حواراً مع الله آخر أيامه..". لم يتوقف يوسف المحتسب عند د. عبد الصبور شاهين في رفع القضية عليه وحده، ولكنه رفعها أيضاً على شيخ الأزهر باعتباره حامياً للدين في مصر وباعتباره الذي صرح بنشر هذا الكتاب ولم يمانع في تداوله مطلقاً.

ورغم أن يوسف المحتسب أكد أن د. عبد الصبور شاهين سوف يتوب ويتراجع عن جميع كلماته التي وردت في هذا الكتاب.. لأنه كذَّب حديثاً متواتراً ومعروف أن من يفعل ذلك فالحديث قطعي الثبوت قطعي الدلالة، لكن لم يعلن د. عبد الصبور توبته كما كان ينتظر يوسف بل أصر على موقفه وطلب من علماء الأزهر أن ينازلوه ويجادلوه ولم يكن من الأزهر الشريف إلا أن برأ ساحة الرجل وشهد له بالتقوى والورع.. واختفى الشيخ يوسف ينتظر ومنتظر معه قضية جديدة يثير فيها على نفسه وعلى الآخرين تراب الأرض جميعاً.

لكن من هو الشيخ يوسف البدري تحديداً؟!

هو رجل عاش حياته بالطول والعرض.. حصل على ليسانس دار العلوم.. وعمل بعد ذلك مدرساً ثم صحفياً.. ثم داعية متجولاً في أرض الله.. يطل علينا هنا في مصر من وقت لآخر يثير عواصف الغبار ثم يمضي، له عشرة كتب مطبوعة لا ذكر ولا أثر لها.. فليس له كتاب علامة أو اسم.. فكتاباته مثل قضاياها التي يرفعها لا تعدو أن تكون فقاعة هواء، يحاول أن يجتهد في التفسير وفي الحديث وأيضاً في

السياسة حيث كان عضواً في مجلس الشعب.. معارضة طبعاً من أهم مآثره أيام المجلس أنه طالب بوزارة للحسبة ووافق بالفعل الرئيس مبارك عليها بل وأوصى د. عاطف صدقي ببحثها مع الشيخ يوسف وتم هذا البحث بالفعل في مكتب الرئيس في جلسة دامت ساعتين كاملتين.. وإن لم تسفر هذه الجلسة الطويلة عن شيء ملموس..

الشيء الجدير بالتسجيل بالفعل على ضوء قراءتنا لشخصية الشيخ يوسف البدري ومن على شاكلته أن هؤلاء الذين يسعون في الأرض بالتكفير عندما يتحدثون أو يكتبون تجد خطابهم تسوده الرحمة ويملؤه التسامح.. إلا في اتهام الآخرين.

فيوسف البدري أنشأ فرقة مسرحية وألف رواية لكنه أثناء الإعداد لها تراجع تماماً لأنه اكتشف أن المسرح حرام ولا نعرف بالتحديد كيف اكتشف ذلك، يتحدث عن الشعر وحبه له، لا يعترض على الحب بين الشباب ما داموا التزموا أخلاقياً.. وكل ذلك كلام جميل.

هؤلاء أيضاً يعشقون تضخيم ذاتهم فقد تحدث كثيراً عن محاولات أمريكا الجادة لإخضاعه وجعله سهماً يصوبونه

إلى قلب مصر - لا ندري أيضا كيف - ولكنه تغلب على كل محاولاتهم وهو أيضا يؤكد أن د. عاطف صدقي عرض عليه منصب وزير لكنه رفض وبشدة بل قال للرئيس مبارك : أنا أسأل لا أسأل، أنا سائل لا مستأول، أنا مستجوب لا مستجوب، وأنا أحاسب لا أضع نفسي في موضع المحاسبة ولا أقبل أي منصب وزاري.

وهذا طبيعي للغاية.. فالشيخ يوسف البدري ليس أزهرياً ولا يرتدي الزي الأزهرى لكنه يحتفظ بصفة الشيخ، يرفضه شيوخ الأزهر ورجاله ولكنه يُصرّ على أنه واحد منهم.. لا يتمتع بأية شعبية بين الناس، بل يرفضه الشارع المصري الذي هو بطبعه يرفض التضيق والتزمت، وينفر من الذين ينصبون المشانق لخلق الله بمناسبة وبدون مناسبة.. ولذا تراه يلهث خلف الإعلام أينما كان.. يرفع صوته على الجميع وإذا تجرأ أحد ورد عليه جرّره إلى المحكمة يطعن في عقيدته.. ويستعدي الناس عليه.

المحزن بالفعل أن هذا الرجل ينجح في معظم الحالات.. ويزهو نجمه ويرتفع لكن من قال ذلك، فمهما فعل الرجل وعلا صوته واعتراضه فالقاعدة الثابتة تقول:

"أما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"، وكلام الرجل وجعجعته قطعاً سيذهب جفاء...!!

حماس د. هاشم

من بين المسكوت عنه في مؤسساتنا الدينية أن من بين الشروط التي يجب أن تتوافر فيمن يشغل منصب شيخ الأزهر ومنصب المفتي محافظته على الالتزام بالزري الأزهرى، وعلى ما يبدو أن القيادة السياسية تعتقد مثلاً أن الزري الأزهرى مازال يحتفظ في قلوب الناس بوقاره وقدسيته.

ومن غير المسكوت عنه بل هو معروف للجميع ويعلمه الصغير والكبير أن د. أحمد عمر هاشم لم يشاهده أحد ولو مرة يرتدي الزي الأزهرى بل يرتدي الرجل بدلة حديثة ولا اعتراض لنا على ذلك مطلقاً.. لكن مؤخراً ومنذ فترة ليست بعيدة تحديداً يوم الجمعة ١٥/١٠/١٩٩٩ صدر عدد جريدة الشروق صوت الأزهر وفي صفحتها الأولى صورة للشيخ عمر هاشم وهو يرتدي الزي الأزهرى ولا اعتراض لنا أو لغيرنا على هذا أيضاً.. لكنه يوضح

مدى اشتياق د. هاشم لأن يكون شيخاً للأزهر أو على الأقل مفتياً.. فهو من المشتاقين الكبار للمناصب الكبيرة، ويجند الرجل نفسه لذلك ولا يستطيع أحد أن يلومه على اشتياقه هذا أو رغبته تلك.. لكن ما يلام به على الرجل وهو عالم كبير من علماء الحديث هو الطريقة التي يسلكها الرجل من أجل حصوله على هذه المناصب.. وهذه بعض المشاهد.

فبعد أن غزا صدام حسين الكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠ خرج جميع علماء الدين عندنا ينكرون ويستتكرون هذه الفعلة الشنعاء التي لا يقرها دين ولا يتفق معها ضمير ولا يحترمها عقل.. كل قال ما يرضى الله في منتهى الهدوء، لكن د. أحمد عمر هاشم كان ملكياً أكثر من الملك وفي حماس يحسد عليه شن هجوماً طاغياً على طاغية بغداد وكاد الرجل في غمرة هجومه يخرج المتعاطفين مع صدام حسين من زمرة المسلمين، كانت تسبقه دموعه وهو يتحدث عن جريمة العراقيين.. ولم تضع صيحات الرجل هباءً وأصبح رئيساً لجامعة الأزهر خلفاً للدكتور عبد الفتاح الشيخ الذي كان بدوره مؤيداً لكل قرارات الحكومة.. لكن نبرته في التأييد كانت أقل، وحماسه في المباركة كان أبرد.

وبعد أن تولى الرجل رئاسة الجامعة وخرجت بعض الأقسام تتساءل عن مخالفاته فيها وعن كم الشكاوى الكبير للغاية من طلبة الجامعة ومن الأساتذة وكلها تنصب حول مجاملة أقاربه وتفضيله لهم عن الآخرين.. وبنفس الحماس نفى الرجل كل ما نسب إليه من مخالفات دون أي مستند، فهو فقط فوّض أمره إلى الله فيمن عارضوه وقدموا في حقه، جمع ببساطة كل ما قيل عن مخالفاته في الجامعة وألقى به في أول صندوق زباله ومضى يمارس حياته كما كانت بالضبط..

وعندما هبَّ جميع المسؤولين بالدولة يجرون الناس جراً لمبايعة الرئيس، لم يتراجع ولم يتخاذل د. عمر بل كان بحماسة المعهود داعياً إلى مبايعة الرئيس بكل حركاته وسكناته.. وظل الرجل ينتظر لكن انتظاره طال فلم تذهب إليه الوزارة.. فهُرِعَ إلى الزي الأزهرى لعل وعسى يكون في قادم الأيام خير...!!

ولكن لم تحمل الأيام للدكتور عمر أي خير.. بل على العكس أحاطت به الغيوم... وأقعته أحوال مصر المضطربة في شرك أظهر الرجل على حقيقته..

وكشف عن وجه قناع السماح والسماحة.. وظهر الوجه الحقيقي فبدا الرجل متزمتاً.. وسطحياً.. ثم وهذا هو الأهم عنده على الأقل وكان يرجو ألا يحدث، بدا الرجل مغضوباً عليه من الحكومة ومن رجالها المقربين والذين بأيديهم المنع والمنح.

نقصد ما فعله الرجل وما قاله.. أثناء أزمة رواية "حيدر" وليمة لأعشاب البحر" التي تحدثنا عن تفاصيلها في حضرة شيخ الأزهر - تلك الأزمة التي عاشتها مصر - سهرت على أحداثها، لفتحها حرارة تصريحات التكفير والقتل من رعوس الجماعات الإسلامية ومن رجال الأزهر أيضاً. لم يكن د. هاشم بعيداً عن أوار المعركة.. والسبب أن طلبة الأزهر الذين هم من رعايا الدكتور خرجوا بمظاهرات عارمة.. أطاحت بالنوم من عيون أهالي المنطقة المحيطة بجامعة الأزهر، فقد سمعوا - ولاحظوا اللفظ - أن هناك رواية تسب الله ورسوله أصدرتها وزارة الثقافة، مظاهرات طلبة الأزهر التي كان لها أسباب كثيرة وليست الرواية وحدها.. لكنهم صبروا على الضغوط والقهر الذي عصرهم في الجامعة إلى أن جاءت شرارة الرواية فانفجروا..

هذه المظاهرات وضعت د. هاشم في حرج فكيف يتظاهر أبناؤه.. وحتى لا يكون هؤلاء الأولاد سبباً في إفساد كل ما يخطط له الرجل وانتقل من فوره إلى الجامعة وعمل على تهدئة الطلبة وطمانهم إلى أنه سيقوم بكل ما يقدر عليه من اتصالات حتى يسحب وزير الثقافة الرواية السافلة من الأسواق.

كان المشهد الثاني الذي ظهر فيه د. هاشم.. مشهداً جرت أحداثه في اللجنة الدينية بمجلس الشعب والتي هو رئيسها.. حيث صرح بأن هذه الرواية يجب أن تحرق ويجب أن يقتل كاتبها لأنه مرتد.. ويجب أن تتم محاسبة من قاموا بنشرها.. وكان بيان اللجنة الدينية الذي خرج ليعبر عن رأي مجلس الشعب وكأنه بيان كتبه الجماعات الإسلامية المتطرفة، وليس عالمًا يُدرّس الحديث لطبقة الجماعة.. ويعلمهم من بين ما يعلمهم حديث الرسول ﷺ "يسروا ولا تعسروا.. وبشروا ولا تنفروا..".

ويبدو أن الحكومة لم يعجبها موقف رئيس جامعة الأزهر الذي زاد بدوره النار اشتعالاً، فسنت عليه قلم إبراهيم سعده الذي هاجم وبضراوة د. هاشم في الصفحة

الأولى من جريدة "أخبار اليوم"... واحتل مقال سعده الصفحة الأولى بكاملها وهو أمر لا يفعله إلا في الشئون الخطيرة للغاية.. شعر د. هاشم أن البساط ينسحب من تحت قدميه.. فصورته التي ظل يرسمها بمهارة حتى تحوذ إعجاب الجميع بدأ البعض في تشويهها، ولذا كانت انتفاضة في مجلس الشعب.. وكان هجومه ورغبته في الإطاحة بكل الصحفيين الذين هاجموا موقفه، ولأن حماس الرجل كان أكثر من اللازم هذه المرة فقط طاشت كلماته.. حيث جاء برأس الحكومة ووضعها في مرمى السهام مدعيًا إن إبراهيم سعده يسب ويلعن الحكومة.. ولا بد من التوقف أمامه بحزم.

طيش الكلمات ومراهقتها جعلت الوزير كمال الشاذلي يقف بصلافة ليمنع النار التي صب عليها د. هاشم البنزين.. وهاجم بدوره د. هاشم ومنعه من الكلام.. فالحكومة تستطيع أن تدافع عن نفسها جيدًا في مواجهة من يعتدون عليها، وهي لا تريد جهود السيد الدكتور، ليس ذلك فقط.. فقد حذر الشاذلي هاشم من تسرعه وطريقة حديثه ومعاملته الصحف فالصحافة حرة ولا يجوز استعداد الحكومة عليها، كل ذلك كان من الممكن أن يحتمله د. هاشم.. لكن الطامة الكبرى أن

الشاذلي ألمح لهاشم.. أنه يفعل ذلك وهو مجرد رئيس جامعة.. فماذا كان سيفعل لو كان وزيراً وهاجمته الصحافة، والصحافة عندنا تفعل ذلك كثيرًا هذه الأيام.

كانت هذه رسالة قصيرة مؤداها أن الدكتور إذا أراد أن يصبح وزيراً كما يشتاق فعليه أن يحتاط لنفسه وأن يضبطها فلا يفعل.. لأن الانفعال ليس في صالحه، بعد ذلك لم نسمع للدكتور هاشم تصريحات نارية أو هجومًا على أحد.. ولكنه حتى لا يخرج الحكومة أكثر من ذلك اكتفى بأن يُعرض بالذين يهاجمون أولياء الله الصالحين.. فهو لاء لهم النار وبئس المصير "فمن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب".

هذا فقط غيض من فيض من أداء د. عمر هاشم، فالحماس مطلوب، لكنه في أحيان كثيرة.. يصبح سبباً في خراب البيوت وضياع المناصب.. وكشف نوايا الرجال أيضاً.

@@@ بيزنس د. ياسين

هو الشيخ ياسين رشدي الذي ظهر في منتصف التسعينات كأحد الدعاة الكبار من خلال الإعلانات التليفزيونية عن كتبه التي أخذت كلها عنوان "الطريق إلى الله"، ملامح الرجل كلها كانت تؤكد تقواه وورعه وعمق علمه.. لكن ظلت إطلالة الرجل على الناس من خلال إعلانات التليفزيون فقط، فلم يقدم برنامجًا خاصًا به مثلاً، ولم يسع إليه أحد كي يستضيفه في برنامجه، ولكن شهرته طالت واستطالت عن طريق القصص والحكايات التي رويت عنه.. وفجأه اختفى الرجل.. فلم تعد هناك إعلانات عن كتبه، وإن ظلت كتبه على الأرصدة وفي أكشاك بيع الكتب.. وأصبحت سيرته تأتي مثل الطيف..

فبعد وفاة الشيخ الشعراوي كان أحد المرشحين لخلافته وملء فراغه لكن الناس قلبوا في دفاتر ذكرتهم وقالوا ياه.. هو الرجل ده لسه عايش..!! ولم يعلق الناس عليه آمالهم كثيراً خاصة وأنه لم يقدم من العلم سوى كتبه ومن الدروس والخطب سوى عدد قليل في أحد مساجد الإسكندرية.

ومرة أخرى ظهر الشيخ ياسين رشدي ولكن هذه المرة في صفحات الحوادث فقد حاول شخص معتوه.. هو دائماً معتوه.. الهجوم على الشيخ بعد صلاة العصر يريد قتله، قالت الصحف.. خاضت في أسباب ودوافع الحادث وقالوا إن المعتدي شخص راغب في الشهرة.. وأخذ من اعتدائه على الشيخ الكبير وسيلة لتحقيق ذلك..!!

المررة الثالثة التي ظهر خلالها.. أو بمعنى أصح يظهر خلالها.. الشيخ ياسين رشدي هي مواسم الحج.. نعرف السبب ثم نسأل.. والحكاية أن الشيخ ياسين رشدي يمتلك جمعية إسلامية تقوم بتنظيم أفواج حج لأبناء الإسكندرية، ولا مانع من أن يمتلك الرجل جمعية أو مائة حتى، ولكن وجود الرجل على رأس هذه الجمعية هو بمثابة الترويج والترغيب في الحج من خلال هذه الجمعية بالذات.

وهو أسلوب اتبعته معظم شركات السياحة التي تنظم رحلات الحج والعمرة، فهي تقوم بالاتفاق مع شيخ شهير أو واعظ معروف عند الناس ليسافر مع بعثة الحج مقابل مبلغ محترم، وهذا المبلغ المحترم يتوقف على عدة عوامل منها اسم الواعظ ومكانته الدينية وخبرته السابقة في مسألة

الحج، الرجل من المؤكد أنه يبغى رضا الله، ولكن إلى جانب رضا الله لا مانع مطلقاً من الكسب المادي الكبير.

الشيخ ياسين رشدي في الحقيقة ليس له تأثير كبير في كتاب الشيوخ في مصر فقد ظهر في أقل من سطر واحد، ظهر مثل اللمحة، لكنه يضع في أيدينا بداية خيط الحديث عما يمكن أن نسميه بيزنس الشيوخ.. فهل مسموح للشيوخ في مصر أن تكون لهم أعمالهم وتجارتهم الخاصة.. أعتقد أنه مسموح حيث إنهم ليسوا حكاماً دائماً هم في بؤرة السؤال عن أموالهم.. ولكن تظهر إشكالية أخرى وهي استخدام الشيوخ أو عالم الدين مكانته في جلب الناس إليه في الحصول على أموال المصريين باسم البركة.. والإسلام.. وأعتقد هذه المرة أن هذا ممنوع.. وهذا على الأقل حكم العقل.

زمن محمد حسين يعقوب

عرفته تحديداً من سائقي الميكروباص.. ومن أجهزة الكاسيت التي لا تكف عن الصياح في المقاهي ومحلات العصير، انتشر كما تنتشر النار في الهشيم.

مشهد.

"شاب ملتج لحيّة خفيفة أعطى لسائق ميكروباص شريطاً وضعه الرجل مبتهجاً في الكاسيت وبدأ الشيخ يتحدّث عن الصلاة وترغيب المسلمين فيها.. بعد أن انتهت خطبة الرجل التي ظهر من خلالها جده أسلوبه وقدرته على جذب الأذهان والقلوب.. أعاد السائق الشريط لصاحبه فقال له الشاب.. بل الشريط هدية لك بشرط أن تذيعه على كل من يركب معك.. فعسى الله أن ينفعمهم وينفعك بثوابه".

ظهور محمد حسين يعقوب وخطبه التقليدية (الصلاة. عذاب القبر - الجنة وما فيها من ثواب - البكاء على أحوال المسلمين - الحجاب وضرورته...) ليس جيداً علينا.. وشهرته التي بدأت تهز عروش شيوخ آخر ليست

جديدة أيضاً، فما أشبه اليوم بالبارحة.. وعندما يعود الناس بذاكرتهم للوراء لسنوات قليلة سيرصدون بزوغ نجم د. عمر عبد الكافي والذي انتشرت شرائطه في البيوت وبين الشباب وأصبح الدكتور عمر هو الواعظ الأول يردد الناس حكمه وأحكامه.. ويرون مواقفهم التي تضح بالحكمة والفهم العميق لدوره كواعظ، ومن بعد د. عمر خرج وازدهر الشيخ محمد حسان بشرائطه الكثيرة فكلماً ولأيت وجهك وجدت له شريطاً، وزاد عدد أتباعه ومريديه وتقلّوا خلفه في مساجد المنصورة والقاهرة والسويس.. وأصبح هو مرة أخرى الواعظ الكبير الذي لا يشق له غبار وانتشرت شرائطه في سيارات الميكروباص واستمع لها الناس سواءً رغبوا في ذلك أو لم يرغبوا، فأنت حتى لو عزفت عن سماع موعظته فليس أمامك إلا السكوت حيث إنك لا تستطيع أن تجهر برغبتك في عدم السماع حيث ستجد ألف من ينظر لك شذراً.

ويبدو أن الدور جاء على محمد حسين يعقوب - لا تهمنا حياته الخاصة - الذي هو نجم هذه السنوات، فارسها الأول، وواعظها الكبير، شرائطه بدأت تزيد في

العدد، دون تنوع مطلوب، فلا جديد تحت شمس بلدنا السعيدة.

الغريب أننا نعرف أن هؤلاء الشيوخ يعرفون بعضًا جيدًا ولا يكفون عن ترديد آيات الإعجاب والتثاء على بعضهم البعض، وهو ما يجعلنا نتساءل عن سبب انصرافهم عن تكوين مشروع كبير للدعوة الإسلامية، لماذا يتحدثون في نفس الموضوعات، وهل خات حياتنا من الموضوعات المهمة والتي تتعلق بمستقبلنا ومكاننا بين الأمم في القرن الجديد الذي يبدو أنه لن يرحم أحدًا، الواضح أنهم يعتقدون أن الحديث عن الدين يجب أن يكون حديثًا سلفيًا.. وعندما يصلون إلى عصرنا لا يفعلون أكثر من صب لعناتهم على من حلق لحيته ومن خرجت سافرة دون حجاب.. وأصرّوا على أن هذه هي النهاية التي ما بعدها نهاية.

أوجه الاختلاف بين شيوخنا تافهة وساذجة ومنها مثلاً أن عمر عبد الكافي اكتفى فقط بتسجيل خطبه على شرائط وتوزيعها.. لكن محمد حسان إلى جانب الشرائط قام بتفريغ هذه الشرائط ونشرها في كتب وبيع الشريط إلى جانب الكتاب حيث يكون الرجل مسموعًا ومقروءًا، وعندما جاء

يعقوب أخذ بأسباب التطور وطبع خطبه على C.D وكله في سبيل تسهيل سماعهم وجعلهم في أماكن الجميع، فهم يسايرون العصر في وسائل نشر دعوتهم، لكن مسايرة العصر في مضمون دعوتهم فهو أمر مرفوع دائماً من الخدمة.. وعن السبب طبعاً لا تسأل لأن الإجابة معروفة للجميع وفي مقدمتهم شيوخنا الأفاضل...!!

ودعونا نسمع فقط لواحدة من مواضع حسين يعقوب الزاعقة.. فربما نفهم كيف يفكر هؤلاء الشيوخ.

حسين يعقوب يتحدث عن الموسيقى والغناء - معظم شيوخ التطرف تحدّثوا قبل ذلك عنهما - وللرجل طريقة في الخطابة أشبه بمهرج السيرك الذي يتقن في إجادة ألعابه البهلوانية حتى يحصل على تصفيق الجمهور، فهو يحرص في المقام الأول على جذب انتباه جمهوره يطلب منهم الصلاة على النبي أكثر من خمسين مرة في الخطبة الواحدة، يتوجه بحديثه مباشرة إلى شخص بعينه من الحاضرين، يتوجه أحياناً لبعض الحاضرين بالسؤال الذي لا ينتظر عليه إجابة بل يجيب بنفسه، وبهذه الطريقة الملتوية المطعمة ببعض القفشات - التي تحمل ثقل ظل يحسبه

الرجل ظرفاً وهو في الحقيقة استظراف - أصدر الرجل حكمه على الغناء (ولاحظ أننا نقول حكمه وليس حكم الإسلام).

رحمة بك لن نسرد عليك نص الخطبة العصماء التي ألقاها الرجل على مرديه.. ولكن فقط هذه بعض النقاط المهمة بها، فالرجل يصف الغناء بأنه بلية من البلايا التي أصابت المسلمين فأزاحتهم عن دينهم وزلزلت عقيدتهم حتى جعلهم استماعهم للغناء يأخذون القرآن مهجوراً وهو بذلك يساوي بين المسلمين الموحدين وبين الكفرة من قريش الذين اتخذوا من القرآن مهجوراً، الغناء عنده ليس بلية فقط، ولكنه مصيبة أصابت شباب وبنات المسلمين بل وكهولهم وشيوخهم؛ لأنه يعتبر أن الغناء يشغل المسلم عن القرآن وكل ما يشغل عن القرآن هو شؤم على المسلم، هكذا يقول الرجل.

ينزل يعقوب بعد ذلك إلى أرض الواقع مع الناس ويخبر مستمعيه بأنه كلما ركب تاكسيًا أو ميكروباصًا أو مرَّ بمحل وسمع صاحبه يشغل شرائط الأغاني سأل السائق أو صاحب المحل: بالله عليك القرآن أحسن أم سماع

الغناء.. ولم يقل له أحد أبداً إن الغناء أفضل حتى لو كان فاسقاً، أمّا الذين قالوا للشيخ يعقوب، إنهم يسمعون الغناء والقرآن على مبدأ ساعة لقلبك وساعة لربك رفض قولهم واتهمهم بأنهم يجرون وراء الشبهات ووراء البدع.. وسأل بدوره سؤالاً مستظرفاً وليس ظريفاً قال: هل ساعة لقلبك وساعة لربك تعني ساعة تسمع الحصري وساعة تسمع عمرو دياب.

هذا المنطق بالطبع يصيبك بالدهشة فلا أحد من الناس البسطاء الذين يسمعون الأغاني يشبهون القرآن بالأغاني أو يضعونها في سلة واحدة.. فالقرآن له قدسيته ومكانته عند الناس والأغاني عندهم لها وقتها يروّحون بها عن أنفسهم أحياناً ويسمعونها في أفراحهم ومناسباتهم السعيدة أحياناً أخرى.. لكن يعقوب وأمثاله هم الذين يضعون القرآن في وجه الأغاني جملة واحدة ثم يذرفون الدمع بعد ذلك على المسلمين الذين فضلوا الأغاني على القرآن..!!

لا يقول يعقوب إن الغناء حرام فقط، ولكنه يعطي نفسه حجماً أكبر وقدراً أضخم.. وإليك بعض ما قاله.. يتبأ الرجل بأن الذين يستمعون كلامه وهو يُحرّم الأغاني

سيقولون يا عم ده عاوز يضحك علينا.. مع أنه وكما يقول
يحب المسلمين ويريدهم أن يدخلوا معه الجنة لأنهم بسماعهم
الأغاني يعتبرون عصاة ولن يدخلوا الجنة.. دعنا من دخولنا
الجنة الآن ولنسأل الشيخ الجليل وما الذي أعلمه أنه سيدخل
الجنة.. هل يزكي نفسه على الله أم أنه يعلم من سيدخل
النار؟! نعتقد أنه لو كان يعرف ماكنش حد غلب!!

هذه واحدة.. الثانية أن الرجل يسخر من كل العلماء
الذين حللوا الأغاني بل قال في استظراف - واعذرني إن
كررت كلمة الاستظراف كثيرًا فهو كثير في الشريط - يعني
أجد من يقول لي إن الشيخ فلان قال الموسيقى حلال أو إن
الشيخ عكروت "وهذه كلمته بالنص" قال هذه نقرة وهذه
نقرة.. بل هو يرفض كل اجتهاد يقوم به العلماء المعاصرون
ويستشهد بأن القرآن قال: ﴿ومن الناس من يشتري لهو
الحديث ليضل عن سبيل الله﴾ وقد قال عبد الله بن مسعود
عن هذه الآية: "والذي لا إله إلا الله إنه الغناء".. وحتى
يرهب الناس فيسمعوا كلام ابن مسعود وحده يورد من كتاب
إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ما نصه "ليعلم طالب العلم
أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين

"وهما البخاري ومسلم" حديث مسند!! يا سبحان الله فالرجل يساوي بين اجتهاد الصحابة وبين أحاديث النبي الصحيحة لا لشيء إلا ليروا اجتهاد العلماء المعاصرين الذين قالوا بأن الغناء حلال لا شيء فيه.

اللامنطق واللاعقلانية هي المسيطرة على الرجل الذي يقول: عندما أقول لك إن الأغاني حرام وتسمعي أقول قال الله وقال الرسول فيجب أن تقول سمعاً وطاعة وتكون بعد ذلك مبسوط ومرتاح وإن لم تكن مبسوطاً ومرتاحاً بعد أن تقلع عن سماع الأغاني فيجب أن تجاهد نفسك حتى تكون مبسوطاً ومرتاحاً!!.. فما يقوله وحده هو الصواب حتى لو كان ما يقوله هذا مجرد اجتهاد وصل إليه بفهمه الخاص والذي لا تقتنع أنه يصل إلى فهم شيوخ في قامة الشيخ محمد الغزالي ويوسف القرضاوي ود. سيد طنطاوي ود. نصر فريد واصل الذين قالوا في حكم الموسيقى والغناء قولاً حسناً لكن ماذا نقول عن شيخ أخذه الغرور حتى ظن أن المسلمين جميعاً جماعته وهو أميرهم الذي إذا قال شيئاً فما عليهم إلا أن يقولوا سمعنا وأطعنا.

لا يتوقف الأمر على ذلك فالرجل يصف الغناء بأنه
دقية الزنا ومنبت للنفاق ويمسح القلوب وهو عنده الإثارة
والفتنة، بل قال غير مبالٍ لما يقول لو قدر للمرأة أن تحمل
من شيء غير ماء الرجل لكان من الغناء.. لأنه يعتبر
الأغاني تحرض على الجنس والفسوق (!!)) ولذا قال وببساطة
يحسد عليها إن المذاهب الأربعة تحرم الغناء وإن جزاعنا إن
استمر سماعنا للغناء هو الخسف والنسف والحرق. ولیمسخر
قوم وهم على أريكتهم قرده وخنازير.. لماذا يا مولانا..
قال لأنهم يشربون الخمر ويضربون على القيام والبرابط..
وما البرابط يا سيدنا قال آلة موسيقية تشبه العود.. ومعنى
ذلك أن ملوك العود جميعاً في النار.. فرياض السنباطي
وفريد الأطرش وحتى نصير شمة في النار.. مع علمنا
أن العود ليست من نغماته إثارة جنسية أو دغدغة مشاعر..
ولكن نغماته تهذب النفس وترقي المشاعر.

ما رأيكم إذا تركنا هذا الغناء قليلاً وسجلنا آراء بعض
علماء الإسلام الذين يقتنعون بأن أفضل ما جاء به الإسلام
هو حب الحياة وتعلم الناس كيف يعيشون حياتهم في رحابه
وسنته.. ولنبدأ بالمجتهد الكبير الشيخ محمد الغزالي الذي

قال: "جميع الأحاديث التي وردت في تحريم الغناء وآلاته تتبعها الإمام ابن حزم وقد وصل إلى نتيجة مهمة هي "كل هذا لا يصح منه شيء وهي أحاديث موضوعة" وقد اتفق معه في الرأي الإمام الذهبي في "ميزان الاعتدال" وابن حجر في "لسان الميزان" وأشهر حديث يروى في هذا الشأن هو حديث البخاري "ليكونن من أمتى قوم يستحلون الحرّ والحريم والخمر والمعازف" وهو حديث لم يورده البخاري مسندًا وإنما قال فيه قال هشام بن عمار ثم هو إلى أبي عامر وإلى ابن مالك "من جلس إلى قنية - مغنية - صبّ في أذانه الأנק - وهو الرصاص المذاب - يوم القيامة".

الشيخ الغزالي يقول عن حديث البخاري إنه معلقات البخاري لا يؤخذ بها، والأحاديث التي وردت في ليلة النصف من شعبان هي أقوى من الأحاديث التي وردت في تحريم الغناء!! وحتى لو سلمنا بصحة سند حديث البخاري فإن بعض العلماء قالوا إن التحريم هنا هو لاجتماع الخمر مع الغناء في وقت واحد لا ينصرف للغناء فقط، أمّا بالنسبة لآلات الموسيقى فإن ابن حزم يقول "وبيع الشطرنج والمزامير والعيوان والمعازف والطناوير حلال كله ومن كسر

شيئاً من ذلك صمته وبالتالي فإن حكم الآلات المستحدثة
يؤخذ بالقياس على الآلات القديمة.

وحتى يكون الموضوع أكثر إيضاحاً فإن الشيخ
الغزالي كان يرى أنه لا يمكن تحريم الغناء الذي يتحدث
عن الغزل الشريف وشرح عواطف المحبين وارتقاب جمع
الشمّل الذي يحوي مشاعر جديرة بكل إعزاز، وإذا كان
البعض يحرم الغناء بسبب بعض الهبوط الموجود في البيئة
الفنية فإن الإنصاف يقتضي أن نقول إن هناك رجال دين
يعيشون بلا دين وهناك فنانون لا يساوون قلامة ظفر بينما
هناك أيضاً من صليت معهم من جماعات عامة ومن رأيتهم
في قوافل الحجاج والعمّار يؤدون المناسك بأدب وتقوى،
وقد مدح الرسول ﷺ صوت أبي موسى الأشعري قائلاً:
"لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل دواود" ولو كان المزمار
آلة رديئة لما قال ذلك، وقد سمع رسول الله ﷺ صوت الدف
والمزمار دون تخرج، ولا أدري من أين حرّم البعض
الموسيقى ونفراً من سماعها؟

ويعلق د. محمد عمارة على الأحاديث التي تحرم
الغناء قائلاً: "هذا الأحاديث معلولة وليست صحيحة بمقاييس

علم الجرح والتعديل، وهناك وقائع حدثت في عصر النبوة داخل بيت النبي وتعتبر شواهد مادية تعلن عن إباحة الغناء، منها حادثة أقرَّ فيها النبي غناء فتاتين غننا بأشعار تتحدث عن ذكريات ووقائع الحرب في التاريخ وعندما اعترض أبو بكر على ذلك اعترض عليه الرسول مؤكداً إباحته للغناء".

قد لا يعجب شيوخ التطرف كلام الغزالي وعمارة مع أنهما الأكثر قرباً إلى عالم الاغاني الحديثة ويجب أن نأخذ برأيهما في هذا الأمر وليس برأي من لم ير ولم يسمع خاصة وأنهما تحدثا في ضوء الكتاب والسنة.. ومع ذلك هذه كلمات كتبها الإمام أبو حامد الغزالي من كتابه الشهير "إحياء علوم الدين" يقول الرجل: "من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص بعيد عن الاعتدال بعيد عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة" والكلام لأبي حامد الغزالي العالم والفقيه وليس

مثلاً لإبراهيم الموصلى المغني حتى يقول الذين في قلوبهم
غرض إن الرجل له مصلحة.

لم نعرض لهذا الشريط ولآراء العلماء المجتهدين من
أجل افتعال معركة وهمية حول تحريم الغناء أو تحليله لسبب
بسيط أن ما قاله شيخنا الجديد ليس جديدًا بالمرّة.. ولكن
خطبته جاءت من أجل إثبات نفسه ودوره وحرصه على
أن يفوز بالجنة التي يحسبها مصير المجاهدين حتى لو كانوا
مجاهدين ضد الغناء والموسيقى.. ويأتي جهاده هذا ساخرًا
مستقزًا وأحيانًا شاتمًا لأهل الفن والذين يحلون لهم أعمالهم،
ويكاد الرجل لولا الملامة أن يُكفّر هؤلاء الشيوخ ولماذا
نذهب بعيدًا فقد كُفرت بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة
الشيخ محمد الغزالي بسبب آرائه في الغناء والموسيقى
والمرأة.. مع أن الرجل لم يقل كلامًا ينافي العقل أو المنطق.
ما يقوله هذا الشيخ وأمثاله هو الذي يتنافى مع العقل
بل يلغي العقل تمامًا.. ونظن أن هذه هي المعركة الكبرى
مع هؤلاء، فالغناء الذي يعتبرونه مقدمة للزنا ولموت القلب..
ولخراب الأمم هو في الوقت نفسه يقيس به العقلاء والحكماء
حضارة الأمم ورقبهم وتقدمهم.. فإذا أردت أن تعرف مدى

تقدم أمة فانظر إلى كلمات أغانيها.. ثم إن شعوب العالم كلها تغني ولم نسمع أن دياناتهم السماوية منها وغير السماوية تضيق على الناس وتحرمهم من متعة الغناء.. أم أن المسلمين وحدهم قُدِّرَ عليهم أن يبنتليهم الله بخطباء فقدوا العقل والتمييز فيقبلون حياة الناس إلى جحيم ويرجون أن تتحول الحياة إلى خراب يجلسون على تله.

نعترف أنه ليست كل الأغاني محترمة وتستحق الدفاع عنها، فلدينا أغنيات يجب أن يضرب أصحابها بالنار.. لكن في الوقت نفسه لدينا تراث ضخم من الأغاني الجادة والمحترمة الدينية والوطنية والعاطفية تبعث على الراحة والاطمئنان، بل إن بعض الأغنيات تُقربُّ الناس من الله - شادية ختمت حياتها الفنية بأغنية جميلة "خذ بإيدي"، بل إن بعض الأغنيات تؤثر في وجدان المسلمين الذين يخاف عليهم السيد يعقوب ويرغب أن يدخلوا معه الجنة التي ضمنها لنفسه، وعليه أن يراجع فقط أغنية "القلب يعشق كل جميل" أو أدعية عبد الحليم حافظ الدينية بما فيها من صوفية وعمق، فهي أكثر تأثيراً من خطبه الزاخرة بالاستطراف وثقل الظل وغياب العقل.

اسمع كلامي فقط يا عم يعقوب و اسمع "القلب يعشق"
وستقلع تمامًا عن كل ما تعتقده في الغناء والموسيقى.. نسأل
الله لك الهداية!!

عمرو خالد.. شعراوي أولاد الذوات!

في صيف ١٩٩٨ وبعد وفاة الشيخ الشعراوي، بحث الجميع عن البديل، وطففت على السطح أسماء كثيرة، بعضها كان منطقيًا مثل د. عبد الله شحاتة الذي كان معروفًا أيام الشعراوي، وما زال معروفًا حتى الآن بعد أن زادت كتبه، وشرائطه، وبرامجه التليفزيونية أرضية وفضائية، لكن بعض الأسماء كانت غير منطقية بالمرّة مثل د. مصطفى محمود، فهو يقدم العلم والإيمان.. ويتحدث في الدين ويفتي بعض الأحيان في أي شيء وكل شيء..

بعيدًا عن هذا الجدل الذي لم يكن واقعياً بالمرّة.. كان عمرو خالد يحضر عيد ميلاد ابن أحد أصدقائه في نادي الصيد، طلب عمرو من الحاضرين أن يلقي عليهم كلمة قصيرة لتهنئة صاحب عيد الميلاد، تكلم عمرو يومها عن الاحتفالات بالمناسبات الاجتماعية، وألحَّ على الحاضرين أن يجعلوا من احتفالاتهم في صالح الإسلام وفي خدمته، أعجب أصدقاء عمرو بطريقته في إلقاء الدروس وطالبه

بعضهم بقاء أسبوعي يشرح لهم فيه أمور الدين، ويجب على بعض أسئلتهم.

تعددت اللقاءات الأسبوعية واتسعت دائرة المستمعين وانتقلت أخبار خالد إلى معظم أعضاء نادي الصيد، وأصبح له عدد كبير من المريدين يحرصون على سماع دروسه ويتناقلون أخباره ويقبلون عليه.

كان الإقبال على عمرو مشابهاً لما حدث مع عمر عبد الكافي من قبل.. ولذا كان منعه من الخطابة وإلقاء الدروس في نادي الصيد أمراً طبيعياً، فقد مُنِعَ عبد الكافي من قبل بسبب آرائه المتطرفة، ومع أن عمرو لم تكن له -وحتى الآن- أي آراء متطرفة.. لكنه مُنِعَ من الخطابة، وأغلب الظن أن المنع جاء من باب الحذر.. وقيل أن تحدث الكارثة ويصبح نادي الصيد مرة أخرى مصدراً لشيوخ التطرف.

افتقد جمهور نادي الصيد دروس عمرو خالد.. لكنهم لم يعدموا وسيلة اللقاء به فعقدت له جلسات في بيوتهم.. وأصبحت الدروس تُلقَى على مسامع سيدات المجتمع، وبعض رجال الأعمال والفنانات ولاعبي الكرة..

وأثناء هذه الدروس ظهر شخصان التقى بهما عمرو كانا لهما تأثير كبير في مسيرته، تغير مصيره تماماً، كان من الممكن أن ينتهي الأمر بعمرو خالد بعد منعه من نادي الصيد إلى مجرد شاب مثقف دينياً يجيد الحديث ويعرف بعض المعلومات عن الشؤون الإسلامية، يتحدث بها وعنهما في بيوت أصدقائه ومحبيه.

اللقاء الأول كان مع ياسمين الخيام التي وضعت كل إمكانيات جمعية الحصري الخيرية تحت أمر عمرو خالد، الجمعية التي تُشرف عليها ياسمين ابنة الشيخ الحصري لها أنشطة مختلفة منها تسهيل الحج والعمرة.

الجمعية خصصت لعمرو المسجد التابع لها، وظل يلقي فيه دروسه ومواعظه مدة طويلة، كانت ياسمين تشرف خلالها على تنظيم جلسات البنات اللاتي يحضرن الدروس، وكان معظمهن من بنات الجامعة الأمريكية، كانت ياسمين تختار كل مرة بنتاً أو بنتين، وتحدث معهما على انفراد عن أهم الموضوعات التي تشغل بالهما، والتي ترغبان في أن يتحدث فيها عمرو، وفوجيء البنات بأن عمرو يتحدث

فيها.. دور ياسمين مفهوم .. إذن، فهي كانت حلقة الوصل بين عمرو وجمهوره.

اللقاء الثاني كان مع رجل الأعمال الهارب حالياً محمد جنيدي، تعرّف جنيدي على عمرو في بيت أحد أصدقائه الذي كان يلقي فيه دروسه، دعاه إلى مارينا وبعدها انتقلت دروس عمرو خالد إلى مارينا والتقاء الشباب هناك واستمعوا إليه، واعتبروه نجماً جديداً يغزو حياتهم فاستسلموا له وأقبلوا على شرائطه واستمعوا لها في نهم!

النقلة الكبرى في حياة عمرو خالد كانت عندما وصل إلى مسجد "المغفرة" بالعجوزة الذي كان يلقي فيه درساً يوم السبت من كل أسبوع، ويتحول الشارع إلى مولد كبير يشهد اشكالاً والواناً مختلفة من البشر، وكل يأتي، وفي رأسه هدف، البعض يأتي لسمع والبعض يأتي ليبيع ويشترى، والبعض يلحق بقطار الظاهرة الجديدة ليقول لأصدقائه ومن حوله إنه يسمع الأستاذ عمرو خالد.

وكان لا بد للنجومية أن تكتمل، فعمرو أصبح اسماً يعرفه الجميع، ويقبل عليه الجميع والنتيجة المنطقية أن الجميع يستغله، فعلتها إحدى الشركات التي تعمل في

تسويق المنتجات الثقافية والتربوية والتعليمية والترفيهية، أنتجت الشركة لعمرو خالد مجموعة العبادات، ومجموعة الأخلاق وتحظى بإقبال هائل من الشباب، اتفقت الشركة مع الأهرام على تسويق شرائط عمرو خالد مع إصدارتها، ووزعت شرائطه بالفعل على مجلات "تصف الدنيا" و"الأهرام الرياضي" و"الأهرام الاقتصادي" و"الأهرام العربي" وحملت إلى جانب اسم الشركة المنتجة أسماء شركات أخرى، فشرائط عمرو أفضل وسيلة للإعلان عن منتجاتها.

ومن الصحافة إلى التلفزيون، كان أول ظهور تلفزيوني لعمرو خالد من خلال برنامج إعلاني عن الحج موّله أحد رجال الأعمال، ويستعد عمرو حالياً لتصوير برنامج تلفزيوني تذيعه القناة الثانية في رمضان بعد أن نجحت ميرفت رجب قبل أن تترك التلفزيون في الفوز به من بين أنياب محطة فضائية أخرى كانت تسعى للاتفاق مع عمرو ليقدم منها برنامجاً يلقي فيه دروسه ومواظمه.

اختيار خالد للتلفزيون المصري وتفضيله على القنوات الفضائية يعكس ذكاءه الشديد، فهو من خلال التلفزيون المصري سيطل على جمهوره الحقيقي الذي يشتري شرائطه

ويتابعه، ويهتم به.. ولا بد أن عمرو يعلم أن مصر في الدعوة مثل مصر في الغناء، من أراد أن ينطلق فعليه أن يبدأ منها، ومن خلال تليفزيونها حتى ولو كان الاتفاق المادي أقل.. فالعائد المعنوي سيكون مجزيًا ما في ذلك شك.

وُلِدَ عمرو خالد عام ١٩٦١، يحمل على كتفيه إذن ثمانية وثلاثين عامًا، حصل في بداية الثمانينيات على بكالوريوس تجارة قسم محاسبة من جامعة القاهرة وليس حاصلًا على شهادة جامعية في التسويق من الجامعة الأمريكية، كما يردد البعض، وقد يكون مصدر هذا الخلط أن عمرو يردد دائمًا أنه يسوق الدين للناس بطريقة تجعلهم يقبلون عليه ولا ينفرون منه.

فكرة التسويق يجيدها عمرو خالد بشدة في ترويج مواعظه ودروسه وشرائطه، لكنه لا يستخدم حياته الخاصة كجزء من هذا التسويق، فهو يفرض حصارًا على حياته الخاصة، ولا يسمح لأحد بالاقتراب منها، هذا الحصار لم يرحم عمرو خالد من أن ينزل ضيفًا على جلسات النميمة في صالونات الأثرياء وحلقات الفراغ في النوادي وتحت الشماسي على شواطئ الساحل الشمالي.

جلسات النميمة تؤكد أن عمرو خالد تزوج في بداية حياته من قبطية وأنجب منها بنتاً أسماها على اسم أمها حباً فيها وإخلاصاً لها، هذا الزواج لا يحب عمرو أن يتحدث عنه كثيراً لاعتقاده أنه يمكن أن يؤثر على صورته عند الشباب الذين يمثلون معظم جمهوره ورواد دروسه.

يهتم عمرو خالد بمظهره، فهو دائماً حليق الذقن يهذب شاربه باستمرار، ويراعي شياكته وهندامه، وصوره التي يطبعها على شرائطه "كاسيت وفيديو" تؤكد أنه يهتم بصحته جداً ويحاول ألا تفارق الابتسامة وجهه.. لأنه يقتنع أن بشاشة الوجه تساعد على الوصول إلى هدفه من مواظمه ودروسه.

ويبدو أن عمرو خالد تعلم من تجارب الذين سبقوه.. وإن كان تعليماً جزئياً.. فهو يسير على درب عمر عبد الكافي آخر مشاهير الدعاة الذين مُنعوا من الخطابة في اللبس والشياكة وطريقة الكلام والجلسات في بيوت المشاهير والفنانات.. ولكنه يتجنب أن يتحدث في الموضوعات التي كان يتطرق إليها عبد الكافي مثيراً بها الفتنة وصادماً

للمجتمع بتكفيره ووعدته بالنار في الآخرة مع أنهم يعيشون النار في الدنيا.

نجومية عمرو خالد التي تم صنعها بعناية وعلى عين بعض الفنانات المعترفات مثل ياسمين الخيام وسهير البابلي، وبعض الفنانين الذين يروجون لصورة الفنان الملتزم مثل وجدي العربي وبعض لاعبي كرة القدم مثل نادر السيد وصاحب شركة الكاسيت التي توزع شرائطه وهو بالمناسبة لاعب كرة قدم لم ينل حظاً كبيراً من الشهرة، بدأ حياته لاعباً في نادي الزمالك، ثم انتقل إلى المصري ومنه نادي جديد اشتراه مؤخراً أحد رجال الأعمال بعد أن دخل مجال الإعلام والفضائيات.

هذه النجومية جعلت عمرو خالد هدفاً سهلاً يهاجمه الجميع بلا رحمة، الهجوم كان غريباً عندما شنّه سمير رجب عليه في كبسولاته الأسبوعية التي ينشرها في جمهورية الخميس ، تساءل رجب عن شرائط عمرو التي تنتشر مثل النار في الهشيم.. وهل مرّت هذه الشرائط على الرقابة، وهل قالت كلمتها فيها، أم أنها شرائط لا تعرف الدولة عنها شيئاً؟!، هذه الكبسولة حرّكت مدكور ثابت رئيس الرقابة على

المصنفات الفنية وجعلته يرد على سمير رجب بأن الرقابة ستبحث موضوع شرائط عمرو خالد وستقول فيها كلمتها.

المفاجأة أن مذكور ثابت لم ينتبه إلى أن صاحب الكلمة في شرائط عمرو خالد والذين معه من اختصاص الأزهر، وليس من اختصاص الرقابة، وأن الأزهر قال كلمته وصرح لشرائط ومواعظ عمرو خالد بالانتشار والتوغل والسيطرة، الهجوم لم يكن على مضمون الشرائط فقط، ولكن كان على طريقة عمرو خالد، وأسلوبه في الدعوة، واختياره للمناطق الراقية ليتحدث مع وعن أهلها فقط، وليس صحيحاً أن عمرو خالد يقصر جهوده على الأحياء الراقية فقط، ولكنه يقوم بإعطاء درس أسبوعي بنادي باكوس الشعبي بالإسكندرية، عمرو يتحدث إذن إلى الفقراء، لكن هذه ليست نقطة يثار حولها الخلاف أو يهاجم بسببها؛ لأن عمرو عندما يتحدث في مساجد الأحياء الراقية يأتيه الناس من كل مكان من المهندسين والزمالك ومصر الجديدة و٦ أكتوبر ويأتونه أيضاً من إمبابة وبولاق الدكرور والشرابية، والجميع يبغون رضا الله ورحمته، ولكن كل على طريقته الخاصة.

نجومية عمرو خالد لم تجعله هدفاً للشائعات والنميمة فقط.. ولكنها أحاطته ببعض الحكايات التي تصنع منه أسطورة قادرة على فعل المعجزات وتحقيق المستحيلات، فهناك ١٢ طالبة من كلية الإعلام قررن ارتداء الحجاب بعد سماع خطبة لعمرو عن أهمية الحجاب وأن التي لا ترتديه ترتكب ذنباً سوف تعاقب عليه، حكاية بنات الإعلام يرددها جمهور عمرو.. لكنه هو أيضاً يردد عن نفسه بعض الحكايات منها ما قاله مثلاً في شريطه "الحجاب" عن فتاة لم تكن محجبة، ولم تكن ملتزمة قررت أن تذهب لشراء بدلة جينز فاشترطت صديقتها أن يذهبها أولاً لسماع درسه عن الحجاب وعندما استمعت الفتاة للدرس أخذت تبكي بقوة وتقول لمن حولها: غطوني.. غطوني، قررت الفتاة أن ترتدي الحجاب إذن، لكنها عندما انصرفت من الدرس وهي تعبر الشارع صدمتها سيارة، ليست هذه الحكايات فقط فجمهور عمرو خالد يحب أن يردد أن البكاء يجتاح معظم مستمعية وكلماته تجعلهم يقلعون عن الأخطاء التي يرتكبونها، خاصة، وهو لا يتحدث إلا عن تصرفات الشباب التي تخالف الإسلام ولبس البنات الذي لا يستر وتصرفاتهن

التي تسيء إليهن، يركّز عمرو بعد عرضه لانحرافات الشباب على أن الملجأ الوحيد للشباب هو الله، فهو الذي سيسمع لهم.. يصفح عن هفواتهم ويتجاوز عن سيئاتهم.. ويلحُّ عمرو على تصوير عودة الشباب إلى الله في مشهد درامي موحٍ يؤكد أن للداعية الشاب طريقته الخاصة في جذب مستمعيه إليه والتفافهم حوله.. ودفاعهم عنه بعد ذلك إن تطلب الأمر دفاعًا.

المفاجأة أن جمهور عمرو خالد ليس من النوع الذي يدافع عن يحب، فجمهوره في الغالب شباب يجلسون أمامه من باب التغيير أحيانًا أو من باب حب الاستطلاع أحيانًا أخرى.. ولن نبالغ إذا قلنا إن بعض من يحضرون دروسه يحضرونها سعيًا وراء الروشنة والجري وراء الموضوعات الجديدة، فأمامهم داعية إسلامي مختلف يتحدث معهم بلغتهم وبألفاظهم أحيانًا.. لا يتردد في أن يلقي نكتة أو إفيه، ولا يتحرج من أن يتحدث مع أحد مستمعيه أثناء إلقاء دروسه.. يُشعرُ جمهوره أنه واحد منهم وليس غريبًا عنهم مثل بقية الدعاة الذين يعزلون أنفسهم عن الناس.

هذا الجمهور لا يستر.. فهو ابن وقته.. وسيسمع
وعمره خالد ما دام موجودًا ومسموحًا له بالخطابة وإلقاء
الدروس، لكنه سينساه إذا مُنِع من الخطابة مثلاً أو ظهر
داعية جديدة مبتكرًا لأسلوب جديد في الدعوة.. فما يقول
عمره خالد لا يختلف بأي حال من الأحوال عما يقوله
الآخرون.. لكن الطريقة فقط هي المختلفة.. ولو جاء غيره
بطريقة جديدة فسيذهبون إليه.. ويانتفون حول شرائطه
ومواعظه فكل وقت في مصر وله أذان، وكل فترة ولها
رجالها ونجومها وأبطالها.

وإذا كان جمهور عمرو يمكن أن ينصرف عنه بسهولة
ويترك ظهره مكشوفًا.. فإن عمرو خالد نفسه لن يستمر
طويلاً، فهو داعية نفسه قصير، ورغم شهرته العريضة
كداعية فإنه ما زال يدرس في أحد معاهد إعداد الدعاة التابعة
لوزارة الأوقاف وليس صحيحًا أنه حاصل على دبلوم في
الدراسات الإسلامية.

لكنه ليس فقيهاً وليس متعمقاً في علوم الدين.. هو فقط
قارئ سطحي يهتم بالحديث في الأمور العامة للمسلمين
وتحديداً في أخلاقهم.. ولن يستمر عمرو خالد يقول للناس:

"من منا لم يرتكب ولو خطأ بسيطاً في حياته.. كنا نرتكب أخطاء وننساها ولا نهتم بأن نتوب ونتبرأ منها".
"لو بصيت للحالات الاقتصادية التعبانية اللي الناس عايشاها هتلاقي وراءه معصية، تذنّب ذنب فرينا يرفع رزقك".

"لازم نتعلم اللغات، دا النبي في يوم واحد طلّع ١٤ رسالة من المدينة وطلّع كل رسالة مع الرسول بلغة البلد اللي رايحها، يعني في المدينة المنورة ١٤ واحداً تعلموا ١٤ لغة، شفتوا احنا طلّعنا مشم فاهمين إزاي، ده معمل لغات يا إخوانا جوه المدينة المنورة.. إزاي الناس دي أجادت الكلام ده".

كما ترون لا يقول عمرو خالد جيداً.. ورغم انتشاره الواسع.. دروس أسبوعية في عدد من المساجد ودروس خاصة.. برنامج بعنوان "ونلقى الأحبة" يقدمه على شاشة قناة "اقرأ" الفضائية، برنامج خاص بعنوان "كلام من القلب" صورّ منه ثلاث حلقات استعان خلالها بسهير البابلي التي روت له قصة اعتزالها وحجابها والتزامها، ووجدى العربي وحارس مرمى الزمالك نادر السيد هذا غير موقع على الإنترنت

يعرض لمواعظه وآرائه وقد زاره حتى الآن أكثر من ٨٠٠٠ زائر..

كل هذه الوسائط تحمل من عمرو خالد إلى جمهوره كلامًا سطحيًا عاديًا عن المعاملات بين المسلمين وعن الأخلاق وعن التوبة وعن قصص الأنبياء، ثقافة عمرو خالد الإسلامية السطحية جعلته يمتنع عن الإفتاء، فهو لا يجيب عن أسئلة جمهوره إذا تعلقت ببعض الأمور الفقهية بحجة أنه غير متخصص في الفقه.. ولأن الجمهور لا يهتم كثيرًا ولا يشغل باله.. فهو لا يغير رأيه في عمرو مثلاً ولا ينصرف عنه عندما يتهرب من الإجابة عن أسئلتهم.

لقد تعود عمرو خالد على لفت الانتباه إليه بأي طريقة.. كان قبل أن يحترف الدعوة في المساجد والبيوت يستعير سيارة أحد أصدقائه ويقف في الشارع، ويفتح الكاسيت على القرآن الكريم بصوت عالٍ ليجذب الناس إلى القرآن بطريقة غير مباشرة، هذا الأسلوب يتبعه خالد في لفت الانتباه إليه الآن.. فهو يحيط نفسه بهالة من الغموض.. لا يتحدث كثيرًا، يسافر كثيرًا.. ينشر أخبار أسفاره على موقعه على الإنترنت.. وينشر أخبار تأجيله لدروسه أيضًا..

أحياناً يذكر الأسباب وأحياناً لا يهتم.. نجح خالد في جذب الانتباه حتى لو رفضنا ذلك، فهو أصبح نجماً ينافس في شهرته عمرو دياب ومحمد فؤاد وأحمد زكي.. وعزَّز من هذه النجومية أنه ينافسهم في الشياكة والأناقة.

ويبقى أماننا أن نفرض الاشتباك بين عمرو خالد والنجم السابق في عالم الدعوة عمر عبد الكافي فهما طريقتان مختلفتان، وإن كان عمرو يشبه أحداً ممن سبقوه في الدعوة فهو يشبه الشيخ الشعراوي، قد تتعجب بعض الشيء.. وتستكر كل الشيء.. لكنهما في النهاية متشابهان.

الشعراوي كان داعية الفقراء يتحدث بلغتهم ويستعين بأمثالهم ويتحدث عن حياتهم يضرب المثل بالفرن البلدي والعيش البتاو والفلاحة التي تذهب إلى الأرض حاملاً وتعود وهي تحمل ابنها على يدها.

عمرو خالد هو داعية الأغنياء يلبس مثلهم ويدخل بيوتهم ويردد ألفاظهم ويأكل مثلهم ويضرب المثل بالسيارة والموبايل والرصيد الذي في البنك وآخر موضة في اللبس والماكياج.

الشعراوي كان يعد الفقراء بالجنة ويقول لهم إن فقرهم
نعمة فهو يقربهم إلى الله، ويعظم من حسناتهم وإذا ضاقت
عليهم الدنيا فليس عليهم إلا أن يصبروا ويواصلوا الصبر
فليس أمامهم طريق آخر.

عمرو خالد يهنئ الأغنياء بما عندهم.. ويؤكد أن
أموالهم نعمة منحها الله إياهم ليتقربوا بها فالمسلم الغني
أفضل عند الله؛ لأنه سيساعد على نشر دينه أو كما قال في
بعض خطبه: "أنا عايز أبقى غني عشان أستخدم فلوسي دي
في الإنفاق في سبيل الله، وعشان أعيش عيشة كريمة،
وعشان أبقى غني فالناس يبصوا يقولوا شايف متدين غني
ويحبوا ربنا من خلالي أنا عايز يبقى معاي فلوس، وألبس
أحسن لبس عشان أحبب الناس في دين ربنا".

بحث الناس عن شعراوي بديل فجاءهم عمرو خالد..
لكنه شعراوي لأولاد الذوات فقط.. يقول لهم ما يريحهم
ويبعدهم عن كل ما يقلقهم ويؤرق منامهم ويلهب مضاجعهم
لا نريد أن نتعرض لبعض ما يردده خالد من أفكار فرأينا
فيها معروف.. فنحن ضد أن يتحول الدين إلى تجارة..
والمسجد إلى سوق.. لكن لا يقلقنا عمرو خالد.. ولا يجعلنا

نفرع على شبابنا.. فكما جاء عمر عبد الكافي، واختفى
فسأخذ عمرو خالد هذه المرة يومين وسيختفي.. وكما قال
عمرو دياب هذه المرة وليس خالد.. "يومينهم وهيجي
غيرهم"!!

خالد الجندي.. سمسار الفتاوى!

أدرك الشيخ خالد الجندي أنه لا توجد صناعة نجوم في مصر لا في السينما ولا في مجال الدعوة الإسلامية فقرر أن يصنع نجوميته بنفسه، وضع لذلك خطة محكمة، أهدافها واضحة.. وكل التساؤلات التي تحاصرها تجد الإجابة بسهولة لا تحدث حتى في حواديث ألف ليلة وليلة.

وُلد الشيخ خالد في حي الخليفة، النشأة إذن شعبية والأسرة متوسطة ترى في تعليم أولادها السبيل الوحيد للرفي وتحسين مستوى المعيشة، عندما أنهى دراسته الثانوية الأزهرية التحق بمعهد الفنون المسرحية، لكنه تركه بعد ستة أشهر، ثم التحق بكلية أصول الدين قسم الحديث، ورغم أن هذا القسم لا يُخرج دعاة أو خطباء مساجد، لكن خالد فضل العمل كداعية وخطيب في مساجد وزارة الأوقاف، فقد مارس الدعوة منذ كان طالبًا في أولى ثانوي في المعهد الأزهري.

أكثر ما يميز شخصية خالد الطموح، لم يكتف بالعمل إمامًا وخطيبًا ومدرسًا، ولكنه سجّل للدراسات العليا في قسم الحديث في كلية أصول الدين، وسجّل للدراسات العليا في

كلية دار العلوم قسم الفلسفة الإسلامية، لكن يبدو أن الدراسات العليا لم تعطِ خالد شيئاً، فقد وجد الشيخ نفسه في النهاية موظفاً في وزارة الأوقاف يتقاضى راتباً لا يزيد على ١١٨ جنيهاً شهرياً، وهو مبلغ لا يقوم بنفقات رجل وزوجته وابنتيه!

كان على خالد الجندي أن يعيد حساباته.. وكان القرار هو البيزنس، وحتى لا يلومه أحد وضع لذلك التخريج الشرعي، ولم يكن مفاجأة أن يقول لمجدي الجلاد في الحوار الذي أجراه معه على صفحات مجلة "الأهرام العربي": "لا يوجد عالم إلا وله بيزنس، التاريخ الإسلامي يقول ذلك، فمثلاً أبو بكر الصديق كان تاجراً، وعمر بن الخطاب كان تاجراً، وسيدنا أبو حنيفة النعمان كان من أعظم التجار في المجتمع الإسلامي، وكان كل عالم يطلق عليه اسم العمل الذي يمارسه فيلتصق به، فتجد الإمام السراج والإمام الطرابيشي والإمام الخياط كلهم أئمة لهم تجارتهم".

وكلام الشيخ الجندي صحيح.. لكن فاته أن كل من ذكرهم لم يكونوا موظفين ولهم مورد رزق ثابت ومعروف، ولا مانع طبعاً أن يكون للجندي بيزنس خاص به بعيداً عن

المنبر والدروس التي لا تتقطع في بيوت الأثرياء ولكن المانع أن يكون البيزنس غامضاً، لا أحد يعرف بدايته من نهايته، وهو الأمر الذي يمكن أن تكشف عنه قريباً، فبعض خيوطه في أيدينا وبعضها الآخر لا يزال عند زوجته السابقة التي حصل منها على مبلغ ٣٠٠ ألف جنيه، عمل بها عدة مشروعات نقلته من موظف ب ١١٨ جنيهاً في الشهر إلى طائفة أصحاب السيارات والعمارات والرصيد الهائل في البنك.

استراح خالد مادياً إذن، بقي أن يحقق نفسه معنوياً، أن يتحول من مجرد خطيب في مسجد مجهول من مساجد وزارة الأوقاف إلى نجم يكتب المقالات في الصحف ويقدم البرامج في الفضائيات وينزل ضيفاً في الندوات، من خلال علاقاته تسربت له بعض المقالات في تفسير القرآن في إحدى المجالات الحكومية، وبعد أن تسربت مقالاته تسربت آراؤه.

لم تكن آراء خالد الجندي التي بعثرها في الحوارات التي أجريت معه آراء هادئة، ولكنها كانت متصادمة

ومتناقضة تثير حوله الجدل، وتجعل القاصي والداني يسألون.. من هذا الشيخ؟!!

فهو يعتبر أن الشعراوي دقة قديمة في الدعوة وأن جيل العظماء من الدعاة انتهى، وأن المدرسة القديمة من الدعاة لم تعد مناسبة للمرحلة الحالية الحديثة، ولكنه موظف حكومي فلا ينسى أن يؤكد أن وزارة الأوقاف تؤسس مدرسة جديدة للدعوة، حيث تقوم بإعداد الدعاة وتزودهم بدورات كمبيوتر، هذا الرأي عندما قلناه قبل ذلك.. اعتبروه هجومًا على الإسلام واعتداءً على حرمة وهدمًا له وتمزيقًا لعلماء الإسلام، ها هو واحد منهم ينقض عليهم.. فلا يلومه أحد أو حتى يوجه له كلمة عتاب.

الجندي يحب كذلك أن يربك متابعيه، فهو يدعو لدراسة عمرو خالد كداعية شاب مجتهد رغم أنه غير أزهرى، ويطالب الدولة أن تعطيه الفرصة، وإذا ظهر عنده اعوجاج فتقوم بتعديله، يقبل خالد الجندي عمرًا على حالته تلك إذن، لكنه يحمل بقوة على غير الأزهريين، فهو ما شارك في مشروع الهاتف الإسلامي مع شريف ابن عصمت عبد المجيد إلا من أجل القضاء على الفتاوى الضالة

لغير الأزهريين، ولا ندري من صدق خالد المعجب بعمر
خالد الداعية الشاب غير الأزهرى، أم خالد الغاضب على
غير الأزهريين الذي يريد أن يتخلص من فتاواهم الضالة.

ليس هذا فقط ما في كلام خالد من تناقض، فهو يؤكد
مرة أنه يحصل على ٣٠ ألف جنيه، مقابل خروجه مع
رحلات الحج لصالح إحدى شركات السياحة، ثم يعود ويقول
إنها ٦٠٠ جنيه فقط، وفي الثالثة يؤكد أنه كان يمزح، فهو
ليس عمرو دياب أو مصطفى قمر ليحدد أجره قبل أن يذهب
للدعوة وإلقاء الدروس!.

قد تجر هذه الآراء المتعاب على خالد الجندي باعتباره
يسيء إلى صورة دعاة وشخصيات لعبت دورًا كبيرًا في
الدعوة الإسلامية، لكن لخالد آراء قد تجعله منبوذًا اجتماعيًا،
فهو لا يمانع في عودة ملك اليمن مرة أخرى ويرى في ذلك
حلًا لمشكلة الشباب الجنسية من ناحية وزيادة في استمتاع
الأغنياء من ناحية أخرى، وعلى سيرة الأغنياء يرى خالد أنه
إذا أصلح الله على يده شخصًا غنيًا واحدًا أفضل عنده من
هداية ٥٠ فقيرًا، لأن هذا الغني سيطعم ال ٥٠ فقيرًا ويعينهم
على الحياة!

أغلب الظن أن هذه الآراء ليست أصيلة عند خالد الجندي، ولكنها آراء إعلامية (أمريكانى يعنى) يروج بها لنفسه ويعمل بها "شو" كما يقولون لتلتف حوله الأذان وتتركز عليه العيون، هذه الآراء جزء من الخطة التي يعدها خالد الجندي ويشرف عليها بنفسه لصنع نجوميته وتسويق نمودجه الذي يسهر على تكوينه بعناية، فهو إلى جانب آرائه التي تبدو صادقة، يرسم لنفسه صورة ناعمة كالحرير.

فهو متعدد المواهب ويعيش حياته بالطول والعرض يجيد العزف على أربع آلات موسيقية هي الكمان والبيانو والناي والعود، ولكنه يرفض أن يصوره أحد وهو يعزف على هذه الآلات؛ لأنه ذلك يهز صورة الداعية الوقور عند الناس «!!» مبتسم طوال الوقت، يشيع حول نفسه حالة من التفاؤل، وإذا استتكر أحد هذه الحالة، قال ببساطة إنه يتمتع بالدين الإسلامي، وعندما جاء ليكحلها عماها، فهو سعيد لأنه سيدخل الجنة باعتباره من أهل السنة الذين على حق، بينما الجميع سيدخلون النار!.

الصورة الناعمة لم تكن لتكتمل عند خالد الجندي إلا بهجومه على الجماعات الإسلامية المتطرفة، فهو يرى

شيوخ الجماعات الإسلامية مهرجين، وهو يخرج عن إجماع شيوخ الأزهر، ولا يرفض ظهور الصحابة على الشاشة، بشرط أن يكون الممثلون الذين يقومون بهذه الأدوار ملتزمين أخلاقياً، بل يقترب خالد الجندي أكثر من تكوين صورته الناعمة عندما يعلن رفضه لما يسمى بالزي الإسلامي، فلا يوجد للإسلام في رأيه زي معين، بل يذهب إلى أكثر من ذلك، فمن يقول إن الجلباب هو الزي الإسلامي فهو يعتق فقه التصحر بمعنى فقه البدو ورعاة الغنم.

ولا أعرف كيف مرَّ هذا الرأي على الذين يصدّعون رءوسنا بحكاية هدم الإسلام والاجتراء على شيوخه، فهو يرفض فقه الصحراء الذي تنتهي جذوره إلى فقه الرسول شخصياً كما نعلم، لكن كما قلنا سلفاً إن حبيبيك يبلع لك الزلط وعدوك يتمنى لك الغلط، ويبدو أن حبايب خالد الجندي كثيرون فلا نسمع لهم صوتاً.. ولا حتى همساً.

ضمّن خالد الجندي بهذه الصورة التي رسمها لنفسه أن يكون له أتباع بل لن نبالغ إذا قلنا دراويش يدعون له ويروجون لأسلوبه ويعتبرونه المخلص الجديد الذي جاء ليجعل الدين ويجعل الناس يقبلون عليه، قد يكون عند من

يروجون لخالد عذرهم، فهم حسنو النية يقومون بما يرونه صالحًا.

لكن عقلية خالد الجندي الاقتصادية تجعلنا نؤكد أنه كان يُمهّد الأرض ليتقبل الناس مشروعه الكبير، وهو الهاتف الإسلامي، وهو المشروع الذي يشترك فيه مع شريف ابن الدكتور عصمت عبد المجيد، ويساعده في الافتاء فيه د. عبد المعطي بيومي ود. رأفت عثمان وهم من أساتذة خالد الذين يدين لهم بالفضل حتى الآن. هذا المشروع تحصل منه الهيئة القومية للاتصالات على ٥٠% من الدخل، والهيئة المنظمة للمشروع "سوفت وير" -والتي يشارك فيها خالد- على ٢٥% من الدخل، والـ ٢٥% الباقية تذهب للشيخوخ الذين يقومون بالإفتاء. يصل إلى المشروع يوميًا ٥٠٠ سؤال أي ما يقارب ١٥ ألف سؤال شهريًا، ولو فرضنا أن السؤال يستغرق ٥ دقائق وهذا على أقل تقدير، فإن المشروع يُدرّ دخلًا يعادل قيمة ٧٥ ألف دقيقة في الشهر، وهي قيمة على ما نعلم ليست قليلة!

ولأن خالد يجيد اللعب، ولأنه يعرف أن مصادر الفتاوى كثيرة ومتعددة فكل إمام مسجد يستطيع أن يفتي

الناس، ودار الإفتاء تفتح بابها للناس ولا ترد سائلاً، ومشیخة الأزهر تستقبل أسئلة الناس على مختلف أنواعها، والصحف الإسلامية تخصص جزءاً كبيراً من صفحاتها للإجابة عن أسئلة الناس، ومنها الغريب والعجيب، وبرامج التلفزيون الأرضي والفضائي أصبحت تتسابق لتجيب عن أسئلة الناس وجذبهم إليها ومحطة القرآن الكريم تقوم بنفس الدور، لكل ذلك حدد خالد لمشروعة هدفاً آخر، فالهاتف الإسلامي عنده ليس لكل الناس، وإنما للحالات الخاصة، مثلاً واحد عنده شذوذ جنسي ويرى أن يتوب، ولا يستطيع أن يذهب إلى عالم ويعترف له بأنه شاذ، أو سيدة خانة زوجها أو مختلس أو قاتل أو حرامي!

حدد خالد إذن نوعية جمهوره.. هو مشروع اقتصادي من الدرجة الأولى، وليس لخالد بعدها أن يستعرض عضلاته على خلق الله ليؤكد أن مشروعه إسلامي، يهدف لنشر الدين وتوعية المسلمين بأمور دينهم، لا مانع أن يتقبل الناس مشروع الهاتف الإسلامي باعتباره مشروعاً للأثرياء يحل لهم مشاكلهم ويخفف عنهم أوجاعهم، كما أن خالد الجندي نفسه شيخ للأثرياء يلقي عليهم دروساً ومواعظ

في بيوتهم بأجر أو بغير أجر فهذا شأنه ، لا يرفض أحد ذلك، ولكن بشرط أن نسمي الأشياء بأسمائها فالدين ليس أموالاً تُصبُّ في جيوب بعض الأشخاص حتى لو كانت لحاهم طويلة ولا يتحدثون إلا بالقرآن!

زغلول النجار.. الزيف والحقيقة

يعتقد الناس أن زغلول النجار جاء ليخلصهم، يجدد لهم دينهم ويبعث فيهم الروح، يعوّضهم عن غياب الشعراوي ويرث مكانه، استقبلوه في الندوات والحفلات استقبال الفاتحين لم يكذب الرجل خبراً، فلم يرفض دعوة للحديث في التليفزيون أو الصحافة، أخذ يفتي في كل شيء ويدلي برأيه في كل قضية.. مع أنه ومن واقع أوراقه الخاصة لا يجيد الحديث إلا عن الإعجاز العلمي في القرآن.

وصل زغلول النجار دون أن يدري كيف ولماذا؟ إلى شهرة قد لا يصدقها هو شخصياً، لم ننهر بشهرته، فنحن نعرف مصدرها جيداً، ولكننا قلنا في أوراقه لنقدم لكم حقيقته في أيام تعزُّ فيها الحقائق وتندر.

الرجل: هو زغلول راغب محمد النجار، وُلد في قرية مشال من أعمال مركز بسيون محافظة الغربية، قضى طفولته في قريته وسط عائلة متدينة تحقّي بالقرآن وأهله، كان جده لأبيه من علماء الدين البارزين، وكان أبوه معلماً للقرآن ومحفظاً له.. يقول د. زغلول: "كان من عادة

عائلتي أن تأتي بقارئ للقرآن كل يوم في رمضان وكنا نتجمع أنا وإخوتي ونحن أطفال لنستمع إلى القرآن يتلى في بيتنا من بعد صلاة التراويح وحتى السحور، بالإضافة إلى الأحاديث الدينية في الفقه والتفسير والحديث والإعجاز اللغوي للقرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة وواقع القرآن على العصر الذي نحيا فيه".

ظلت هذه هي ملامح الطفل زغلول حتى انتقل والده إلى القاهرة وانتقلت الأسرة معه، ودخل مدرسة عباس الابتدائية، وفي المدرسة لاحظ أساتذته في اللغة العربية تفوقه وإجادته للإلقاء ونطقة السليم للحروف، أنهى زغلول دراسته الابتدائية بتفوق، ثم انتقل إلى مدرسة شبرا الثانوية وكانت هي الأخرى تهتم باللغة العربية والتربية الدينية.

وقبل أن ينهي دراسته الثانوية طلب منه مدير المدرسة أن يشترك في مسابقة التوجيهيين التي كانت تُجرى في مختلف التخصصات والمواد، وكانت تمنح جوائزها من الملك شخصياً ويدخل الفائز فيها الجامعة بالمجان، دخل زغلول مسابقة اللغة العربية وحصل على المركز الأول وانتقل إلى التعليم الجامعي، حيث التحق بجامعة القاهرة عام ١٩٥١

ليدرس الفيزياء لكنه تراجع وتحوّل إلى علم الجيولوجيا بعد سماعه محاضرة ألقاها دكتور ألماني كان رئيسًا لجامعة كولونيا بألمانيا الغربية عن الزلازل والبراكين.

تخرّج د. زغلول في كلية العلوم عام ١٩٥٥ وكان الأول على دفعته في البكالوريوس، ثم سافر إلى بريطانيا لدراسة الدكتوراه في جامعة ويلز التي حصل على الدكتوراه منها في عام ونصف العام فقط؛ فقررت الجامعة منحه درجة زمالتها بعد الدكتوراه، وظل يعمل بها ثلاث سنوات يعتبرها الرجل حافلة بالإنتاج العلمي، وكما أن المشرف على رسالته أرسل خطاباً فيها للملحق الثقافي المصري: إن منحة الزمالة التي قررتها الجامعة للطالب المصري زغلول النجار من أعلى المنح في الجامعات البريطانية، ولا تعطى إلا لواحد فقط كل عام من مساحة كبيرة من التخصصات تبدأ بالكيمياء وتنتهي بالهندسة، وأنه إذا لم يوافق المكتب الثقافي المصري على هذه المنحة فلن تقبل الجامعة طالباً مصرياً فيها بعد ذلك.. وأخيراً وافق الملحق الثقافي وبقي د. زغلول ينعم بالمنحة.

واصل الرجل أبحاثه.. ليصل في النهاية إلى ما هو عليه الآن أستاذ علوم الأرض بجامعة السعودية والكويت وإنجلترا والزائر لجامعات أوروبا وأمريكا ومدير معهد مارك فيلد للدراسات العليا بإنجلترا وصاحب المرتبة في علم الجيولوجيا من جامعة القاهرة عام ٥٥، وأول الحاصلين على جائزة مصطفى بركة في الجيولوجيا وصاحب أول خريطة جيولوجية لبحر الشمال ومؤلف عشرة كتب و ١٥٠ بحثًا حتى الآن.

حياة الرجل سارت بشكل عادي لا مفاجآت فيها لكنه عندما يرونها - ومثل غيره ممن يجدون أنفسهم فجأة في دائرة الضوء ينتظر الناس كلامهم وكأنه وحي من السماء- فإنه يضيف عليها بعضًا من الدراما.. ولا مانع من بعض الإشارات التي تؤكد تفوقه ونبوغه، يقول الرجل: "كنت أول دفعتي ومعى مرتبة شرف لكنى ظلمت ولم أجد مكانًا لي في جامعة القاهرة التي كنت أتمنى أن أكمل بها المسيرة حتى أحصل على الدكتوراه، وانتقلت في عملي من شركة لأخرى حتى اتصل بي د. فرج إبراهيم الأستاذ الذي اختارته السعودية ليؤسس قسم الجيولوجيا في جامعة الملك

سعود بالرياض، والتي أسسها المصريون وكان أول مدير لها عبد الوهاب عزام وكان من العلماء المصريين القلائل، وكان أيضاً من قمم الأدب في ذلك الوقت فأحسن اختيار الأساتذة الذين عملوا معه في الجامعة، وأعتبر أن عملي في السعودية كان أول طريقي وحمدت الله كثيراً وازداد إيماني بأن الله هو الذي يرسم للإنسان طريقه، وأن إرادة الإنسان في هذا الاختيار محدودة جداً، وأن التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب من أعظم الأسلحة التي يمكن أن يحمي بها الإنسان نفسه في هذه الحياة".

ولا ينسى د. زغلول أن يؤكد آيات نبوغة وعبقريته فهو يحكي عن المسابقة التي حصل من خلالها على مجانية الجامعة يقول: "دخل معي في المسابقة أستاذي في المدرسة ليلتحق بكلية الحقوق.. لكنني تفوقت على أستاذي وحصلت على المركز الأول وحصل أستاذي على المركز التاسع عشر، لقد امتحنتني في هذه المسابقة عمالقة الأدب في مصر مثل د. علي الجندي ومحمود تيمور وعلي الجارم وكان المقرر كبيراً وأذاعت الإذاعة نبأ تفوقي".

ولا يتوقف نبوغ زغلول النجار عند بداياته الأولى.. لكنه يروّج لنفسه كأحد الدعاة الكبار الذين هزموا الإلحاد في عقر داره، يقول الرجل للمرة الثالثة: "منذ عدة سنوات دُعيتُ للمشاركة في مؤتمر عن الإعجاز العلمي في موسكو عاصمة الإلحاد لمدة ٧٢ سنة، وقد ذهبت غير مستبشر ولا مستريح، وبعد أن أقيمت محاضرة عن الإعجاز العلمي في القرآن، قام أحد كبار علماء الفيزياء هناك وقال: كنت أظنني من النابهين البارزين في تخصصي فإذا بي أمام علم أوسع وأشمل وأكبر من علمي لا أستطيع معه إلا أن أعلن شهادتي بأنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأذكر أن أربعة علماء ممن تحدثوا أعلنوا إسلامهم وتعاقب بعدهم آخرون حتى وصل عددهم إلى سبعة وثلاثين عالمًا أعلنوا إسلامهم".

لغة العواطف تُصدِّق هذا الموقف، لكن لغة العقل ترفضه تمامًا.. ولو كان إقناع علماء الغرب بهذه السهولة فأين حصاد الجولات والمؤتمرات التي حضرها، د. زغلول.. هل هؤلاء الـ ٣٧ هم فقط الذين أسلموا على يد الرجل.. الأمر على ما يبدو أن زغلول النجار يعرف جيدًا إلى أي شيء يسعى، فالرجل الذي ظل طوال حياته بعيدًا عن

مصر يزورها على فترات متباعدة.. أصبح في السنوات الأخيرة يزورها كل شهر مرة ، ومنذ شهور قليلة أصبح ملء السمع والبصر والفؤاد أيضاً.. لقد أصبح اسمه على كل لسان خاصة بعد أن استضافه صانع النجوم أحمد فراج في برنامجه الشهير "نور علي نور" وعلى الرغم من أن بسطاء الناس لم يفهموا ما قاله ويقوله زغلول فإنهم انبهروا بحديثه الجديد وكلامه الذي لم يسمعوا مثله من قبل.

لقد عاد الرجل إلى مصر بعد أن خلت الساحة من الشيخ الشعراوي الذي كان ينظر إليه حتى علماء الأزهر على أنه عالم القرن الذي قيده الله لتجديد الإسلام وبعث روحه من مرقد غلق باب الاجتهاد. لقد أشار زغلول إلى ذلك عندما تعرّض في أحاديثه التي أصبحت لا تعد ولا تحصى في كل الصحف والمجلات إلى الشيخ الشعراوي قال الرجل والكلام بالنص: "أنا فين والشيخ الشعراوي فين، لقد كان الرجل صاحب عطاء واسع وعلم غزير فيما يتصل بتفسير القرآن وهو حجة في اللغة وفيما يتعلق بالتفسير العلمي للقرآن" الكلام هنا فيه استدراك مهم جداً لمستقبل د. زغلول، فأنا أرى أنه يبرز من بين مسلمي كل عصر نفر

من علمائه يقومون بتفسير كلام الله يحيطون علمًا باللغة وأصولها ونواصيها وبالناسخ والمنسوخ وبالمأثورات من أحاديث الرسول الكريم، ولا أرى حرجًا في توظيف الآيات الكونية في مجال التفسير العلمي بمنطق النظرية والفرض، بحيث إذا أصاب العالم فله أجران وإذا أخطأ فله أجر واحد.

د. زغلول في الحالتين ينتظر الثواب، معنى ذلك أنه سيتحدث ولن يكف عن الكلام فقد ألمح إلى عالم العصر الذي يعرفه الناس بذاك العالم الذي يرسله الله على رأس كل مائة عام ليجدد للناس دينهم.. وألمح كذلك إلى أنه المؤهل لذلك؛ إذ لا حرج من توظيف الآيات الكونية في مجال التفسير وهو الشيء الذي يجيده الرجل بشدة.. ولأنه يعرف أن الكثيرين سيعترضون عليه وهو ما حدث فعلاً فقد رفض علماء الأزهر ما يفعله د. زغلول بالقرآن ، لأنه يعلم ذلك، فقد أسرف في حديثه عن نشأته الدينية ومعرفته بالقرآن وثقافته الإسلامية التي تمكنه من تفسير آيات القرآن الكونية تمهيدًا لوضع تفسير كامل يبرز الإعجاز العلمي في كل آيات القرآن.

قد يعتبر البعض أن د. زغلول معجزة عصره وأنه السلاح الذي سيدخل به المسلمون إلى عصر التكنولوجيا والإنترنت.. وأنهم سيواجهون به كل دعاوى الغرب بأن المسلمين أهل جهالة وأن دينهم سبب في تخلفهم.. وهؤلاء معذورون ، فالرجل في بداية ظهوره الإعلامي أكد أن دوره وطموحه سيقصر على إصدار تفسير شامل لمعاني الآيات الكونية في القرآن الكريم، كما أنه سيقوم بمراجعة جميع الآيات الكونية لترجمة معانيها إلى اللغة الإنجليزية، لأن ما وصل إلى الناطقين بهذه اللغة في دول كثيرة من ترجمة آيات الإعجاز قليل جدًا، لقد كان هذا الوعد مشفوعًا من د. زغلول بأنه عضو بالأكاديمية الإسلامية للعلوم وهي مؤسسة ضخمة دولية غير حكومية مقرها عمان وتعد مؤتمرًا سنويًا لمناقشة قضية من القضايا التي تهم العالم الإسلامي وتبعث بملخص لما ناقشته إلى كل زعماء الدول الإسلامية، كما أنه عضو في مجالس تحرير دوريات علمية عالمية كثيرة أي أنه يستطيع أن ينشر دعوته ويصل بمعاني الإعجاز العلمي إلى كل دول العالم.

كان الرجل ينوي ذلك - ولن نشكك في نيته - فكل الناس عندنا ينوون خيراً حتى يثبت العكس، وللأسف فقد ثبت العكس عند د. زغلول ، حدث ذلك بسرعة مذهلة، فعندما حطَّ الرجل رحاله في مصر عرف الناس فيها بسرعة مذهلة.. وأدرك ما الذي يجب عليه فعله..

استجاب الرجل لمذيع القناة الثالثة عاصم بكري في البداية وظهر معه في عدة حلقات لم تلفت انتباه أحد، وأغلب الظن أن سبب ذلك يرجع للمذيع الذي لم يقدم ضيفه بطريقة صحيحة، فقد اعتاد أن يتحدث أكثر من ضيوفه، مرّت حلقات عاصم دون صدى، ليجد د. زغلول ضالته في برنامج أحمد فراج "تور على نور" وهو البرنامج الذي كان وراء نجومية الشعراوي، سجل الرجل حلقتين مع أحمد فراج كانتا فاتحة خير عليه، فقد أصبح بعدها نجماً يتحدث عنه الناس ويسعى إليه الجميع.

ومن التليفزيون انتقل زغلول إلى الناس فطاف بمعظم محافظات مصر مستجيباً لكل دعوة ولأي دعوة، وسارعت كل الجامعات لتكرمه، وتستضيفه وتسمع له، لكن حدث ما توقعناه قبل ذلك، فقد فرغ د. زغلول من كل ما عنده من

الإعجاز العلمي في القرآن في حلقتي "تور على نور" ولذا أصبح يعيد ويكرر ما قاله لأحمد فراج في كل ندواته ولقاءاته ولأن الرجل عرف طعم الشهرة والأضواء فلم يتراجع بل ظل يستجيب لكل من يريد أن يجري معه لقاءً فجاءت آراؤه في قضايا المجتمع سطحية وهزيلة.. فالرجل لا يجيد الحديث إلا في مجال واحد هو الإعجاز العلمي، ولكنه -ودفعاً للخرج- لا يرد سائلاً حتى لو كان السؤال عن حقوق المرأة في الإسلام والتتجيم والدجالين والعلاقات الأسرية وتقريب العلوم وهدم التماثيل وحوار الأديان وإسرائيل، وكلها موضوعات ليست من صميم ما يعرف د. زغلول ، فهو رجل خريج علوم حصل على دكتوراه في الجيولوجيا... فما شأنه هو برأي الإسلام في قضايا العصر! لقد كانت نية د. زغلول النجار طيبة فيما يبدو، لكنه ترك نفسه للإعلام ليصنع منه نجماً.. ولذا سيهتم الرجل بصورة أكثر من آرائه.. إذ ما معني أن يترك الرجل نفسه لمصور صحفي يلتقط له صوراً وهو يتحدث في التلفزيون.. وهو يبتسم بطريقة معينة، ويلتفت بطريقة خاصة الرجل

يسير في طريق وعر.. لن يستفيد منها أحد، اللهم إلا
د. زغلول نفسه.

هؤلاء...

وجوه كثيرة لشيوخ أكثر يمكن أن نتحدث عندهم،
نقترب من ملامحهم العامة نتعامل معهم كفئة من فئات
مجتمعنا لهم أحلامهم وآمالهم وطموحاتهم.. وفي النهاية لهم
إحباطاتهم وانكساراتهم.. لم يكن يهمننا إطلاقاً تفاصيل حياتهم
الخاصة.. من هم.. وأولاد من.. أين يسكنون.. وما إلى ذلك
من تفاصيل نرى في إطار اهتمامنا أنها غير مهمة..
ولا تضيف لملامح الصورة التي نريد أن نرسمها لشيوخ
مصر.

وعليه فقد غابت أسماء كثيرة عن الصورة منها مثلاً
أسماء: منصور الرفاعي عبيد والزفزاف ويحيي إسماعيل
حبلوش ورغم القلق الذي يسببه لشيخ الأزهر والشيخ البري،
لكنهم شيوخ بلا ملامح، لا يمثلون ظاهرة أو حتى ترتبط
بأحدهم قضية معينة يمكن من خلالها أن نطرح سؤالاً
كبيراً.. نكشف به بعض جوانب الحقيقة ونصل إلى عمق
ما يحدث لنا.

هم كما أسماهم د. عبد الفتاح عبد النبي "المؤثرون"
يستطيعون أن يجمعوا الناس حول هدف واحد، ويستطيعون

أن يقودهم إلى ما يرغبون وكل ذلك بحجة أن الله قال وأن الرسول قال، وما دامت الكلمات هي كلمات الله ورسوله فلا بد أن تخضع الأعناق، ولا بد أن يسمع الجميع، وفي الوقت ذاته يستطيعون أن يفرقوا الناس ويشتتوهم ويعدوهم عن أمورهم المهمة إلى أمور تافهة وساذجة، هم بالنسبة لنا أدوات تستخدمهم الدولة في تحقيق أهدافها ولا فرق عند الحكومة بين أكبر رأس في الشيوخ - شيخ الأزهر - بعد أن تحوّل لبوق يردد كل ما تريده الحكومة، إلى أصغر شيخ يقف على منبر صغير في قرية صغيرة كل كلمة يقولها تخرج حذرة، قلقة، متوترة.. لأنه يخشى أن تخرج منه كلمة ولو عفواً لا تعجب الحكومة.. وفي ذلك كلهم يعيشون مثلاً جميعاً طائعين خوفاً على لقمة عيشهم.. وهروباً من سخط رجال الحكومة.. الذين يرددون أنهم يعملون من أجل الوطن.. وكأنهم وحدهم أبناؤه..!!

ليس افتراءً عليهم...

فكلنا في النهاية منافقون.. نتقن في إخفاء آلامنا حتى لا يشمت فينا الناس، نحبس دموعنا بقسوة لنظهر أمام الناس ونحن في منتهى السعادة.. في النهاية تعودنا على ذلك ولا داعي للقلق إذن، لكن المزعج هو النفاق الديني.. النفاق الاجتماعي أمره بسيط.. الذي يأتيه شيوخنا الكبار والذي جعلنا لا نستثني منهم أحدًا فهم جميعا أهل نفاق ، نفاق ممتد من الله إلى الحكام، لا فرق بينهما في ذلك.

نفاق الله يغلف برداء من التقوى والورع وادعاء الخوف على محرمات الله، وراجع فقط خطب شيوخ المساجد، وأحاديث علماء الدين في التليفزيون والراديو، وكتبهم الكثيرة التي تضج بها الأرصفة تجد كلها ادعاءات بأنهم وحدهم جنود الله وحراس دينه، القائمون على الدعوة الإسلامية بكل ما عندهم من قوة.. أمّا الآخرون.. الذين هم نحن طبعًا.. فهم دائمًا مقصرون في عبادتهم وفي عقيدتهم وفي خدمتهم للدين، وسجد الموطن المصري بعد تعبته ونصبه نفسه محاطًا باتهام شيخ أزهرى له بأنه رجل فاسد وفاسق لأنه يرى حرّامات الله تنتهك أمامه ولا يحمر وجهه

خجلاً، ولا تفور الدماء في رأسه فيعترض، مع أن هذا المواطن البسيط يكون كله أمل أن يرضى الله عنه فقط بدون فلسفة أو استعراض عضلات، تجد الشيوخ يقومون بالصلاة من خلال مكبرات الصوت يطيلون في القراءة والدعاء والابتهاال إلى الله.. لتتحول الصلاة بهم من ظاهرة تعبدية هدفها التقرب إلى الله إلى ظاهرة صوتية كلامية.. فالأذان يحطم آذان الناس من خلال مكبر صوت لا يرحم، وكذلك الإقامة.. ثم تبدأ التلاوة والدعاء الذي يُقَطِّع القلب ويُلْهَب العيون من البكاء ظناً منهم أن الله بهذا يقبلهم في عباده الصالحين، مع أن الجنة ليست فقط لأصحاب الأصوات العالية، نفاق الشيوخ لرَبنا سبحانه وتعالى هو كفيل به، لا تخفى عنه خافية وهو وحده القادر على معرفة مقدار نفاقهم وفضحهم في الدنيا والآخرة، في الدنيا يحدث ذلك بأن يسلط الله من بين عباده شيوخاً وعلماء يفضحون ضعف الشيوخ ويوضحون للناس أوجه نفاقهم ولا يمكن أن تغفل صحاحات.. الكاتب الكبير خالد محمد خالد - يرحمه الله - الذي هزَّ الشيوخ وحذرهم من استخدام كلمة لكن.. فهي لكن المناقفة التي يداهنون بها ويطالبون من خلالها أن يلتمس

الآخرون لهم العذر، تجاوزت شجاعة الرجل وصراحته من فضح نفاق الشيوخ لله إلى فضح نفاقهم للحاكم.. انظر فقط إلى قوله:

«ألا يمكن أن يكون إعجابي بالديمقراطية وولائي لها وإيماني الوثيق بها ضرباً من ذلك اللغط المتقشي حولها؟ إن نظامنا الحاكم يتعامل معها بوصفها ديكوراً يزيد زخرفاً وجمالاً والداعون إلى الدين -بزعمهم - يجتثونها من قاموس الكلمات المؤمنة، وكثير من المثقفين يصابون بالغثيان عند سماع اسمها."

وبثقة يتحدث عن ديمقراطية مبارك:

"جاء مبارك فأحدث في الديمقراطية بعض التوسعات، لا لحساب الديمقراطية كمبدأ ونظام، بل لحساب حكمه وحزبه، وربما أيضاً وفاءً لميراث زعيمه السادات، وكان - لا يزال كسابقه- يخاف الحرية؛ ومن ثم فهو يعطي الديمقراطية بقدر، أو على حد تعبيره جرعة جرعة!!.."

وعلامات التعجب وضعها خالد محمد خالد الله يرحمه. تأمل بعد ذلك كلمات الشيوخ التي تسابقت لتؤكد ولاءها للحاكم في إنجازاته رغم إحباط الشارع المصري

كله، وقف المفتي د. نصر فريد واصل بكل ثقة يبحث عن تخريجات شرعية ليستمر الحاكم مدى الحياة، وتحدّث شيخ الأزهر عن ضرورة أن يعترف الناس بالجميل وألا يجحدوا فضل الحكومة عليهم.

ليس غريباً إذن أن يفقد الناس الثقة في شيوخهم؛ فهم في النهاية لا يُعبّرون عن الناس، بل يُعبّرون عن الحاكم؛ وعليه فلينفعم الحاكم، بكل بساطة المصريين وسذاجتهم انصرفوا بشكل كامل عن شيوخ المساجد وعن شيوخ التليفزيون فوقعوا في أيدي المتطرفين تارة، ووقعوا في أيدي الانحراف تارات أخرى وهم في الحالتين ضحايا رغبة الشيوخ في الحفاظ على كراسيهم ومقاعدهم.

أظن أن الخلل يبدأ من هنا، من نقطة اعتبار الشيوخ أن الدعوة إلى الإسلام وسيلة، أداة وليست هدفاً، وسيلة للحصول على لقمة العيش والوصول إلى مناصب معينة يحصلون من خلالها السلطة والوجاهة الاجتماعية والأموال طبعاً، انضمام الشيوخ إلى زمرة المنافقين ليس حكماً ولكنه حكم الواقع الذي ضجّ بهم ومنهم، فأوصلوا أنفسهم إلى درجة أنهم أصبحوا مادة للنكت والسخرية، ليست النكت العلنية التي

يمكن أن يسمعها الناس في التلفزيون، ولكنها النكت التي يتعاطها الناس على المقاهي وفي الطرقات وفي الاجتماعات المغلقة.. فهم لا يبتعدون بهم عن النكت الجنسية فهم فيها دائماً في موقع المفعول بهم.. لأنهم جعلوا من دعوتهم أداة.. فأخذهم الحاكم أداة.. وقالوها زمان:

"اللي يعمل ضهره قنطرة يستحمل الدوس" فاستحملوا

يا مشايخ..!!

آخر الكلام
الكلمة أمانة
والتاريخ شاهد
والأجيال لا تنسى